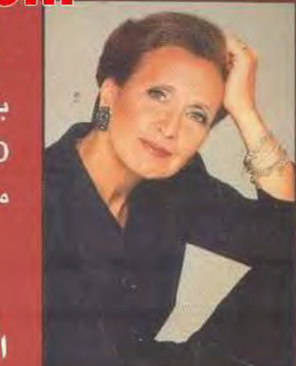
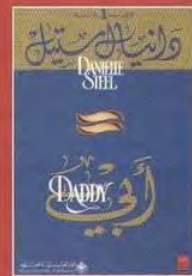
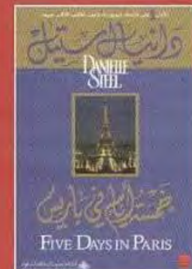
بيعت أكثر من
500 مليون نسخة
من رواياتها



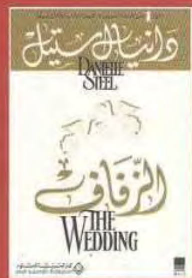
الجميع يقرأ لدانيال ستيل



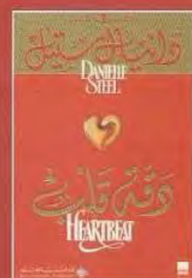
ISBN: 9953-29-900-5



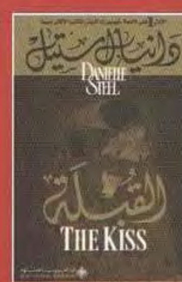
ISBN: 9953-29-901-3



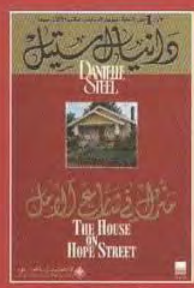
ISBN: 9953-29-902-1



ISBN: 9953-29-903-X



ISBN: 9953-29-904-8



ISBN: 9953-29-905-6



الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers
www.asp.com.lb
ص.ب. 13-5574 شوران 2050-1102 بيروت – لبنان
هاتف 785107/8 (1-961+) فاكس 786230 (1-961+)
البريد الالكتروني asp@asp.com.lb



يضم هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

The House On Hope Street

حقوق الترجمة العربية مرخص بها قانونيا من المؤلفة
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقع بينها وبين الدار العربية للعلوم

ISBN 9953-29-905-6

الطبعة الأولى

1424 هـ - 2004 م



الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers

عين التينة، شارع ساقية الجنزير، بناية الريم
هاتف: 860138 - 785108 - 785107 (1-961)
فاكس: 786230 (1-961) ص.ب: 5574-13 - بيروت - لبنان
البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

تمت الطباعة في:
مطبعة المتوسط
هاتف: 860138 (1-961) - بيروت - لبنان

المحتويات

الإهداء

إلى أصدقائي الأحباء الذين قاموا بمساعدتي،
فيكتوريا، جو، كاثي، نانسي وشارلوت

إلى أولادي الأعزاء الرائعين، بياتريس، ترفور،
تود، نيك، سامندا، فيكتوريا، فنيسا، ماكس وزارا.

الذين يعطوني الأمل دائماً، ويملأون حياتي
بالفرح.

مع عظيم حبي وشكري.

د. س.

الفصل الأول

كانت الساعة العاشرة صباحاً عشية العيد حين التقى جاك وليز سوثرلاند بأماندا باركر. كان صباحاً مشمساً في مارين كاونتي، شمال سان فرانسيسكو. وبدت أماندا مذعورة وعصبية في الوقت نفسه. كانت قصيرة وشقراء ورقيقة، وارتعشت يداها على نحو غير منظور فيما مزقت بهدوء محرمة ورقية. تولى جاك وليز مسألة طلاقها خلال العام الماضي، إذ كانا يعملان كفريق، وفتحا مكتب المحاماة المشترك قبل ثمانية عشر عاماً، مباشرة بعد زواجهما.

كانا يحبان العمل معاً، وطورا منذ وقت طويل روتيناً مريحاً. استمتعا بعملهما وأجاداه تماماً. أكملا بعضهما البعض، رغم أن أسلوبيهما يختلفان إلى أقصى الحدود. فمن غير قصد، وبطريقة غير واعية، اعتمد جاك وليز نوعاً من روتين الشرطي الجيد/الشرطي السيء، مما أبلى حسناً معهما ومع زبائنهما. فقد كان جاك هو الذي يتولى دوماً الدور العدائي والمتحدي، ويكون الأسد في قاعة المحكمة، ساعياً إلى ظروف أفضل وتسويات أكبر، واضعاً خصومه في مأزق لا يجيدون الهروب منه إلا إذا أعطوه ما يريده لزبونه. أما ليز فكانت الأكثر مراعاة لحقوق الآخرين، والأكثر لطافة واهتماماً بالأشياء الدقيقة، تمسك بأيدي الزبائن عند الضرورة وتدافع عن حقوق أولادهم. وفي بعض الأوقات، أدى الاختلاف في أسلوبهما إلى شجار بينهما، كما هي الحال في قضية أماندا. فعلى رغم بعض المراوغات الخبيثة التي فعلها زوج أماندا، والتهديدات، والإساءة الكلامية المستمرة والجسدية أحياناً، رأت ليز أن ما اقترحه جاك قاسٍ جداً عليه.

"هل أنت مجنونة؟"، سألها جاك بفظاظة قبل وصول أماندا. "أنظري إلى

الفوضى التي أحدثها هذا الرجل عندها. لديه ثلاث صديقات يعيلهنّ الآن، وقد خدعها طوال عشر سنوات، وأخفى عنها كل ممتلكاته، ولا يهتم أبداً بأولاده، ويريد التملص من زواج من دون أن يدفع فلساً. ماذا تقترحين أن نفعل؟ نثق فيه ونشكره على وقته وإزعاجه؟". كان جاك مغتاظاً جداً، وعلى رغم شَعرها الأحمر الساطع وعينيها الخضراوين الوامضتين، بدت ليز شديدة الغضب، علماً أنها في الواقع أكثر اعتدالاً منه. كانت عينا جاك داكنتين ومنذرتين بالسوء فيما حدق فيها، وقد أصبح شعره بلون الثلج الأبيض منذ بلغ الثلاثين من العمر. وكان الأشخاص الذين يعرفونهما جيداً يغيظونهما أحياناً ويقولون إنهما يبدوان مثل كاثرين هيبورن وسبنسر ترايسي. لكن على رغم جدالاتهما الحامية بين الحين والآخر، كان كل شخص في قاعة المحكمة وخارجها يعرف أنهما مهووسان ببعضهما البعض. فزواجهما هو زواج حنون ومتين، ولديهما عائلة يحسدهم الجميع عليها، مؤلفة من خمسة أولاد يعشقانهم، علماً أن أربعة منهم لديهم الشعر الأحمر الساطع مثل أمهم، فيما الصبي الأصغر لـــه شعر داكن، مثلما كان جاك في ما مضى.

"لست أقول لك إن فيليب باركر لا يستحق العقاب"، شرحت ليز بصبر. "أحاول أن أقول لك إنه سينفّس عن غضبه بإيذائها إذا كنا قاسين جداً معه".

"وأنا أقول لك إنه يحتاج إلى ذلك، وإلا سيزعجها إلى الأبد. عليك ضرب هذا الرجل في المكان الذي يؤلمه، بدءاً من محفظته. لا يمكن أن تسمحي لـــه بالفرار بهذا النوع من الهراء، ليز، وأنت تعرفين ذلك".

"أنت تتخلى عنه من دون إنذار مسبق وتشلّ عمله". ما كانت تقوله معقول فعلاً، لكن أسلوب جاك القاسي نجح مع العديد العديد من زبائنهما، وتوصل إلى نتائج يستطيع عدد ضئيل فقط من المحامين الآخرين بلوغها. ولم يكن جاك معروفاً فقط بقساوته، وإنما أيضاً ببراعته في ما يتعلق بجلب الكثير من المال لزبائنهما، وأراد تحقيق ذلك خصوصاً لأماندا. فعلى رغم ملايين الدولارات التي كان يملكها فيليب باركر، والصناعة المزدهرة في عالم

الكمبيوتر، أبقى أماندا وأولاده الثلاثة يعيشون بمستوى الحرمان. ومنذ انفصالهما، بالكاد استطاعت الحصول منه على ما يكفي لإطعام الأولاد وإلباسهم. وأصبح هذا الأمر أكثر سخافة حين علموا بما ينفقه على صديقاته وبأنه اشترى لنفسه سيارة بورش من الطراز الجديد. أما أماندا فلم تستطع حتى شراء لوحة تزلج لابنها بمناسبة العيد.

"ثقي بي هذه المرة، ليز. هذا الرجل مستأسد، وسوف يبدأ بالصراخ مثل الكلب الصغير حين نضغط عليه في المحكمة. أنا أعرف ما أفعل".

"جاك، إنه سوف يؤذيها، إذا ضغطت عليه بقوة". كانت هذه القضية تخيف ليز، منذ أن أخبرتها أماندا عن العذاب النفسي الذي عاشته معه طوال عشرة أعوام، فضلاً عن جلدتين لا تنسيان. وقد تركته بعد كل جلدة، لكنه أقنعها بالعودة بالوعود، والابتزاز العاطفي، والتهديدات، والهدايا. والشيء الوحيد الذي عرفته ليز بالتأكيد هو أن أماندا كانت تخاف منه كثيراً، ورأت ليز أنها محقة.

"سوف نحضر أمراً باعتقاله إذا اضطررنا لذلك"، طمأن جاك زوجته مباشرة قبل دخول أماندا إلى مكتبهما، وكان يصف لها ما سيفعلانه في المحكمة ذلك الصباح. كانا يريدان تجميد مبدئياً كل الأصول التي يعلمان بها، وتعطيل عمله في الوقت الراهن إلى أن يعطيهما المعلومات المالية الإضافية التي يريدانها. وثمة أمر أجمع عليه الثلاثة وهو أن فيليب باركر ما كان يريد أن يحب هذا الأمر. بدت أماندا مذعورة فيما أصغت إلى جاك.

"لست أكيدة من أنه يجدر بنا فعل ذلك"، قالت بنعومة، ونظرت إلى ليز بحثاً عن الطمأنينة. لطالما أخافها جاك بعض الشيء، وابتسمت لها ليز لتشجيعها، رغم أنها لم تكن مقتنعة تماماً من أن جاك عرف ما كان يفعله في هذه المسألة. كانت تثق به كثيراً عادة، لكن عناده الكبير أقلقها هذه المرة. لكن ما من أحد أحب الكفاح، أو النصر، خصوصاً للدفاع عن المظلومين، أكثر من جاك سوثرلاند. وأراد أن يكسب الأفضل لزبونته. فبرأيه، أماندا استحقت ذلك،

وليز لم تعارضه في ذلك، وإنما فقط في الطريقة التي أراد أن يحقق بها الفوز لأماندا. فقد شعرت ليز، خصوصاً وأنها تعرف فيليب باركر، أنه من الخَطَر الضغط عليه كثيراً.

استمر جاك في شرح استراتيجيته لأماندا خلال النصف ساعة التالية. وفي الحادية عشرة من ذلك الصباح، توجهوا إلى قاعة المحكمة لحضور الجلسة. كان فيليب باركر ومحاميه هناك حين وصلوا، وألقى عليهم نظرة سريعة مع لامبالاة واضحة تجاه أماندا.. لكن بعد دقيقة واحدة، حين ظن أن أحداً لا يراه، شاهدت ليز نظرة متبادلة بين الاثنين، تنطق بالكثير من الأشياء مما بعث فيها الارتعاش. فكل سلوك فيليب باركر كان معداً لتذكير أماندا بالشخص المسيطر. والواقع أن مجرد الطريقة التي نظر فيها إليها كانت مخيفة ومحطة من قدرها، ثم ابتسم لها بحنان كما لو أنه يريد إرباكها. تم فعل كل ذلك بذكاء، وبدت الرسالة الواضحة التي أرسلها إليها أنها تبددت في برهة، ولكن ليس بدون حدوث تأثيرها المطلوب عند أماندا. بدت فوراً أكثر عصبية بوضوح، وانحنت لتهمس إلى ليز فيما انتظرا في قاعة المحكمة بدء الجلسة.

"إنه يريد أن يقتلني إذا جمّد القاضي أعماله"، قالت أماندا بعصبية بحيث لم يستطع سماعها أحد سوى ليز.

"هل تقصدين ذلك حرفياً؟" سألت ليز بهمس واضح.

"لا... لا... لا أظن... لكنه سيصاب بالجنون. سوف يأتي لاصطحاب الأولاد غداً، ولا أعرف ما سأقوله له".

"لا يمكنك التحدث معه عن ذلك"، قالت ليز بصرامة. "هل يستطيع شخص آخر تسليم الأولاد إليه؟". وفيما هزت أماندا رأسها بصمت، بدت عاجزة، وانحنت ليز لتقول شيئاً لزوجها. "هوّن عليك"، كان كل ما قالته له، وأومأ هو برأسه، فيما تصفح بعض الأوراق، ثم ألقى نظرة سريعة مع ابتسامة صغيرة إلى ليز أولاً، ومن ثم إلى أماندا. أخبرتهما الابتسامة أنه عرف ما كان

يفعله. كان محارباً مستعداً لخوض المعركة، ولم ينوِ الخسارة أبداً أمام خصمه. وكالعادة، لم يفعل.

فبعد سماع الخداعات التي أعلنها فيليب باركر وفريقه القانوني، وافق القاضي على تجميد ممتلكاته ومراقبة شركاته خلال ثلاثين يوماً إلى أن يزود الفريق القانوني لزوجته بالمعلومات اللازمة للتوصل إلى تسوية معه. جادل محاميه الأمر بشدة، وعارض المسألة بقوة أمام القاضي، لكن القاضي رفض سماع ذلك وأمره بالجلوس، وبعد دقائق قليلة، رفع مطرقته وطلب خلوة. وفي خلال ثوانٍ قليلة، بعد نظرة مزدرية إلى التي ستصبح قريباً مطلقته، خرج باركر من قاعة المحكمة. كان جاك يبتسم ابتسامة عريضة فيما راقبه، وأعاد الملفات إلى حقيبته ووجه نظرة انتصار إلى زوجته.

"عمل جيد"، قالت ليز بهدوء، لكن فيما ألقت نظرة سريعة على أماندا، لاحظت أنها مصابة بالذعر. لم توجه أية كلمة لأي منهما، فيما تبعت محاميها خارج قاعة المحكمة، ونظرت إليها ليز بشفقة. "سيكون كل شيء على ما يرام، أماندا. جاك محق. هذه هي الطريقة الوحيدة التي نستطيع فيها لفت انتباهه". كانت ليز تعرف أن هذا صحيح على الصعيدين التقني والاستراتيجي، لكنها قلقت على زبونتها من الناحية الإنسانية، وأرادت فعل أي شيء ممكن لطمأنتها. "هل يمكنك إبقاء أحد معك حين يأتي لاصطحاب الأولاد، بحيث لا تضطرين إلى مواجهته وحدك؟".

"سوف تأتي شقيقتي مع أولادها في الصباح".

"إنه مستأسد، أماندا"، قال جاك بنبرة مطمئنة. "لن يقول لك أي شيء طالما يوجد أشخاص حولك".

كان هذا صحيحاً في ما مضى. لكنهم ضغطوا عليه فعلاً هذه المرة. لم تسمح لهما أبداً بفعل ذلك قبلاً، لكنها تخضع للعلاج منذ أشهر، وتحاول أن تصبح أكثر شجاعة لعدم السماح لفيليب بإساءة معاملتها، على الصعيد الكلامي أو الجسدي أو المالي. إنها خطوة مهمة بالنسبة إليها، وتأمل في أن تصبح

فخورة بها حين تتوقف عن الارتعاش. وبقدر ما كان جاك يخيفها في بعض الأوقات، كانت تثق به تماماً، وتتقيد بكل شيء يقوله لها، حتى هذه المرة. وقد تفاجأت لكون القاضي متعاطفاً جداً معها. ومثلما قال جاك حين عادوا إلى المكتب مجدداً، يفترض بهذا وحده أن يثبت لها شيئاً. أراد القاضي مساعدتها وحمايتها، من خلال تجميد أصول فيليب وإجباره على تسليمها المعلومات التي كانت قد طلبتها قبل أشهر.

"أعرف أنك محق"، قالت مع تنهد، وهي تبتسم لهما معاً. "لكن معاملته بقسوة تخيفني. أعرف أنه يجدر بي فعل ذلك، لكنه يتحول إلى فوضوي حين يغضب".

"وأنا أيضاً"، قال جاك بابتسامة، وضحكت زوجته فيما ودعا أماندا وتمنيا لها عيداً سعيداً.

"سيكون العيد أفضل كثيراً في السنة المقبلة"، وعدت ليز وتمنت تحقيق ذلك. أرادا لها نوعاً من الاستقرار يتيح لها العيش بسلام وراحة مع أولادها. النوع نفسه من الراحة، أو حتى أفضل، الذي تعيشه صديقات فيليب، في الشقق التي اشتراها لهنّ. حتى إنه اشترى لإحداهنّ شاليهاً للتزلج في أسبن، فيما لم يكن لدى زوجته بالكاد المال لأخذ أولاده إلى السينما. كره جاك الرجال الذين هم هكذا، خصوصاً حين توجب على الأولاد دفع ثمن السلوك غير المسؤول لوالدهم. "ما زلت تملكين رقم منزلنا، أليس كذلك؟"، سألت ليز وأومأت أماندا برأسها، وهي تبدو أنها باشرت في الارتخاء. لقد انتهى الأسوأ على الأقل في الوقت الحاضر، وكانت متأثرة بقرار المحكمة. "اتصلي بنا إذا احتجت لذلك. وإذا جاء إليك الليلة، أو اتصل أو هددك، لأي سبب كان، اتصلي بالشرطة، ثم اتصلي بي"، قالت ليز وهي تبدو مفرطة قليلاً في الحماية. غادرتهما أماندا شاكرة بعد برهة، وخلع جاك معطفه وربطة عنقه وابتسم لزوجته بسرور فيما استرخى.

"أحب القضاء على ذلك الحقير. سوف يغضب كثيراً حين نقدم إليه

عرض التسوية، ولن يكون باستطاعته فعل أي شيء حيال ذلك".

"سوى إخافتها حتى الموت"، ذكّرت ليز جاك بتعبير جاد.

"على الأقل، سوف تخاف وهي تعيش مع مدخول محترم. يستحق أولادها ذلك. وبالمناسبة، ألا تظنين أن مسألة الاتصال بالشرطة مغالى فيها قليلاً؟ هيا، ليز، ليس الرجل مجنوناً. إنه مجرد حقير".

"هذا رأيي. إنه حقير كفاية للاتصال بها وتهديدها، أو الظهور ومحاولة إخافتها، ما يكفي لدفعها إلى التراجع وإجبارنا على طلب إلغاء القرار من المحكمة".

"لا مجال أبداً لذلك، حبيبتي. لن أدعها تفعل ذلك. وأنت من يخيفها بمسألة الاتصال بالشرطة".

"أردت فقط تذكيرها أنها ليست وحدها، وأنها تستطيع الحصول على المساعدة. إنها امرأة عانت من سوء المعاملة، جاك. ليست امرأة قوية وذكية لا تصدق أية كذبة من زوجها السابق. إنها ضحية، وأنت تعرف ذلك".

"وأنت صاحبة قلب رقيق، وأنا أحبك"، قال فيما اقترب قليلاً ولف ذراعيه حولها. كانت الساعة قد بلغت الواحدة حينها، وكانا يغلقان المكتب يوم العيد. ومع وجود خمسة أولاد في المنزل، لم يشك أي منهما في أنهما سيكونان مشغولين. لكن ليز كانت تجيد ترك هموم المكتب خلفها، عند العودة إلى المنزل، أكثر مما يفعل جاك. فحين كانت مع أولادها، ما كانت تفكر إلا بهم، وأحب جاك ذلك فيها.

"أحبك، جاك سوثرلاند"، قالت مع ابتسامة فيما قبلها. لم يكن ميالاً إلى مناقشتها أثناء العمل، لكنه عيد في النهاية، وقد أنهيا كل شيء ممكن قبل العطلة، خصوصاً وأن دعوى أماندا باركر أصبحت الآن منتهية.

وضبت ليز ملفاتها، ووضع جاك عشرة ملفات جديدة في حقيبته. وبعد نصف ساعة، غادرا في سيارتين منفصلتين لكي تذهب ليز إلى المنزل وتستعد

لعشية العيد، ولينجز جاك بعض الجولات الأخيرة في المدينة. كان ينهي دوماً تسوق العيد في الدقيقة الأخيرة، على عكس ليز التي أنجزت مشترياتها ومشتريات الأولاد في شهر نوفمبر (تشرين الثاني). كانت شديدة التنظيم وتعتني بالتفاصيل، ولهذا السبب وحده استطاعت التوفيق بين العائلة الكبيرة والمهنة. هذا بمساعدة كارول، ربة المنزل الرائعة التي عملت لديهم خلال اربعة عشر عاماً والتي كانت متفانية أمام أولادهما. عرفت ليز من دون أي شك أنها كانت لتتوه من دونها. إنها امرأة شابة جاءت للعمل لديهم وهي في الثالثة والعشرين من عمرها، وأحبت أولاد سوثرلاند بقدر ما فعل جاك وليز تقريباً، ولا سيما جايمي الذي يبلغ الآن التاسعة من عمره.

حين غادر، وعد جاك بأن يعود إلى المنزل في الخامسة أو الخامسة والنصف. ما زال عليه تركيب دراجة جايمي الجديدة هذه الليلة، وعرفت ليز أنه سيقوم بلف الهدايا لها في مكتبه الموجود في المنزل في منتصف الليل. لكن كانت ليلة العيد في منزلهما تملك كل المقومات اللازمة. لقد أحضر كل منهما سنوات من تقاليد العيد المفضلة لديه، ونجحا في دمجها على مر السنوات لتتحول إلى احتفال كبير وحميم أحبه أولادهما.

اجتازت ليز المسافة القصيرة المؤدية إلى منزلهم في تيبورون، وابتسمت لنفسها فيما دخلت في مفترق شارع.الأمل. لقد عادت بناتها الثلاث للتو من التسوق مع كارول، وكنّ يخرجن من السيارة مع كل أغراضهنّ. أصبحت ميغان ممشوقة القوام في الرابعة عشرة من عمرها، فيما آني البالغة الثلاثة عشرة من العمر أكثر بدانة لكنها تشبه أمها. أما راشيل فهي في الحادية عشرة وتشبه جاك تماماً، على رغم الشعر الأحمر الشبيه بأمها. وكانت البنات الثلاث يتفقن على نحو مذهل، وكانت معنوياتهنّ مرتفعة فيما تناقشن بشأن أمر ما مع كارول. وابتسمت الفتيات الثلاث كلهن حين شاهدن أمهنّ تتجه نحوهنّ.

"ماذا فعلتنّ؟" وضعت ليز ذراعاً حول آني وراشيل، ثم ضيّقت عينيها فيما نظرت إلى ميغان. "هل هذه كنزتي السوداء المفضلة التي ترتدينها مجدداً،

ميغ؟ أو هل أحتاج أصلاً إلى سؤالك؟ أنت أضخم مني وأظن أنك ستجعلينها تتمدد".

"ليست هذه غلطتي إذا كان نهداك صغيرين، أمي"، قالت ميغان مع ابتسامة مذنبة. كنّ "يستعرن" دوماً الملابس من بعضهنّ البعض ومن أمهن، وفي معظم الأحيان من دون الحصول على موافقة صاحبة الملابس أو إذنها. والواقع أن هذا هو الخلاف الوحيد الذي كان ينشب بين الفتيات، ونادراً ما شكل مشكلة جادة. شعرت ليز أنها محظوظة بمجرد النظر إليهن. فقد أنجبت وجاك أولاداً رائعين، وأحبّا التواجد معهم.

"أين هم الصبيان؟"، سألت ليز فيما لحقت بهنّ إلى الداخل، ولاحظت أن آني تنتعل الحذاء المفضل لأمها. لا جدوى أبداً من التذمر. بدا أن مصيرهنّ هو التشارك في خزانة مشتركة، مهما اشترت لهنّ من أشياء.

"خرج بيتر مع جسيكا، وجايمي عند صديق له"، قالت لها كارول. جسيكا هي أحدث صديقة لبيتر. عاشت في الجوار في بيلفيدير، وهو مكث الآن هناك أكثر مما كان يبقى في منزله. "عليّ إحضار جايمي بعد نصف ساعة"، شرحت كارول، "إلا إذا أردت أنت القيام بذلك". لقد كانت كارول فتاة شقراء جميلة في الثالثة والعشرين من عمرها، وقد أصبحت أكثر بدانة على مر السنوات. لكنها ما زالت جميلة وهي في السابعة والثلاثين من عمرها، وكانت تملك طريقة حنونة في التعاطي مع الأولاد. أصبحت الآن جزءاً من العائلة.

"توقعت أن أحضّر بعض الحلوى بعد الظهر"، قالت ليز، وهي تضع حقيبتها وتخلع معطفها. ألقت نظرة سريعة على البريد الموضوع على طاولة المطبخ، لكن ما من شيء مهم. وفيما نظرت إلى الخارج عبر نافذة المطبخ، استطاعت مشاهدة أفق سان فرانسيسكو عبر الخليج. كان لديهم منظر جميل ومنزل مريح وحنون. إنه ضيق قليلاً عليهم، لكنهم أحبوه. "هل يرغب أحد في إعداد الحلوى معي؟"، سألت ليز، لكنها كانت تتحدث لنفسها عندئذ. فقد ذهبت الفتيات الثلاث إلى غرفهنّ، للتحدث على الهاتف على الأرجح. كان الأولاد

الأربعة الكبار يتنافسون باستمرار على خطيّ الهاتف.

كانت ليز منهمكة في رقّ عجينة البسكويت وتقطيعها، حين عادت كارول إلى الطابق الأسفل وذهبت لإحضار جايمي بعد نصف ساعة. ما زال أمام ليز الكثير من العمل الواجب إنجازه، وظنت أن جايمي قد يرغبُ في المساعدة. فهو كان يحب إنجاز الأمور معها في المطبخ. وبعد عشر دقائق، حين عادت كارول معه، صرخ فرحاً حين شاهد ما كانت تفعله، والتقط القليل من العجينة النيئة وابتسم بسرور فيما التهمها.

"هل أستطيع المساعدة؟". إنه ولد جميل مع شعر داكن كثيف وعينين بنيتين ناعمتين، وابتسامة لطالما ذوبت قلب أمه. كان عزيزاً على نحو خاص بالنسبة إليها، مثلما هو بالنسبة إليهم جميعاً، وسوف يبقى دوماً طفلهم.

"طبعاً. أغسل يديك أولاً. أين كنت؟".

"عند تيمي"، قال وهو يعود من المغسلة بيدين رطبتين فيما أشارت لـــه أمه إلى المنشفة لكي يجففهما.

"كيف كان؟".

"لا يحتفلون بالعيد في منزله"، قال بصوت عالٍ، فيما ساعدها على رق بقية العجينة.

"طلبت دراجة من عمّي"، قال وهو يبدو متفائلاً. "قلت لـــه إن بيتر أخبرني أنه سيعلمني كيفية الركوب عليها".

"أعرف، حبيبي". لقد ساعدته في كتابة الرسالة، واحتفظت بكل رسائل أولادها الموجهة إلى عمهم في أحد الأدراج. إنها رسائل رائعة، ولا سيما رسائل جايمي. نظر إليها بابتسامة حنونة، والتقت عيناهما لبرهة طويلة.

كان جايمي ولداً خاصاً، وهدية خاصة في حياتها. لقد ولد قبل أكثر من شهرين من أوانه، وقد تعرض للأذى نتيجة الولادة في البداية، ومن ثم نتيجة الأوكسجين الذي أعطوه له. كان يمكن أن يسبب لـــه العمى، لكن ذلك لم

يحصل. كان يعاني من التعلم المتأخر، ولو على نحو غير وخيم، ولكن ما يكفي لجعله مختلفاً وأبطأ مما يفترض أن يكون في عمره. لكنه أبلى حسناً على رغم كل ذلك، وذهب إلى مدرسة خاصة، وكان مسؤولاً ويقظاً ومحباً. لكنه لن يكون أبداً مثل شقيقه وشقيقاته. وكانوا قد قبلوا بهذا الأمر قبل وقت طويل. كانت صدمة قوية في البداية، وألماً مبرحاً، خصوصاً بالنسبة إليها. شعرت بالكثير من المسؤولية في البداية. كانت تعمل بكد كبير، وخاضت ثلاث محاكمات كبيرة، وشعرت بالتوتر حيال ذلك. كانت محظوظة جداً مع الأولاد الآخرين، ولم تواجه أبداً أية مشكلة. أما جايمي فكان مختلفاً منذ البداية. كان الحمل صعباً، وشعرت بالإرهاق والغثيان من البداية إلى النهاية. وقبل شهرين ونصف تقريباً، ومن دون أي إنذار، شهدت المخاض ولم يستطيعوا فعل أي شيء لوقفه. ولد بعد عشر دقائق من وصولها إلى المستشفى. كانت ولادة سهلة بالنسبة إليها، وإنما كارثة بالنسبة إلى جايمي. ساد الاعتقاد في البداية أن الكارثة يمكن ان تكون أعظم، وبدا طوال أسابيع أنه قد لا يبقى على قيد الحياة أبداً. وحين أحضروه أخيراً إلى المنزل، بعد وضْعه ستة أسابيع في الحاضنة، بدا مثل أعجوبة بالنسبة إليهم جميعاً، وما زال كذلك. كان هدية حب خاصة، ولديه حكمته الخاصة. إنه الأكثر لطافة ورقة بينهم جميعاً، ولديه إحساس رائع بالدعابة، على رغم قيوده. وكانوا قد تعلموا منذ وقت طويل تدليله، وتقدير قدراته، بدل ندب كل ما يفتقر إليه وما لن يكون عليه أبداً. كان ولداً وسيماً بحيث يلتفت إليه الآخرون دوماً، ثم يصابون بالارتباك نتيجة البساطة التي يتحدث فيها، والصراحة. يحتاجون إلى بعض الوقت أحياناً للإدراك بأنه مختلف، وحين يفعلون، يشعرون بالأسى، الأمر الذي يزعج أهله وإخوته. فحين يقول لها الناس إنهم آسفون، كانت ليز تقول ببساطة. "لا تأسفوا. إنه ولد مذهل، ولديه قلب أكبر من العالم، ويحبه الجميع". بالإضافة إلى ذلك، كان سعيداً دوماً تقريباً، الأمر الذي منحها العزاء.

"لقد نسيت رقاقات الشوكولا"، قال جايمي باقتناع. فالبسكويت برقاقات

الشوكولا هو النوع المفضل لديه، وكانت تحضرها دوماً له.

"ظننت أننا سنعدّ البسكويت العادي للعيد، وننثر فوقه الأصباغ الحمراء والخضراء. كيف يبدو هذا لك؟".

فكر في الأمر لبرهة من الثانية، ثم أومأ برأسه علامة الموافقة. "يبدو هذا جميلاً. هل أستطيع نثر الأصباغ؟".

"طبعاً". أعطته صينية البسكويت، والزجاجة المحتوية على الأصباغ الحمراء. ذهب للعمل عليها إلى أن انتهى، وسلمته الصينية التالية. عملا معاً كفريق واحد إلى أن انتهيا، ووضعت كل الصواني في الفرن. لكنها لاحظت حينها أن جايمي كان يبدو قلقاً. "ما الأمر؟". كان واضحاً أنه منزعج من أمر ما. وحين كان يضع فكرة في رأسه، صَعُب إقناعه بالتخلي عنها.

"وإذا لم يُحضرها؟".

"من؟" تحدثا إلى بعضهما البعض بلغة مختصرة مألوفة عليهما وسهلة بالنسبة إليهما.

"عمّي"، قال جايمي، وهو ينظر بحزن إلى أمه.

"هل تعني الدراجة؟". أومأ برأسه. "لماذا لا يحضرها؟ كنت ولداً جيداً هذه السنة، حبيبي. سوف يحضرها لك". لم تشأ أن تفسد عليه المفاجأة، لكنها أرادت طمأنته في الوقت نفسه.

"قد يظن إني لا أعرف كيفية الركوب عليها".

"عمك أذكى من ذلك. لا شك في أنك تستطيع تعلم الركوب عليها. بالإضافة إلى ذلك، قلت لـــه إن بيتر سيساعدك".

"وهل تظنين أنه صدقني؟".

"أنا واثقة من ذلك. لماذا لا تذهب للعب قليلاً، أو ترى ما تفعله كارول، وسوف أناديك حين ينضج البسكويت. يمكنك الحصول على أولى القطع". ابتسم للفكرة، ونسي أمر عمه مجدداً فيما صعد إلى الطابق الأعلى للعثور على

كارول. كان يحب أن تقرأ لـــه قصة. لم يتعلم بعد كيفية القراءة.

ذهبت ليز إلى خزانة وأخرجت منها بعض الهدايا التي خبأتها هناك، ووضعتها جانباً. وحين أصبحت قطع البسكويت جاهزة للخروج من الفرن، نادته. لكنه كان سعيداً مع كارول حينئذ ولم يشأ العودة إلى المطبخ. وضعت قطع البسكويت في أطباق ورتبتها على طاولة المطبخ ثم صعدت إلى الطابق الأعلى للف مجموعة شوسر Chaucer المغلفة بالجلد التي اشترتها لجاك. أما الأشياء الأخرى التي كانت قد اشترتها لجاك فأصبحت ملفوفة قبل أسابيع، لكنها عثرت على هذه مؤخراً أثناء تصفُّح الكتب في مكتبة.

مرّت بقية بعد الظهر، وعاد بيتر إلى المنزل مباشرة قبل عودة جاك. بدا بيتر سعيداً ومسروراً، وأمسك حفنة من قطع البسكويت التي أعدتها أمه، ثم سألها إذا كان يستطيع العودة إلى منزل جسيكا مجدداً بعد انتهاء العشاء.

"لماذا لا تأتي هي إلى هنا لإحداث تغيير؟" سألت ليز باحتجاج. لم يعودوا يشاهدونه بعد الآن. فهو إما في الرياضة أو المدرسة أو عند صديقته. ومنذ أن حصل على إجازة القيادة، شعرت أنه يأتي فقط للنوم هنا.

"لن يسمح لها أهلها بالخروج الليلة. إنها ليلة العيد".

"وهي ليلة العيد هنا أيضاً"، ذكّرته فيما دخل جايمي إلى المطبخ وأخذ قطعة بسكويت ونظر بإعجاب إلى شقيقه الأكبر. كان بيتر بطلاً بالنسبة إلى جايمي.

"ليست ليلة العيد في منزل تيمي. إنه يهودي"، قال جايمي بطريقة واقعية، فيما شعّث بيتر شعره وتناول حفنة أخرى من قطع البسكويت. "أنا صنعتها"، قال جايمي، وهو يشير إلى قطع البسكويت التي اختفت في فم شقيقه.

"لذيذة"، قال بيتر وفمه ممتلئ، والتفت بعدها إلى أمه. "لا تستطيع الخروج الليلة، أمي. لماذا لا أستطيع الذهاب إلى هناك؟ إنه مضجر هنا".

"شكراً. عليك البقاء للقيام ببعض الأشياء هنا"، قالت بحزم.

"عليك مساعدتي في وضع البسكويت والجزر لعمّي والرنّة"، قال جايمي بوقار. وكان هذا أمر يفعله الصبيان معاً كل عام، وسوف يخيب أمل جايمي إذا لم يفعل ذلك معه، وعرف بيتر ذلك.

"هل أستطيع الخروج بعد أن يخلد إلى النوم؟"، سأل بيتر وكان من الصعب مقاومته. إنه ولد طيب، وتلميذ رائع، ويصعب عدم مكافأته على ذلك.

"حسناً"، قالت ليز، "لكن عليك العودة إلى المنزل باكراً".

"في الحادية عشرة، أعدك".

وفيما وقفوا في المطبخ، دخل جاك وهو يبدو متعباً وإنما منتصراً. لقد أنهى للتو التسوق للعيد، وكان مقتنعاً من أنه عثر على الهدية المثالية لها.

"مرحبا جميعكم، عيد سعيد!"، قال ورفع جايمي عن قدميه وعانقه طويلاً فيما ضحك الصغير. "ماذا فعلت اليوم أيها الشاب؟ هل أنت جاهز لاستقبال عمك؟".

"أعددنا أنا وأمي البسكويت له".

"يم"، قال جاك فيما أمسك بواحدة وتناولها، ثم ذهب لتقبيل ليز، وتبادلا نظرة تقدير متبادلة. "ماذا يوجد للعشاء؟".

"لحم". لقد وضعته كارول في الفرن بعد الظهر، وكانت ليز تريد أن تعدّ طبق البطاطا الحلوة مع الخطمي (Marshmallows) المفضل عند الجميع، فضلاً عن البازيلا السوداء. وفي يوم العيد، تناولوا دوماً الديك الرومي، وكان جاك يعدّ حشوته "الخاصة". سكبت لـــه ليز كوباً من المشروب المفضّل ولحقت به إلى غرفة الجلوس، فيما جايمي خلفهما مباشرة. ذهب بيتر لاستعمال الهاتف وإخبار جسيكا بأنه سيعود إليها بعد العشاء. واستطاعوا سماع الصراخ فيما جلسوا في غرفة الجلوس، حين أخذ السماعة من يدي ميغان وقطع الاتصال مع أحد المعجبين بها.

"هونا عليكما أنتما الاثنان!"، صرخ جاك عند أعلى السلم، ثم جلس على

الأريكة بالقرب من زوجته للاستمتاع بأجواء العيد. كانت الزينة مضاءة، وأدارت كارول شريط أغاني العيد. جلس جايمي بسرور قرب أمه، وكان يغني لنفسه، فيما ثرثرت هي وجاك. وبعد دقائق قليلة، صعد جايمي إلى الطابق الأعلى للبحث عن بيتر أو كارول.

"إنه قلق بشأن الدراجة"، همست ليز لجاك، وابتسم. عرف كلاهما كم سيكون سعيداً حين يحصل عليها. أراد واحدة منذ وقت طويل، وقررا أخيراً أنه أصبح مستعداً لها. "إنه يتحدث عنها طوال بعد الظهر ويخشى ألا يجلب لــــه عمه واحدة".

"سوف نجمعها بعد أن ينام"، همس جاك ثم انحنى لتقبيل ليز. "هل أخبرتك أخيراً كم أنت جميلة، حضرة المحامية؟".

"ليس خلال اليومين الماضيين على الأقل"، ابتسمت له. فعلى رغم الأعوام العديدة التي مضت على زواجهما، والأولاد الذين يحيطون بهم باستمرار، ما زال هناك مقدار كبير من الرومنسية بينهما. لطالما كان جاك جيداً في هذا، في اصطحابها إلى أمسيات رومنسية، وأخذها لتناول العشاء، والذهاب بعيداً لقضاء عطلة نهاية الأسبوع بين الحين والآخر. حتى إنه كان يرسل إليها الأزهار أحياناً من دون سبب محدد. كانت هذه طريقة ماهرة لإبقاء الغرام متقداً في علاقتهما حين عملا معاً، علماً أن لديهما سبباً مسهباً للاختلاف أو الشعور بالضجر مع بعضهما بعضاً. لكن هذا لم يحصل أبداً، وكانت ليز شاكرة دوماً للجهود التي بذلها جاك في هذا الاتجاه. "فكرت في أماندا باركر بعد الظهر حين كنا نعد البسكويت أنا وجايمي. أتمنى ألا يسبب لها هذا الأخرق المشاكل بعد جلسة اليوم. أنا لا أثق به".

"عليك أن تتعلمي ترك عملك في المكتب"، قال موبخاً، ثم سكب لنفسه كوباً من مشروبه المفضّل. ادعى أنه أفضل منها في نسيان هموم العمل.

"أهذه حقيبتك التي رأيتها مليئة بملفات العمل في الممر، أم أني تخيلت ذلك؟" قالت لـــه وابتسم هو.

"أحملها فقط معي. لا أفكر فيها. هكذا أفضل".

"نعم، أراهن على ذلك". كانت تعرفه أفضل من ذلك. تحادثا لبرهة، ثم ذهبت لإعداد العشاء. أمضيا وقتاً أكثر مما ينبغي على الطاولة تلك الليلة، وتحدثا إلى الأولاد، وضحكا معهم. كانا يتحدثان عن أشياء سخيفة حصلت في الأعوام الماضية، وشارك جايمي في المحادثة وذكرهم جميعاً حين أتت الجدة لقضاء العيد وأصرّت على أن يذهبوا إلى الصلاة، فنامت وراحوا يقهقهون جميعاً لأنها كانت تشخر. وتذكرت ليز أنها شعرت بالامتنان لأن والدتها كانت قد ذهبت إلى منزل أخيها هذه السنة. كان من الصعب وجودها معهم في العطلات لأنها تأمر الجميع بما يجب فعله، وكيفية فعله، ولديها خصوصياتها وتقاليدها، وكانت دائماً تزعج ليز بشأن جايمي. أصيبت بالذعر حين ولد، وأسمت ذلك مأساة، وما زالت تفعل كلما أتيحت لها الفرصة، بعيداً عن مسمع جايمي. رأت أنه يجب إرساله بعيداً إلى مدرسة خاصة، بحيث لا يضطر الأولاد الآخرون إلى حمل "العبء" معه. وكان هذا يثير غضب ليز كلما قالت ذلك. طلب جاك من ليز أن تتجاهلها ببساطة. فرأي أمها في الأمر لم يحدث أي فرق بالنسبة إليهم. جايمي كان جزءاً مهماً من عائلتهم، وما من شيء في العالم يدفعهم إلى إرساله بعيداً. سوف يشعر الأولاد الآخرون بالغضب إذا غادرهم جايمي. ورغم ذلك، ما زالت ليز تشعر بالغضب كلما سمعت أمها تقول أشياء سلبية عنه.

ساعد بيتر جايمي في صب الحليب وإعداد البسكويت لعمه، مثلما كان يفعل كل سنة، مع طبق من الجزر ووعاء من الملح للرنة، فضلاً عن رسالة أملاها عليه جايمي تذكر عمه بأمر الدراجة وتلح عليه في إحضار بعض الهدايا الرائعة فعلاً لبيتر وشقيقاته. "شكراً عمّي"، أملى جايمي في النهاية، ثم أومأ برأسه علامة الموافقة حين أعاد بيتر قراءة الرسالة أمامه. "هل يجدر بي أن أقول لـــه إنه لا بأس إذا لم أحصل على الدراجة؟"، سأل جايمي وهو يبدو قلقاً. "لا أريده أن يشعر بالسوء إذا لم يحضرها".

"لا، أظن أن الرسالة جيدة هكذا. بالإضافة إلى ذلك، كنت طيباً جداً، وأراهن أنه سيحضرها لك". عرفوا جميعاً أنه سيحصل على الدراجة التي أرادها بشدة، ولا يسعه الانتظار لرؤيتها صباح العيد.

وضعت ليز جايمي في السرير أخيراً، وكانت ميغان تتحدث على الهاتف كالعادة فيما راشيل وآني تقهقهان في غرفتهما وتجربان ثياب بعضهما البعض. غادر بيتر إلى منزل جسيكا بعدما ساعد جاك في تركيب الدراجة لجايمي. وكانت ليز منهمكة في التنظيف في المطبخ وإعداد الطعام لليوم التالي. ذهبت كارول لإيصال شيء ما إلى منزل صديقة، وقالت لها ليز إنها ستتولى التنظيف بعد العشاء. كانت ليلة مسالمة وسعيدة، مليئة بروح العيد، وكان ليز وجاك يستمتعان بمشروع العطلة ونهاية الأسبوع الطويلة. إنهما عملا بكدّ، واستمتعا بالوقت الذي قضياه مع أولادهما. كانا يصعدان ببطء إلى الطابق الأعلى يداً بيد حين اتصلت بهما أماندا باركر. تلقت ميغان الاتصال، وذهبت ليز للتحدث إليها، وما إن رفعت السماعة حتى استطاعت سماع أماندا وهي تبكي. بالكاد استطاعت التحدث.

"أنا آسفة جداً للاتصال بكم ليلة العيد... اتصل فيل قبل برهة، و...". بدأت تبكي فيما أصغت ليز وحاولت تهدئتها.

"ماذا قال؟".

"قال إنه إذا لم أطلب منكما إبطال تجميد كل شيء، سوف يقتلني، وقال إنه لن يعطيني أبداً أي دعم مالي وإنه لا يبالي إذا تضورنا جوعاً أنا والأولاد".

"لن يحدث ذلك وأنت تعرفين هذا. عليه إعالتك. إنه يحاول فقط إخافتك". وقد فعل، وبنجاح كبير. كانت ليز تكره مثل هذه القضايا، حيث يتوجب عليها مراقبة زبونة ترضى بسوء معاملتها. فبعض القصص التي أخبرتها بها أماندا في السابق جعلتها ترتعد فعلاً. لقد أرهبها بالصياح وأرعبها لدرجة أنها انتظرت أعواماً قبل تركه. وها هي الآن على وشك أن تجعل المسألة صعبة جداً فيما هددها، وحصلا لها على نوع الدعم الذي تستحق نيله منه. لكن ليز

عرفت أن هذا ليس سهلاً عليها. فقد كانت أماندا ضحية مثالية. "لا تجيبي على الهاتف مجدداً الليلة"، قالت ليز بهدوء. "أغلقي أبوابك، وابقي في المنزل مع الأولاد، وإذا سمعت أي شيء مشكوك به في الخارج، اتصلي بالشرطة. فهمت أماندا؟ إنه يحاول فقط إخافتك. تذكري أنه حقير. وإذا صمدت في مكانك، سوف يتراجع".

لم تكن أماندا مقتنعة حين أجابت. "يقول إنه سيقتلني".

"إذا هددك مجدداً، سوف نحصل على أمر باحتجازه في الأسبوع المقبل. وإذا اقترب منك حينها، يمكننا اعتقاله".

"شكراً لك"، قالت وهي تبدو مرتاحة قليلاً، ولكن ليس كفاية. "أنا آسفة جداً لأني أزعجتكم ليلة العيد".

"أنت لا تزعجينا. نحن هنا لهذا السبب. اتصلي مجدداً إذا احتجت إلى ذلك".

"أنا بخير. أشعر بتحسن الآن. فمجرد التحدث إليك يساعدني"، قالت، وهي تبدو شاكرة، وتعاطف قلب ليز معها. يا لها من طريقة لقضاء العيد.

"أشعر بالأسف الشديد عليها"، قالت ليز لجاك حين دخلت إلى غرفتهما بعد ذلك. كانت تتحدث مع أماندا من الهاتف الموجود في الرواق. "ليست مؤهلة لمواجهة ذلك الحقير".

"لهذا السبب لديها نحن للدفاع عنها". كان قد خلع حذاءه وكان يجول في غرفتهما بالجوارب فقط، يبتسم لنفسه بصمت بشأن الهدية التي اشتراها لها. لكن حين ألقى نظرة سريعة على ليز، لاحظ أنها تبدو قلقة فعلاً.

"هل تظن أنه يجرؤ فعلاً على إيذائها إلى هذه الدرجة؟"، سألته. لقد آذى فيليب باركر زوجته في السابق، لكنهما انفصلا منذ فترة.

"لا، لا أظن. أعتقد أنه يحاول فقط إخافتها. ماذا يريد الآن؟ أن نبطل قرار اليوم؟". أومأت ليز برأسها. هذا هو تماماً ما توقعه جاك، ولم يفاجئ

الأمر أياً منهما. "يمكنه الإصرار على كل ما يريده، لكننا لن نسحب أي شيء، وهو يعرف ذلك".

"المسكينة أماندا. هذا قاسٍ جداً عليها".

"عليها تحمل ذلك والخروج من هذه الأزمة. سوف نبذل ما بوسعنا لأجلها، وسوف يقتنع بذلك. لديه أكثر مما ينبغي لمنحها معيشة لائقة وإعالتها هي والأولاد. يمكنه تقليص نفقاته قليلاً على إحدى صديقاته إذا اضطر لذلك".

"هذا هو ما يخشاه ربما". ابتسمت ليز ونظرت بإعجاب إلى زوجها. كان يخلع قميصه، وكما هي الحال دوماً، بدا وسيماً جداً لها. ففي الرابعة والأربعين من العمر، ما زال جسمه قوياً ورياضياً، وعلى رغم الشعر الأبيض، بدا أصغر بسنوات من عمره الحقيقي.

"على ماذا أنت تبتسمين؟" قال لها فيما خلع سرواله.

"كنت أفكر كم أنت ظريف. أظن أنك أصبحت أجمل وأكثر إثارة مما كنت حين تزوجنا".

"أصبت بالعمى حبيبتي. لكني أحمد الله على ذلك. تبدين جميلة أنت أيضاً". ففي الواحدة والأربعين من عمرها، لا يستطيع أحد أن يحزر أنها أنجبت خمسة أولاد. مشى عبر الغرفة وقبلها، فيما أخرج كلاهما مشاكل أماندا باركر من رأسيهما. فرغم أنهما أحباها وشعرا بالقلق بشأنها، ما زالت جزءاً من حياتهما العملية، وهذا أمر توجب أن ينسياه الآن لكي يضعا العمل خلفهما ويستمتعان بالعيد مع بعضهما بعضاً ومع الأولاد.

جلسا في السرير وشاهدا التلفزيون لبرهة، ودخلت الفتيات لتمني ليلة سعيدة قبل خلودهنّ إلى النوم، وسمعت ليز بيتر يدخل إلى البيت في تمام الحادية عشرة. كان يلتزم دوماً بوعوده. وبعدما شاهدا الأخبار، أطفأت هي وجاك الضوء واستلقيا في السرير، ولفا ذراعيهما حول بعضهما البعض. كانت تحب معانقته، وحين همس لها بعض الكلمات، قهقهت وعبرت الغرفة على

رؤوس أصابعها لإغلاق باب غرفة نومهما. لم تكن تعرف أبداً متى يدخل أحد الأولاد، ولا سيما جايمي، الذي يستيقظ غالباً في الليل ويأتي ليطلب منها المساعدة لشرب كوب من الماء وتعيده من ثم إلى السرير. لكن بعد أن أغلق الباب، أصبحت الغرفة لهما، وفيما نزع جاك ثوب نومها وقبّلها، تأوهت بنعومة فيما عثرا على بعضهما البعض. كانت هذه أفضل طريقة لقضاء ليلة العيد.

الفصل الثاني

صباح يوم العيد، جاء جايمي إلى سريرهما في السادسة والنصف صباحاً. كانت ليز قد ارتدت ثوب نومها مجدداً حينئذ وأعادا فتح الباب قبل أن خلدا إلى النوم. كان جاك لا يزال نائماً في سروال البيجاما حين استلقى جايمي بالقرب من ليز. كانت قد بقيت متعانقة مع جاك طوال الليل، وكان كل شخص آخر في المنزل لا يزال نائماً حين سألها جايمي ما إذا كان الوقت قد حان للنزول إلى الطابق الأسفل.

"ليس بعد، حبيبي"، همست له. "لماذا لا تنام معنا قليلاً. لا يزال الوقت ليلاً".

"متى يحين الوقت للنزول إلى الطابق الأسفل؟"، همس بنعومة.

"ليس قبل ساعتين". كانت تأمل تأخيره لأطول وقت ممكن. حتى الساعة الثامنة على الأقل، إذا كانت محظوظة. أصبح الأولاد الآخرون كباراً كفاية ليرغبوا في النهوض مع بزوغ الفجر. لكن جايمي كان مغموراً بالإثارة والحماس. وأخيراً، خرجت معه على رؤوس أصابعها من الغرفة، وأعطته قبلة ودلواً من قطع الليغو للعب به. "سوف آتي وآخذك عندما يحين الوقت"، وعدته فيما بدأ يشيد شيئاً ما بكتل الليغو، وذهبت هي لمعانقة جاك لساعة إضافية. كان دافئاً وحنوناً، وابتسمت لنفسها فيما أقحمت نفسها بالقرب منه.

كانت الساعة قد تجاوزت الثامنة حين تحرك جاك أخيراً، وعاد جايمي إلى غرفتهما. قال إنه استنفد كل ألعاب الليغو. قبّلت ليز زوجها وابتسمت له، فيما ابتسم لها هو بنعاس وتذكر مسرات الليلة الفائتة، وأرسلت ليز جايمي ليوقظ الآخرين.

"منذ متى أنت مستيقظة؟"، سألها جاك، وهو يضع ذراعاً كسولة حولها ويشدها بقربه.

"جاء جايمي في السادسة والنصف. كان صبوراً جداً، لكني لا أظن انه سيصمد لوقت طويل". بعد خمس دقائق، عاد إلى غرفتهما فيما بقية الأولاد خلفه. بدت الفتيات شبه نائمات، ووضع بيتر ذراعاً حول جايمي. لقد ساعد في تركيب الدراجة لـــه في الليلة الفائتة، وابتسم حين فكر كم سيحبها جايمي.

"هيا، إنهض، أبي"، قال بيتر بابتسامة وهو ينزع الأغطية عن والده فيما دمدم جاك وتقلب، محاولاً وضع وسادة فوق رأسه. لكن مجرد رؤيته وهو يفعل هذا سبّب نزوعاً إلى الإزعاج عند بناته، وقبل أن يستطيع الدفاع عن نفسه، قفزت آني وراشيل فوقه، ودغدغته ميغان فيما صرخ جايمي عالياً في فرحة كبيرة. نهضت ليز وارتدت ثوبها الفوقي فيما راقبتهم. أصبحوا فجأة مجموعة من الأذراع والسيقان، يتصرفون جميعاً مثل الأولاد الصغار مجدداً، فيما انتقم منهم والدهم ودغدغهم وسحب جايمي إلى السرير قربه. كانوا مجموعة واحدة من الأجسام المقهقهة فيما ضحكت ليز وأنقذت جاك في النهاية، وقالت لهم إن الوقت قد حان للنزول إلى الطابق الأسفل لرؤية ما تركه لهم عمّهم. كان جايمي أول من خرج من السرير ما إن قالت ذلك، وأسرع في اتجاه الباب، ولحقه الآخرون، وهم ما زالوا يضحكون، فيما مشى بيتر وجاك خلفهم. كان جايمي قد أصبح في منتصف السلم حين غادر الأولاد الآخرون غرفة نوم أهلهم.

لم يستطع رؤية هداياه بعد، إذ توجب عليه اجتياز منعطف آخر في السلم، لكن حين فعل شاهدها، لامعة وساطعة وحمراء وجميلة، وفيما راقبت ليز وجهه، شعرت بالدموع تتلألأ في عينيها. كان مظهر وجه جايمي يمثل سحر العيد، فيما شاهد الدراجة، ثم أسرع إلى الأسفل نحوها، وراقبه الآخرون بفخر وسرور. أمسكت لـــه ليز الدراجة فيما ركب عليها، وأمسك بيتر بالمقاود وجعله يجول في غرفة الجلوس، محاولاً عدم الدوس على هدايا

الآخرين. لكن جايمي كان متحمساً جداً لدرجة أنه بالكاد التزم بالأمر.

"حصلت عليها! حصلت عليها! جلب لي عمّي الدراجة!"، صرخ للجميع، فيما أدار جاك أسطوانة أغاني العيد. وفجأة، بدا المنزل كله مليئاً بروح العيد. جلست الفتيات لفتح هداياهنّ أيضاً، ونجح بيتر أخيراً في إقناع جايمي بالنزول عن الدراجة لبرهة، لكي يتمكنوا من فتح هداياهم. كان جاك قد فتح مجموعة الشوسر حينها، وسترة كاشمير اشترتها لـــه ليز من محلات نيمان ماركوس. وشعرت ليز بالإثارة حين شاهدت السوار الذهبي الذي كان قد اشتراه لها جاك في اليوم السابق. كان مثالياً لها، وأحبته، تماماً مثلما أمل.

أمضوا نصف ساعة وهم يفتحون الهدايا، ويتعجبون لما حصلوا عليه، ثم عاد جايمي إلى الدراجة مجدداً، وساعده بيتر في الحفاظ على توازنها، فيما ذهبت ليز لإعداد الفطور لهم. كانت تريد أن تعدّ لهم الكعك والنقانق واللحم المقدد، وهذا هو فطورهم التقليدي يوم العيد. وفيما أعدت الوَفْل وأنشدت أغاني العيد لنفسها، جال جاك في المطبخ للبقاء بقربها، وأخبرته مجدداً عن مدى إعجابها بسوارها.

"أحبك ليز"، قال لها، وهو ينظر بحنان إليها. "هل فكرت يوماً كم نحن محظوظان؟". ألقى نظرة في اتجاه الأصوات السعيدة الآتية من غرفة الجلوس فيما قال ذلك.

"أوه، مئة مرة في اليوم، وأحياناً أكثر من ذلك". جاءت لوضع ذراعيها حوله وقبلته، وعانقها بشدة.

"شكراً على كل شيء تقومين به لأجلي... لا أعرف ما إذا استحققتك يوماً، لكن في أية حال، أنا مسرور لأننا مع بعضنا البعض". قال هذا بحنان كبير فيما أمسكها بين ذراعيه.

"أنا أيضاً"، قالت له، ثم أسرعت إلى الفرن لقلب النقانق واللحم المقدد. أعدّ القهوة وسكب عصير البرتقال فيما خبزت هي الوَفْل وأنجزت النقانق واللحم المقدد. وبعد برهة، جلسوا جميعاً لتناول الفطور، وراحوا يتحدثون عن

الهدايا، ويضحكون ويضايقون بعضهم البعض. وضع جايمي الدراجة على أرض المطبخ قربه. ولو سمحوا له، لكان جلس عليها أثناء تناوله الفطور.

"ماذا سيفعل كل واحد منكم اليوم؟"، قال جاك فيما سكب لنفسه كوباً آخر من القهوة، وتأوه الآخرون لمقدار الطعام الذي أكلوه وكم يشعرون بالانتفاخ.

"عليّ الشروع في إعداد الديك الرومي بأسرع ما يمكن"، قالت ليز، وهي تلقي نظرة سريعة على الساعة. اشترت ديكاً كبيراً وسوف يحتاج إلى معظم النهار حتى ينضج. ويتوجب على جاك إعداد حشوته الشهيرة.

قالت الفتيات إنهنّ سيجرّبن الهدايا ويتصلن بالأصدقاء. أراد بيتر الذهاب إلى منزل جسيكا مجدداً، وجعله جايمي يعده بأن يعود بسرعة ليساعده في الركوب على دراجته الجديدة، وقال جاك إنه سيمرّ بالمكتب قليلاً.

"يوم العيد؟" نظرت إليه ليز متفاجئة.

"لبضع دقائق فقط". قال لها إنه نسي أحد الملفات التي يريد العمل عليها في عطلة نهاية الأسبوع.

"لماذا لا تنسَ كل ذلك حتى الغد؟ لا تحتاج إليه اليوم"، وبخته. أصبح مثل المدمن على العمل. ومع ذلك، هذا يوم العيد.

"سوف أشعر أحسن حين أعرف أنه هنا، بحيث أستطيع النهوض غداً والعمل عليه"، قال جاك وهو ينظر باعتذار إلى زوجته.

"أهذا ما كنت تقوله لي بشأن تعلم ترك عملي في المكتب؟ مارس ما تبشر به، حضرة المحامي".

"سوف أغيب خمس دقائق، ثم أعود إلى المنزل وأعدّ الحشوة. سوف أعود قبل أن تلاحظي غيابي". ابتسم لها، وقبلها بعدما غادر الأولاد، ثم ساعدها في تنظيف الطاولة.

بقيت في المطبخ للشروع في إعداد الديك الرومي، وبعد نصف ساعة، نزل إلى الطابق الأسفل وهو يرتدي سروالاً باللون الكاكي وكنزة حمراء، بعد

أن حلق ذقنه.

"هل تحتاجين إلى أي شيء؟"، سألها قبل أن يغادر، وهزت رأسها وابتسمت له.

"أنت فقط. على عكس بعض الأشخاص الذين أعرفهم، لا أنوي العمل في عطلة نهاية الأسبوع هذه. ففي العطلات، أتوقف عن العمل".

كانت لا تزال ترتدي ثوب الحمام، وبدا شعرها الأحمر مالساً وناعماً وهو يتدلى على كتفيها، ونظرت العينان الخضراوان الكبيرتان بحنان إليه. بالنسبة إليه، لم تكن تبدو أكبر أبداً مما كانت حين تزوجا. "أحبك، ليز"، قال بنعومة وقبّلها، ثم توجه إلى الباب مع ابتسامة.

فكر فيها طوال الطريق وهو متجه إلى المكتب، وركن السيارة في مكانه الاعتيادي خارج المبنى. دخل إلى المبنى بواسطة مفاتيحه وترك الباب مفتوحاً خلفه. أوقف عمل جهاز الإنذار، ودخل إلى المكتب. عرف تماماً مكان الملف، وعرف أنه سيحتاج إلى أقل من دقيقة للعثور عليه. وكان في طريقه لتشغيل جهاز الإنذار مجدداً حين سمع خطوات في الممر. عرف أنه لا يوجد أحد آخر هنا، وتساءل ما إذا كانت ليز تبعته، لكن هذا مستبعد، فأخرج رأسه من الباب نحو الممر لرؤية من دخل بعده هو.

"مرحبا؟" قال جاك ولم يصدر أي جواب. لكنه سمع خشخشة، ومن ثم طقطقة معدنية غريبة، وحين انعطف حول زاوية، وجد نفسه فجأة أمام فيليب باركر، زوج أماندا. كشف عن مظهر بشع في وجهه، وبدا غير مرتب وقذر. ثم نظر جاك إلى الأسفل وشاهد فيليب يحمل مسدساً موجهاً إليه، وشعر بهدوء غريب فيما تحدث إلى زوج موكلته. "لا يفترض بك أن تكون هنا، فيل أخفض مسدسك".

"لا تخبرني بما يجب أن أفعله، أيها الحقير. ظننت أنك تستطيع النيل مني، أليس كذلك؟ ظننت أنك تستطيع إخافتي. حسناً، أنت لا تخيفني، بل تقرفني. لقد تلاعبت بها وجعلتها تفعل كل ما تريده، وتظن أنك تسدي لها

خدمة كبيرة. حسناً، هل تريد أن تعرف ماذا فعلت بها؟" لاحظ جاك أنه كان يبكي حينها، وأن هناك القليل من الدم على أحد أكمام باركر، وبدا مثل الشخص المجنون. شعر جاك أن الشخص الذي يحمل المسدس مجنون أو مضطرب. بدا غير عقلاني البتة وهستيرياً. "قلت لها إني سأقتلها إذا لم تتراجع... لن أدعك تفعل ذلك بي... لا يمكنك تجميد كل شيء أملكه والنيل مني هكذا.. قلت لها إني سأفعل ذلك... قلت لها... ليس لديها حق... ليس لديك حق...".

"هذا لمدة شهر فقط، فيل، إلى أن تعطينا المعلومات التي طلبناها. يمكننا إبطال ذلك في أي وقت نريد. يوم الاثنين إذا شئت. هون عليك". كان صوت جاك عميقاً وهادئاً وملطفاً، لكن قلبه كان يخفق بسرعة.

"لا، أنت هوّن عليك. لم يعد يهم الآن. لقد حطمت كل شيء. جعلتني أفعل ذلك".

"جعلتك تفعل ماذا، فيل؟". لكن جاك عرف الأمر، قبل أن ينطق به فيل باركر. كانت ليز محقة. لقد ضغطوا عليه بشدة. وفيما راقبه جاك، شعر فوراً بالخوف على أماندا. ماذا فعل باركر بها أو بالأولاد؟

"قتلتها"، قال فيل ببساطة وبدأ يبكي فيما قال ذلك. "إنها غلطتك. لم أشأ فعل ذلك. لكن توجب علي. أرادت أن تأخذ كل شيء أملكه... أرادت كل شيء، أليس كذلك؟ الحقيرة الصغيرة... لم يكن لديك حق... ما الذي كان يفترض بي فعله فيما جمّدت كل شيء؟ أتضور جوعاً؟" عرف جاك أنه من غير المجدي الإجابة عليه، وكل ما استطاع فعله الآن هو التمني ألا يكون ما قاله فيل صحيحاً.

"كيف عرفت أني هنا، فيل؟"، سأل جاك بهدوء.

"لحقت بك. كنت خارج منزلك طوال الصباح".

"أين هي أماندا؟".

"قلت لك... لقد ماتت..." مسح أنفه بكمه وتلطخ وجهه بالدم الذي كان على سترته فيما فعل ذلك.

"أين هم الأولاد؟".

"إنهم معها. تركتهم هناك"، قال وهو يبكي بهدوء.

"هل قتلتهم أيضاً؟" هز بيتر رأسه ووجه المسدس إلى رأس جاك.

"حبستهم في غرفة النوم معها". شعر جاك أن معدته انقبضت حين قال فيل ذلك. "وعليّ الآن قتلك. هذا عدل. هذه كلها غلطتك. أنت من جعلها يفعل ذلك. كانت فتاة طيبة إلى أن ظهرت أنت. إنها غلطتك، أيها الحقير".

"أعرف أنها كذلك. ليست غلطة أماندا، فيل. والآن، أنزل المسدس ودعنا نتحدث بشأن ذلك".

"أيها الحقير، لا تقل لي ماذا يجب أن أفعل وإلا قتلتك أيضاً". تحول من الحزن إلى الغضب في جزء من الثانية، وكانت عيناه تتقدان حين نظر في عيني جاك. وأدرك جاك فجأة أنه كان يعني كل كلمة يقولها، وهو قادر على تنفيذ أقواله.

"أنزل المسدس، فيل". كان صوت جاك هادئاً وقوياً فيما قام بخطوة واحدة في اتجاه فيليب باركر. "أنزله فيل".

"اللعنة عليك أيها الحقير"، قال لكنه أخفض المسدس ببطء عن هدفه الموجه إلى رأس جاك، وأدرك جاك أنه بدأ يفوز ببطء. كان فيل يرتعش، وخلال برهة، كان يريد جاك أن يقوم بخطوة ويأخذ المسدس. لم يبعد عيناه أبداً عن عيني فيل واستمر في التقدم ببطء في اتجاهه، وحين كاد أن يصل إليه، صدر صوت انفجار في الغرفة، وحدق فيه جاك مذهولاً. كان المسدس موجهاً إلى صدره، ولبرهة طويلة، لم يشعر جاك بأي شيء أبداً، وكان واثقاً من أنه لم يصبه، لكن الرصاصة اخترقته بقوة لدرجة لم يشعر بها. وقف حيث هو وراقب، فيما هو عاجز عن التحرك أو رفع ذراعيه، فيما وضع فيل باركر

المسدس في فمه، وضغط على الزناد، وفجر رأسه فيما تناثر دمه ودماغه على كل الحائط خلفه. شعر جاك بقنبلة تصدمه في الصدر، وركع على ركبتيه، محاولاً فهم ما حصل. لقد حصل كل شيء بسرعة كبيرة. عرف أنه عليه الاتصال بأحد قبل أن يفقد الوعي، واستطاع رؤية الهاتف على المكتب فيما انحنى ببطء نحوه. استطاع بالكاد الوصول إليه، وفيما أمسك السماعة وأنزلها صوبه، طلب رقم الإسعاف. استطاع سماع الصوت في أذنه فيما سقط على الأرض، لكنه كان بالكاد يستطيع التنفس الآن.

"طوارئ الشرطة".

"تعرضت لطلق ناري..." نجح في إخراج الكلمات، لكنه شاهد الدم الأحمر يتدفق من كنزته على السجادة حيث كان مستلقياً.

كرروا رقم هاتفه والعنوان على مسامعه، فيما أمسك جاك بالهاتف وأكد ذلك وأخبرهم أن الباب مفتوح. "اتصلوا بزوجتي"، قال بصعوبة، وشعر بعينيه تغمضان حين أعطاهم رقمها.

"سيارة الإسعاف في طريقها. سيكونون هناك في أقل من ثلاث دقائق"، قال الصوت وواجه مشكلة في فهم ما يقولونه. لماذا سيارة إسعاف؟ لماذا يرسلون سيارة إسعاف؟ لا يستطيع أن يتذكر. كل ما أراده هو ليز. وفيما أغلق عينيه واستلقى على الأرض، شعر بالبرد والرطوبة، واستطاع سماع صفارة الإسعاف في البعيد. تساءل ما إذا كانت هذه ليز، ولماذا تصدر مثل هذه الضجة. ثم فجأة، استطاع سماع أصوات من حوله، وشعر أن أحداً كان يحركه. وضعوا شيئاً على وجهه، وكانوا يمزقون ثيابه ويسحبونه، وكانت الأصوات تصرخ عالياً. لا يستطيع أن يتذكر لماذا هم هنا أو ما الذي حدث. وأين هي ليز؟ ماذا فعلوا بها؟ شعر بنفسه ينزلق في العتمة، لكن شخصاً استمر في مناداته. كل ما يريده الآن هو ليز، وليس هؤلاء الأشخاص الذين يصرخون عليه. من هم؟ وأين هي زوجته والأولاد؟

كانت ليز لا تزال في المطبخ في ثوب الحمام حين اتصلوا. كان هذا بعد

عشر دقائق تقريباً من مغادرة جاك، وأحست فجأة أن هذه قد تكون أماندا. لكنها تفاجأت حين سمعت صوتاً غريباً على الهاتف. قال المتصل إنه ضابط في الشرطة وأن زوجها أصيب في مكتبه وأنه طلب منهم الاتصال بها. وقد توجهت سيارة الإسعاف أصلاً إلى المكتب.

"زوجي؟" تساءلت ما إذا كانت هذه مزحة. ليس هذا منطقياً. لقد غادر قبل دقائق فقط. "هل تعرض لحادث سيارة وهو في طريقه؟". لكنه لم يتصل بها بنفسه. كان هذا جنون.

"قال المتصل إنه تم إطلاق النار عليه"، قال الضابط بهدوء.

"إطلاق النار عليه؟ جاك؟ هل أنت واثق؟".

"لم يصلوا إلى المكان بعد، لكن المتصل طلب منا الاتصال بزوجته، وأعطانا رقمك. قد ترغبين في الذهاب فوراً". فيما استمعت ليز إليه، فكرت في الصعود إلى الطابق الأعلى لارتداء ملابسها، ثم قررت ألا تفعل ذلك. إذا كان هذا صحيحاً، وجاك أصيب بأذى، عليها التوجه إلى هناك بسرعة. شكرت الصوت على الهاتف وركضت إلى أسفل السلم لمناداة بيتر وطلبت منه الانتباه إلى جايمي.

"سوف أعود خلال دقائق"، قالت لـــه حين أجابها، ولم تنتظر حتى تشرح لــــه الأمر. أمسكت بمفاتيح سيارتها عن رف المطبخ، وتوجهت نحو الباب وهي في ثوب الحمام. وما إن صعدت إلى سيارتها، ورجعت إلى الخلف في طريق المركبات، وجدت نفسها تدعو... إجعله بخير... أرجوك إلهي... إجعله بخير... أرجوك... بقيت الكلمات التي سمعتها على الهاتف ترن في رأسها... قال المتصل إنه تم إطلاق النار عليه... نار... نار... كيف يمكن ان يكون تعرض جاك لإطلاق النار؟ هذا جنون. إنه يوم العيد وعليه إعداد الحشوة. وكل ما استطاعت التفكير به هو وجهه فيما ابتسم لها وخرج من المطبخ بسرواله الكاكي وكنزته الحمراء... تم إطلاق النار عليه...

وصلت إلى مرآب السيارات خارج مبنى المكتب بسرعة جنونية

وشاهدت سيارتين للشرطة وسيارة إسعاف مع أضوائها الوامضة. ركضت إلى الداخل بأسرع ما يمكن لرؤية ما حدث. أسرعت على السلالم وهي تقول اسمه... جاك... جاك... كما لو أنها تناديه... لتجعله يعرف أنها قادمة، ولم تستطع رؤيته حين دخلت. كل ما استطاعت رؤيته هو مجموعة رجالْ الشرطة والمسعفين يحومون حوله. كان المسعفون يحاولون إنقاذه وشاهدت حائط الدم حيث أطلق فيل باركر النار على نفسه، وشعرت بالدوار لحظة شاهدت ذلك. كان جسمه تحت الحائط، مغطى بشرشف. ثم، ومن دون تفكير، أزاحت أحد رجال الشرطة ووجدت نفسها تنظر فجأة إلى زوجها. كان بلون الاسمنت، وكانت عيناه مغلقتين، فيما وضعت فوراً يداً فوق فمها ولهثت، وركعت على ركبتيها قربه. وكما لو أنه عرف أنها موجودة هنا، فتح جاك عينيه. لقد وضعوا حقنة في ذراعه وكانوا يفعلون شيئاً للجرح في صدره. أما الكنزة التي مزقوها فكانت موضوعة على السجادة الملطخة بالدم قربه. كان الدم في كل مكان، عليه وعليهم وعلى السجادة تحته، وفيما انحنت فوقه، أصبح الدم عليها كلها أيضاً، لكنه ابتسم حين رآها.

"ماذا حدث؟"، سألت، وهي خائفة جداً لاستيعاب ما حصل، أو فهمه.

"باركر"، قال بهمس وأغلق عينيه مجدداً، فيما نقلوه برفق وبسرعة إلى حمّالة، لكن عينيه ارتدتا إلى الخلف في رأسه حين فعلوا ذلك، ثم نظر إليها مجدداً وقطب وجهه، مصمماً على قول شيء لها. "أحبك... لا بأس، ليز..." حاول التمدد للمسها بيده، لكنه لم يملك القوة على ما يبدو، وفيما ركضت قرب الحمالة معهم، شاهدته وهو يفقد الوعي وغمرها فجأة إحساس كبير بالذعر. لم يفلحوا في وقف النزف، وكان ضغط دمه ينخفض على نحو تتعذر السيطرة عليه. أمسكها شخص ما بقوة بذراعها وأقحمها في سيارة الإسعاف، وأغلق الباب، وابتعدوا عن المبنى، فيما كان رجلا الإسعاف يعملان على نحو مسعور، ويتكلمان باقتضاب إلى بعضهما البعض. لكنه لم يفتح عينيه مجدداً أو يتحدث إليها، وجلست على الأرض تفكر في ما حدث، عاجزة عن تصديق ما

كانت تراه أو ما كانت تسمعه. وفجأة، بدأ أحد المسعفين يضغط على صدر جاك، فيما تناثر الدم في كل مكان. بدت سيارة الإسعاف مليئة بدم جاك وكانت هي مغطاة به، واستطاعت سماع المسعف الآخر يقول مراراً وتكراراً... لا نبض... لا ضغط دم... لا خفقان للقلب... فيما حدقت فيهما مذعورة. وحين وصلوا إلى المستشفى، التفتا ونظرا إليها، وعمد الرجل الذي ضغط على صدر جاك إلى هزّ رأسه مع نظرة أسف.

"أنا آسف".

"افعل شيئاً... عليك فعل شيء... لا تتوقف... أرجوك، لا تتوقف..." كانت تبكي. "أرجوك لا...".

"لقد رحل... أنا آسف...".

"لم يرحل... لم يرحل...".

بكت وانحنت إلى الأسفل وأمسكت جاك بقربها. كان ثوب الحمام ملطخاً بالأحمر عندئذ، لكنها شعرت به ميتاً بين ذراعيها، وكان قناع الأوكسجين يصفر. ثم أبعدوها عنه وادخلها شخص ما إلى المستشفى، وأجلسها، ولفها ببطانية، وكانت هناك أصوات غريبة من حولها. أدخلوا الحمالة إلى المستشفى عندئذ، وحين نظرت إلى الأعلى، شاهدت أنهم غطوه ببطانية، وكان وجهه مغطى. أرادت أن تنزع البطانية عن وجهه ليتمكن من التنفس، لكنهم تجاوزوها. لم تعرف إلى أين كانوا يأخذونه، ولم تستطع التحرك. لم تستطع فعل أي شيء. لم تستطع التفكير. لم تستطع التحدث. لم يكن هناك شيء تستطيع فعله الآن، ولم تعرف أين هو جاك.

"سيدة سوثرلاند؟" كانت ممرضة تقف أمامها وتحدثت إليها أخيراً. "أنا آسفة جداً بشأن زوجك. هل من شخص سيأتي لأخذك؟".

"لا أعرف... أنا... أين هو؟".

"لقد أنزلناه إلى الطابق الأسفل". كان صوتها مشؤوماً وكرهت ليز ذلك.

"هل تعرفين إلى أين تريدين أخذه؟".

"أخذه؟" نظرت إليها ليز بفراغ، كما لو أنها تتحدث لغة غريبة.

"عليك إجراء الترتيبات".

"ترتيبات؟" كل ما استطاعت ليز فعله هو تكرار كلماتها. لا تستطيع التفكير أو التحدث مثل شخص عادي. ماذا فعلوا بجاك؟ وماذا حدث؟ لقد تم قتله. أين هو؟

"هل من شخص تودين أن أتصل به؟".

لم تعرف ليز حتى بما تجيب. بمن ستتصل؟ ماذا كان يُفترض بها أن تفعل الآن؟ كيف حدث ذلك؟ كان سيذهب إلى المكتب لبضع دقائق فقط لإحضار ملف، وعليه إعداد الحشوة. وفيما حاولت فهم الأمر، اقترب منها أحد رجال الشرطة.

"سوف نصطحبك إلى المنزل حين تصبحين جاهزة". نظرت إليه ليز بفراغ، وتبادلا هو والممرضة نظرة خاطفة. "هل سيكون أحد في المنزل حين نصطحبك إلى هناك؟".

"أولادي"، قالت ليز بصوت خشن، فيما حاولت النهوض، لكن ساقيها كانتا ترتعشان وبالكاد تستطيعان دعمها، فيما وضع رجل الشرطة ذراعاً حولها لدعمها.

"هل من شخص آخر تودين أن اتصل به؟".

"لا أعرف". بمن أرادت أن تتصل؟ سكرتيرته، جان؟ كارول؟ أمها في كونيكتيكوت؟ ومن دون تفكير، أعطت أرقام جان وكارول.

"سوف نطلب منهما موافاتك إلى المنزل". أومأت ليز برأسها، فيما توجه رجل شرطة آخر لإجراء الاتصالات، وعرضت عليها الممرضة رداء نظيفاً من المستشفى للذهاب به إلى المنزل، وساعدتها على خلع الثوب الذي كانت ترتديه وكان أحمر اللون الآن نتيجة دم جاك. كان ثوب نومها ملطخاً بالدم

أيضاً، لكنها لم تغيره. عرفت أن هناك أصدقاء يمكن الاتصال بهم، لكنها لم تستطع التفكير في هوياتهم الآن. لم تستطع التفكير في أي شيء، سوى جاك، مستلقياً هناك، ويهمس لـــها أنه يحبها. شكرت الممرضة على الرداء ووعدتها بأن تعيده إليها، ثم مشت عارية القدمين في رواق المستشفى وإلى الخارج عند رجال الشرطة الذين كانوا في انتظارها في سيارة الشرطة. طلبت منها الممرضة أن تتصل بهم حين تنجز الترتيبات. حتى الكلمة بدت بشعة بالنسبة إليها.

لم تتفوه ليز بأي صوت حين دخلت إلى سيارة الشرطة، ولم تعرف حتى إنها كانت تبكي فيما انهمرت الدموع على وجنتيها وحدقت أمامها عبر الشبك للنظر إلى الشرطيين اللذين يعيدانها إلى المنزل. فتحا باب السيارة لها وساعداها على الخروج منها حين وصلوا إلى هناك، وعرضا عليها الدخول معها. لكنها هزت رأسها وبدأت تبكي بقوة حين مشت كارول في الممشى في اتجاهها ووصلت جان في اللحظة نفسها. وفجأة، كانت المرأتان تمسكان بها ورحن هنّ الثلاثة يبكين بقوة. كان يصعب التصديق أن هذا حدث لهنّ. لم يكن يفترض ذلك. إنه مخيف جداً ليكون صحيحاً. لقد علقت في كابوس. لا يمكن أن يكون جاك قد رحل. فمثل هذه الأشياء لم تحدث للأشخاص الحقيقيين.

"لقد قتل أماندا أيضاً"، قالت جان عبر دموعها فيما وقفن يمسكن ببعضهن البعض. فالشرطي الذي اتصل بها أعطاها التفاصيل. "الأولاد على ما يرام، أو أحياء على الأقل. شاهدوه وهو يقتلها. لكنه لم يؤذهم". لقد قتل فيليب باركر أماندا وجاك، ثم نفسه. إنها موجة مدمرة أصابتهم جميعاً. أصبح أولاد آل باركر أيتاماً. لكن كل ما استطاعت ليز التفكير به الآن هو ما كانت ستقوله لأولادها، وعرفت أنه لحظة يرونها سوف يعرفون أن شيئاً مريعاً حدث. كان هناك دم في شعرها، فيما ثوب النوم المشبع بالدم لطّخ الرداء القطني الذي أعطوه لها في المستشفى، وبدت كأنها تعرضت لحادث بنفسها. بدت مثل امرأة وحشية فيما وقفت هناك، تحدق بفراغ في المرأتين.

"هل أبدو مريعة جداً؟" سألت ليز كارول، فيما مسحت أنفها، وتحاول استعادة رباطة جأشها أمام أولادها.

"مثل جاكي كنيدي في دالاس"، قالت كارول بفظاظة، وانكشمت ليز خوفاً عند سماعها ذلك.

نظرت إلى الرداء القطني الرمادي مع بقع الدم المنتشرة عليه. "هل يمكن أن تجلبي لي رداء نظيفاً؟ سوف أنتظر في المرآب... ومشطاً...". وقفت تبكي في ذراعيّ جان فيما انتظرت، وتحاول فهم ما جرى، وتفكر في ما ستقوله لأولادها. ما من شيء تستطيع قوله لهم سوى الحقيقة، لكنها عرفت أنه مهما ستقول الآن، وكيفما قالته لهم، سوف يؤثر فيهم لبقية حياتهم. إنها مصيبة كبيرة. وكانت لا تزال تبكي من دون سيطرة حين عادت كارول مع المشط وثوب حمام وردي نظيف. وضعته فوق الثوب القطني الرمادي ومشطت شعرها من دون أن تنظر.

"كيف أبدو الآن؟" سألتهما، فهي لا تشاء إخافة أولادها قبل أن تتحدث إليهم.

"بصدق؟ تبدين غريبة، لكنك لن تخيفي الأولاد بهذا المنظر. هل تريدين أن نأتي معك؟". أومأت ليز برأسها، ولحقا بها إلى المنزل من المرآب، مباشرة إلى المطبخ. سمعن الأولاد في غرفة الجلوس، بعضهم على الأقل، وطلبت من المرأتين الانتظار في المطبخ، إلى أن تخبر الأولاد. شعرت أنها تدين لهم بأن تكون وحدها معهم، لكن لم يكن لديها أي فكرة عن كيفية فعل ذلك.

كان بيتر وجايمي يلعبان على الأريكة حين دخلت، يضايقان بعضهما ويضحكان، ونظر إليها جايمي قبل أن يفعل بيتر، وبدا أن كيانه كله توقف حين رآها.

"أين أبي؟" سأل وكأنه عرف. لكن أحياناً، كان يرى جايمي أشياء لا يراها الآخرون.

"ليس هنا". قالت ليز بصدق، وهي تحاول الحفاظ على السيطرة. "أين

هنّ الفتيات؟".

"في الطابق الأعلى"، قال بيتر بعينين قلقتين. "ما الخطب أمي؟".

"إذهب وأحضرهنّ حبيبي. من فضلك؟" أصبح هو سيد العائلة الآن، رغم أنه لا يعرف ذلك بعد.

من دون أية كلمة، صعد بيتر السلم، وبعد برهة، عاد مع شقيقاته. بدوا جميعاً جادين كما لو أنهم أحسوا أن حياتهم على وشك أن تتغير إلى الأبد، وحدقوا في أمهم الجالسة على الأريكة وهي تبدو مذهولة.

"تعالوا واجلسوا"، قالت لهم بأكبر هدوء ممكن، وبطريقة غريزية، تحلقوا حولها، فيما تمددت ولمست كل واحد منهم وبدأت الدموع تنهمر على وجنتيها على رغم كل الجهود التي بذلتها لإيقافها. كانت تلمس كل أياديهم فيما نظرت إليهم، وشدت جايمي بقربها.

"لدي شيء مريع أقوله لكم... لقد حدث شيء مريع للتو...".

"ماذا حدث؟"، قالت ميغان ونبرة الذعر في صوتها، وبدأت تبكي قبل الآخرين. "ما الأمر؟".

"إنه البابا"، قالت ليز ببساطة. "أطلق عليه النار زوج إحدى موكلاتنا".

"أين هو؟" سألت آني وبدأت تبكي مثل شقيقتها، فيما حدق فيها بيتر والآخرون غير مصدقين، كما لو أنهم لا يستطيعون فهم ما حدث. لكن كيف يمكنهم؟ فلا تزال ليز عاجزة أيضاً عن فهم الأمر.

"إنه في المستشفى"، لكنها لم تشأ تضليلهم إذ عرفت أنه عليها إخبارهم، مهما كان الأمر مريعاً، وتوجيه تلك الصفعة التي لن ينسوها أبداً. فمن الآن وصاعداً، عليهم العيش مع هذه اللحظة، وتذكرها مليون مرة... إلى الأبد. "إنه في المستشفى لكنه مات منذ نصف ساعة... وكان يحبكم كلكم كثيراً...". جعلت كل واحد منهم يقترب منها، ووضعت ذراعيها حولهم جميعاً، في باقة واحدة، وهي تشدهم نحوها فيما صرخوا رعباً. "أنا آسفة جداً..." قالت ليز

عبر تنهداتها. "أنا آسفة جداً...".

"لا!" صرخت الفتيات دفعة واحدة، وكان بيتر غارقاً في بكائه فيما حدّق جايمي في أمه ونهض، وتحرر من عناقها وابتعد عنها ببطء.

"لا أصدقك. هذا ليس صحيحاً"، قال، ثم ركض إلى أعلى السلم، فيما لحقت به ليز بسرعة. وجدته متقوقعاً في زاوية من الغرفة، أشبه بكرة، يبكي، ويضع ذراعيه فوق رأسه كما لو لحماية نفسه من صفعة كلماتها ورعب ما حدث لهم. رفعته بصعوبة وجلست على سريره معه، تعانقه فيما بكيا معاً.

"كان والدك يحبك كثيراً، جايمي... أنا آسفة جداً لأن هذا حصل".

"أريده أن يعود الآن"، قال جايمي عبر بكائه، واستمرت ليز في معانقته.

"وأنا أيضاً". لم تعرف أبداً حزناً مثل هذا، ولم يكن لديها فكرة عن كيفية توفير العزاء لهم. ما من عزاء.

"هل سيعود؟".

"لا، صغيري. لا يستطيع العودة. لقد رحل".

"إلى الأبد؟". أومأت برأسها، عاجزة عن قول الكلمة بنفسها. أمسكته لبضع دقائق إضافية ثم وضعته على السرير ببطء ونهضت فيما أمسكت يدها بيده.

"دعنا نذهب إلى الآخرين". أومأ جايمي برأسه وتبعها إلى الأسفل. كان الآخرون يمسكون ببعضهم البعض وبيكون، وكانت كارول وجان معهم. كانت غرفة مليئة بالدموع والحزن والكرب، وأصبحت الزينة والهدايا المفتوحة مثل إهانة الآن. لا يعقل أنه قبل ساعتين، فتحوا جميعاً الهدايا معاً وتناولوا الفطور، وقد رحل الآن. إلى الأبد. ما كان ممكناً تصديق ذلك ولا تحمّله. إلى أين ذهب الإنسان من هنا؟ كيف فعل الإنسان ذلك؟ لم تكن تملك ليز أية فكرة عما يجب فعله الآن. لكن شيئاً فشيئاً، قليلاً قليلاً، رويداً رويداً، عليها أن تفعل ما هو مفترض منها، وعرفت ذلك.

جمعتهم جميعاً في المطبخ، وبدأت تبكي بقوة مجدداً حين لاحظت أن فنجان قهوته وفوطته ما زالا هناك. وضعتهما كارول بعيداً بهدوء، وصبّت كوباً من الماء لكل منهم وجلسوا بيكون معاً لما بدا ساعات طويلة، ثم أخذتهم جميعاً إلى الطابق الأعلى لكي تتمكن ليز وجان من إعداد كل الترتيبات. توجّب الاتصال بالأشخاص، وإبلاغ أهله الذين عاشوا في شيكاغو وعليهم المجيء. شقيقه في واشنطن. أمها في كونيكتيكوت، وشقيقها في نيو جرسي. توجّب الاتصال بالأصدقاء، والصحيفة، ودار الدفن. كان عليها أن تقرر ما تريد فعله والاتصال بالزملاء والشركاء السابقين والزبائن. دوّنت جان ملاحظات سريعة فيما تحادثا. كان يجب أن تحدد ليز نوع الخدمة التي تريدها. هل تريده حرق جثته أم دفنه؟ لم يتحدثا أبداً بشأن ذلك، وشعرت ليز بالقرف فيما فعلا ذلك الآن. كان هناك الكثير من الأمور الواجب التفكير فيها وفعلها. تفاصيل صعبة ومحرجة يجب التعاطي بها. يجب كتابة النعي، والاتصال بدار الدفن. وكل هذا حزين، ويستحيل تصديقه، ومخيف جداً.

وفيما أصغت ليز إلى جان، شعرت بموجة من الذعر تسيطر عليها، وحدقت فجأة في المرأة التي عملت معهما طوال ستة أعوام وكل ما أرادت فعله هو الصراخ. لا يمكن أن يحدث هذا لهم. أين هو؟ وكيف ستعيش من دونه؟ ماذا سيحدث لها ولأولادها؟

وكل ما فعلته في النهاية هو خفض رأسها والبكاء، فيما ضربتها المصيبة بكل قوة مجدداً، مثل القطار السريع. تم إطلاق النار على زوجها وقتله على يد مجنون. لقد رحل جاك. وأصبحت وحيدة الآن مع الأولاد.

الفصل الثالث

في بقية اليوم، شعرت ليز كأنها تتحرك تحت الماء. تم الاتصال بالأشخاص. جاءت وجوه ورحلت. وصلت الأزهار. كانت تشعر بألم كبير حقيقي، وانتابتها موجات من الذعر بقوة كبيرة بحيث كانت واثقة من أنها ستغرق فيها. والحقيقة الوحيدة التي استطاعت التفكير بها الآن كان القلق المستمر بشأن أولادها. ماذا سيحدث لهم؟ كيف سيخرجون من هذه المحنة؟ وكان الحزن الكبير في وجوههم مرآة لحزنها هي. لا يمكن أن يحدث هذا لهم، لكنه حصل، وما من شيء كان يمكن فعله الآن لوقفه أو جعل الأمر أفضل لهم. كان إحساسها بالعجز كبيراً وطاغياً. كانت تعيش بقوة حياة كبيرة جداً لا تعرف الحدود، وشعرت كأنه تم دفعها على جدار، ولا تستطيع فعل أي شيء لوقف ذلك. لكنهم قد ارتطموا بالجدار، صباح اليوم الذي أطلق فيه فيليب باركر النار على زوجها.

أحضر الجيران الطعام، واتصلت جان بكل الأشخاص الذين استطاعت تذكرهم، بمن فيهم فيكتوريا واترمان، الصديقة الحميمة لليز في سان فرانسيسكو. إنها محامية أيضاً، رغم أنها توقفت عن ممارسة المهنة قبل خمسة أعوام للبقاء في المنزل مع أولادها الثلاثة. أنجبت ثلاثة توائم نتيجة التلقيح الاصطناعي، بعد سنوات من المحاولة، وقررت أنها تريد البقاء في المنزل معهم، للاستمتاع بذلك. كانت فيكتوريا الوجه الوحيد الذي استطاعت ليز التركيز عليه وتذكره. أما الآخرون فبدوا جميعاً غامضين، ولم تستطع ان تتذكر من ساعة إلى أخرى الأشخاص الذين كانوا هنا وتحدثت إليهم. وصلت فيكتوريا بهدوء مع حقيبة صغيرة. كان قد وافق زوجها على الاعتناء بالصبيان

لأنها قررت البقاء لبعض الوقت. ولحظة شاهدتها ليز تقف في باب الغرفة، بدأت تبكي وجلست فيكتوريا معها لساعة فيما بكت، وأمسكت بها.

لم يكن هناك من شيء تستطيع فيكتوريا قوله، وما من كلمات تستطيع تقديمها لها لجعل الأمور على ما يرام، ولذلك لم تحاول حتى. جلستا هناك، تمسكان ببعضهما البعض وتبكيان معاً. حاولت ليز أن تشرح ما حصل، لاستيعاب الأمر بنفسها على الأقل، لكن هذا غير مجدٍ، خصوصاً بالنسبة إليها، فيما راجعت كل ما حصل ذلك الصباح. كانت ليز لا تزال ترتدي ثوب النوم الملطخ بالدم ورداء المستشفى حين وصلت فيكتوريا، وبعد برهة، ساعدتها فيكتوريا على خلعهما ووضعتهما برفق في مغطس الاستحمام. لكن شيئاً لم يغير أي شيء، ولم ينجح أي شيء في المساعدة، سواء أكلت أو شربت أو بكت أو تحدثت او لم تفعل. فالنتيجة ما زالت هي نفسها مهما قلبت المسألة في عقلها ومهما راجعت ما حصل. بدا مثل القول إن النتيجة ستكون مختلفة هذه المرة، لكنها لم تكن.

كل ما أرادته ليز هو الدخول والخروج من غرفة نومها للتحقق من أولادها. كانت كارول تجلس مع جايمي والفتيات، فيما ذهب بيتر إلى منزل جسيكا لبرهة، وكانت جان تجري اتصالات هاتفية لامتناهية. حاولت فيكتوريا إقناع ليز بالاستلقاء، لكنها لم تفعل. وبعد الظهر، قالت جان بتجهم إنه توجب على ليز التفكير في "الترتيبات". لقد أصبحت تكره هذه الكلمة، ولا تريد سماعها مجدداً. ففي صلبها كمن كل الرعب الذي حصل لهم للتو. ترتيبات. إنها عنت اختيار دار الدفن.

وصل شقيق جاك من واشنطن تلك الليلة، وأهله من شيكاغو، وذهبوا إلى دار الدفن مع ليز في اليوم التالي لفعل ما يجدر بهم فعله. ذهبت جان معهم، ورافقتهم فيكتوريا، وأمسكت بيد ليز حين بدأت تبكي بشدة على نحو تعذّر السيطرة عليه. بدا وكأنها لم تعد تملك أية سيطرة على نفسها، وغير قادرة على توقيف أو تغيير الموجة المستمرة من العواطف التي تغمرها. لقد وضعها

القدر أمام موجة عملاقة ولا مجال أبداً للعودة بأمان إلى الشاطئ. تساءلت ما إذا كانت ستشعر بالأمان أو الحالة السوية مجدداً، أو تتمتع بسلامة العقل، أو تتمكن من الضحك أو الابتسام، أو تقرأ المَجلة، أو تفعل أي شيء من الأشياء العادية التي يقوم بها الأشخاص. بدت الزينة لديهم مثل اتهام، وذكرى بشعة، وشبح العيد، كلما مرت أمامها.

كان هناك قرابة العشرة أشخاص على طاولة العشاء تلك الليلة. فيكتوريا، كارول، جان، جايمس شقيق جاك، والذي جرت تسمية جايمي تيمناً به، أهله، شقيقها، جون، الذي لم تكن أبداً مقربة منه، صديقة بيتر، جسيكا، وصديق من لوس أنجلس ذهب جاك معه إلى المدرسة، والأولاد. جاءت وجوه أخرى ورحلت، ورن جرس الباب، ووصلت الأزهار والطعام. بدا فجأة كأن العالم بأسره عرف، ونجحت جان في إبقاء الصحف بعيداً عن المنزل. كان هذا العنوان الرئيسي في صحيفة المساء، وشاهد الأولاد القصة على الأخبار في التلفزيون، لكن ليز طلبت منهم إطفاء التلفزيون حين رأت ما يشاهدون.

وفيما تحدثوا بشأن ترتيبات الدفن على طاولة العشاء بعدما صعد الأولاد إلى الطابق الأعلى، رن جرس الباب وأجابت كارول. إنها ام ليز، هيلين، وقد وصلت للتو من كونكتيكوت، وبدأت تبكي لحظة رأت ابنتها.

"أوه، يا إلهي، ليز... تبدين مريعة...".

"أعرف أمي. أنا آسفة... أنا..." لم تعرف ما تقوله لها، خصوصاً وأن العلاقة التي تشاركاها لم تكن أبداً ودودة جداً او مريحة بالنسبة إلى ليز. كان من الأسهل دوماً التعاطي معها عن بعد. وكان جاك يتصرف دوماً بمثابة ممتص الصدمات حين تعلن أمها عدم موافقتها على ما كانا يفعلانه. لم تسامحها ليز أبداً على عدم توفيرها الدعم أو الحنان لحفيدها الأصغر. فقد رأت أمها أنه من الحماقة إنجاب ولد خامس في أية حال. فأربعة أولاد بدوا كثيرين بالنسبة إليها، فيما الخمسة أولاد هم "أمر سخيف ومفرط"، حسب هيلين.

قدمت لها كارول العشاء، لكن هيلين قالت إنها أكلت في الطائرة، وجلست على مائدة المطبخ مع الآخرين وسمحت لجان بأن تصب لها فنجان قهوة. "يا إلهي، ليز، ماذا تفعلين الآن؟" غاصت مباشرة في عمق المسألة، من دون أن تنتظر حتى تشرب القليل من قهوتها. كان الآخرون يتقدمون ببطء خلال النهار، دقيقة دقيقة، يحاولون ألا يتطلعوا أبعد من الساعة التالية وألا يوجهوا أسئلة مزعجة. لكن أم ليز لم تكن أبداً من النوع الذي يدرس الكلمات أو يتردد في الهجوم حيث لا يجدر بها ذلك. "عليك التخلي عن المنزل. سيكون صعباً جداً عليك إدارته وحدك... وإغلاق مكتبك. لا يمكنك فعل ذلك من دونه". كان هذا هو تماماً ما شعرت به ليز وكانت خائفة منه. وكالعادة، توجهت أمها إلى صميم الرعب ووضعته في وجهها، وأقحمته في حنجرتها وأنفها إلى أن استطاعت بالكاد التنفس حين فكرت في الأمر. بدا ذلك صدى لما كانت قد سمعته قبل تسعة أعوام... لن تحاولي إبقاء هذا الطفل في المنزل، أليس كذلك؟ يا إلهي ليز، إن وجود طفل مثل هذا في المنزل سيدمر الأولاد الآخرين. يمكن الاعتماد دوماً على أمها في الإفصاح عن أعظم مخاوف أي شخص. "صوت الشؤم"، هكذا أسماه جاك على الدوام، لكنه كان يضحك عند قول ذلك. ولطالما ذكرها جاك بأنها لا تستطيع إقناعك بفعل شيء لا تريده. لكن أين هو الآن؟ وماذا لو كانت محقة؟.. ماذا لو توجب عليها التخلي عن المنزل، وإغلاق مكتبهما؟ كيف ستعيش من دونه؟

"كل ما علينا فعله الآن هو بلوغ يوم الاثنين"، قاطعت فيكتوريا بحزم. حددوا أن تكون المعاينة في دار الدفن في عطلة نهاية الأسبوع، فيما الدفن يوم الاثنين في سانت هيلاري. "أما الباقي فسيعتني بنفسه". إن الدفن يوم الاثنين هو هدفهم، والمكان الذي يجب أن تركز عليه ليز. بعد ذلك، سوف يساعدونها جميعاً على لملمة نفسها، مثلما هم الآن لها، وعرف كل شخص على الطاولة أنه لا داعي لأن تقلق بشأن الصورة الكبيرة. كان هذا سيئاً كفاية، وفيما جلسوا هناك، استمر عقل ليز في تذكر العيد. كان فعلاً كابوساً سيبقى معهم إلى الأبد.

لن يُعدوا الأولاد أبداً الزينة مجدداً، أو يسمعوا أغاني العيد، أو يفتحوا هدية من دون أن يتذكروا ما حدث لوالدهم صباح العيد، وما كانت حال كل واحد منهم بعد حصول ذلك. بدت ليز محطمة فيما نظرت حول الطاولة إلى الأشخاص الذين اجتمعوا معاً لمساعدتها.

"هيا، لمَ لا تصعدين إلى الطابق الأعلى وتستلقين"، قالت فيكتوريا بهدوء. كانت امرأة صغيرة لها شعر داكن وعينان بنيتان، وصوت صارم يأمرك بعدم المناقشة معها. لكن قوتها هي ما احتاجت إليه ليز بالضبط. وحين كانت لا تزال تمارس المحاماة، اعتادت ليز على القول لها إنها تمثل الرعب في قاعة المحكمة. كانت متخصصة في قانون الإصابات الشخصية، وقد حققت بعض المبالغ الطائلة لزبائنها. لكن التفكير في ذلك ذكّر ليز بجاك مجدداً، وأماندا، وكل ما كان قد حصل. كانت ليز تبكي مجدداً فيما صعدت ببطء على السلم متوجهة إلى غرفتها وفيكتوريا مباشرة خلفها.

طلبت منها ليز أن تجعل بيتر ينام في غرفة جايمي، وأن تضع أمها في غرفة بيتر. أما شقيق جاك، جايمس، فنام على الأريكة في مكتب جاك قرب غرفة نومهما، وشقيقها هي في غرفة الجلوس. كان المنزل مكتظاً تماماً. نامت جان في السرير الآخر الموجود في غرفة كارول، فيما طلبت ليز من فيكتوريا أن تنام معها في السرير المزدوج معها. كانوا هناك مثل جمع غفير خيري، مستعدين لمحاربة الحزن معها. وأينما نظرت ليز، بدا لها أنه يوجد أشخاص. كان بيتر وجسيكا يتحدثان في غرفة إحدى الفتيات، حين مرت أمامهما، وكان جايمي يجلس في حضن ميغان. بدوا هادئين، ولا يبكون، وجعلت ليز فيكتوريا تقودها إلى غرفتها. استلقت على السرير وهي تشعر كأنه تم ضربها بشدة، وحدقت في السقف.

"ماذا لو كانت أمي محقة، فيكتوريا؟ ماذا لو توجب علي بيع المنزل والتخلي عن مهنتنا؟".

"ماذا لو أعلنت الصين الحرب علينا، وانفجر المنزل يوم الدفن؟ هل

تريدين توضيب الأغراض الآن أو تنتظرين قليلاً؟ إذا وضبت الأغراض الآن، يمكن أن تصبح الأشياء مجعدة، لكن إذا انتظرت يمكن أن تتبعثر أشياؤك إذا أسقطوا قنبلة على المنزل... ما رأيك ليز، الآن أم لاحقاً؟" كانت تبتسم، وضحكت ليز للمرة الأولى منذ ذلك الصباح. "أظن أن أمك تثير مشاكل لا تحتاجين إلى القلق بشأنها، الآن حتماً، وربما أبداً. ما تقوله لك هو إنك محامية ضعيفة ولا تستطيعين العمل من دونه؟ مهلك. لطالما قال جاك إنك محامية أفضل منه". وكانت فيكتوريا تؤمن في ذلك. كانت تملك ليز معرفة هائلة في القانون، وما تفتقر إليه في التبجح والشجاعة عوّضت عنه بالمهارة والدقة.

"قال ذلك فقط ليكون لطيفاً"، قالت ليز فيما الدموع تلألأت في عينيها مجدداً... يا إلهي، يستحيل التفكير بأنه ليس هنا. أين هو؟ أرادته أن يعود، الآن. صباح أمس، كانا نائمين في السرير نفسه الذي تستلقي عليه، وقد مارسا الحب في الليلة التي سبقت ذلك. انهمرت الدموع على وجنتيها حين فكرت في ذلك. ما كانت تريد أن تمارس الحب أبداً مجدداً، لن تكون معه أبداً مجدداً، ولن تحب أياً كان مجدداً. بدا أن حياتها انتهت، تماماً مثل حياته.

"أنت تعرفين القانون أفضل من أي محامٍ آخر أعرفه". حاولت فيكتوريا إعادة انتباه ليز إلى الحاضر الفوري. استطاعت تقريباً أن تشاهد كل المخاوف التي تفكر فيها ليز، سواءٍ نطقت بها عالياً أم لا. "كان جاك رائعاً في المحكمة فقط، تماماً مثلي أنا. نحن نحب التبجح". كان يصعب تذكّر عدم التكلم عنه كما لو أنه ما زال معهم.

"نعم، وانظري إلى أين قاده ذلك. قلت لـــه البارحة إن فيليب باركر سيقتلها إذا عبثنا بأعماله وممتلكاته. لكنني لم أعرف أنه سيقتل جاك أيضاً". غاصت في دموعها مجدداً حين قالت ذلك، وجلست فيكتوريا على السرير وأمسكت بها إلى أن هدأت الموجة، وكانت والدة ليز تقف حينها في باب غرفة النوم.

"كيف حالها؟" نظرت أمها مباشرة إلى فيكتوريا كما لو أن ليز فاقدة

الوعي ولا تستطيع سماعهما. والواقع أنها كانت كذلك نوعاً ما، وشعرت كأنها تعاني تجربة الروح خارج الجسم، وكانت تشاهد كل ما يحصل من مكان ما في السقف.

"أنا بخير، أمي، أنا بخير". من الغباء قول ذلك، لكن ما نفع ذلك؟ بدا وكأنها تريد أن تثبت لأمها بأنها تستطيع فعل ذلك. وإلا، قد تثبت أن أمها محقة وتفقد منزلها ومهنتها.

"لا تبدين هكذا"، قالت أمها بحزن. "غداً، يجب أن تغسلي شعرك وتضعي الماكياج". غداً، يجب أن أموت كي لا أفعل ذلك، أرادت أن تقول ليز لها، لكنها لم تستطع. لا جدوى من التقاتل معها الآن. لديهما ما يكفيهما للقلق بشأنه الآن، من دون إضافة الضغائن العائلية إلى ذلك. لم يكن جاك قريباً من شقيقه أيضاً، لكنه كان على الأقل هناك، وكان وديّاً أن يراه الأولاد، فضلاً عن أهل جاك وأمها وشقيقها.

استلقت هي وفيكتوريا في السرير في وقت متأخر من تلك الليلة، تتحدثان عنه وعما حصل. كان كابوساً لن ينساه أي واحد منهما، ولن يشفيا منه أبداً ربما. لقد تحدثت ليز إلى أشخاص عدة على الهاتف ذلك اليوم وقالوا لها إنها لن تتجاوز المحنة أبداً، ولا سيما مع موت شنيع مثل هذا، وقال لها شخصان آخران إن أفضل شيء تقوم به هو العودة إلى العالم مجدداً بأسرع ما يمكن، حتى إنها قد تتزوج مجدداً خلال ستة أشهر، من يعرف، وقد تكون محظوظة. محظوظة؟ كيف تصوروا ذلك ومن أين جاؤوا بالشجاعة ليقولوا لها ذلك؟ بيع المنزل، الانتقال بعيداً، الانتقال إلى المدينة، التعاقد مع شريك جديد، التخلي عن العمل، ماذا تقول للأولاد وماذا لا تقول للأولاد، شراء كلب، حرق جثته، نثر الرماد من أعلى الجسر، عدم السماح للأولاد بحضور دفنه، التأكد من أن يروه قبل إغلاق التابوت، التأكد من ألا يفعلوا ذلك بحيث لا يتذكرونه بهذه الطريقة. كان يملك كل واحد نصائح مجانية لإعطائها، وسيلاً لامتناهياً من الآراء. لقد تعبت من الإصغاء إليهم. لكن كل ذلك أفضى إلى نهاية مفادها

أن جاك رحل، وأصبحت وحدها الآن.

لم تخلد إلى النوم حتى الخامسة فجراً ذلك الصباح، واستلقت فيكتوريا مستيقظة بقربها وجعلتها تتحدث طوال الليل. وفي السادسة تماماً، دخل جايمي وصعد إلى السرير معهما.

"أين بابا؟" سأل فيما استلقى قربها، وشعرت ليز أن جسمها كله يرتعد حين سألها ذلك. هل يحتمل أن يكون نسي؟ شكل ذلك ربما صدمة كبيرة بالنسبة إليه بحيث كبحها.

"لقد مات حبيبي. قتله رجل شرير".

"أعرف"، قال بحزن، ونظر إليها فيما استلقيا جنباً إلى جنب في السرير الذي نام فيه والده قبل ليلة واحدة فقط. "أعني الآن، أين هو؟". نظر إليها جايمي كما لو أنها سخيفة لأنها ظنت بأنه نسي، وابتسمت لـــه بحزن.

"متى سأراه مجدداً؟".

"حين نذهب إلى الجنة لنكون معه. ليس قبل أن تصبح عجوزاً جداً جداً".

"لماذا قتله الرجل الشرير؟".

"لأنه كان غاضباً جداً ومجنوناً جداً. لقد قتل شخصاً آخر أيضاً. وقتل نفسه. لن يعود إلى هنا ليؤذينا". تساءلت ما إذا كان هذا الذي كان يفكر فيه، وأرادت أن تبدد مخاوفه، سواء نطق بها عالياً أم لا.

"هل فعل أبي شيئاً سيئاً له؟" كان هذا سؤالاً جيداً.

"بابا فعل شيئاً جعله غاضباً جداً، لأن الرجل فعل أشياء سيئة جداً لزوجته. طلب البابا من القاضي أن يأخذ منه بعض المال".

"هل قتل بابا لاسترداد ماله؟".

"نوعاً ما".

"هل قتل القاضي أيضاً؟".

"لا، لم يفعل". أومأ جايمي برأسه، وهو يفكر ملياً في ما قالته له، ثم

استلقى في السرير بقربها، ممسكاً بها بالقرب منه، ونهضت فيكتوريا وذهبت للاستحمام. توقعت أن يكون اليوم يوماً طويلاً بالنسبة إليهم جميعاً، وأرادت أن تكون جاهزة لتساعد ليز بكل طريقة ممكنة وأن يكون يوماً مريعاً ولا ينسى بالنسبة إلى ليز والأولاد.

في النهاية، إنه كان أسوأ مما توقعت فيكتوريا أو ليز. ذهبت العائلة كلها إلى دار الدفن، وبكوا كثيراً. كانت هناك أزهار بقربه، ومجموعة من الأزهار المتناثرة فوقه. كانت قد طلبت ليز الورود البيضاء لــــه وكانت رائحتها قوية في الغرفة حين دخلوا. ولوقت طويل، لم يكن هناك سوى صوت البكاء، وفي النهاية، أخذ جايمس وفيكتوريا الأولاد بعيداً، وكذلك والدة ليز معهم، فيما بقيت ليز وحدها والرجل الذي أحبته طوال عشرين عاماً تقريباً وهو يرقد هناك.

"كيف يمكن أن يحدث ذلك؟"، همست حين ركعت بقربه. "ماذا سأفعل من دونك؟" انهمرت الدموع على وجنتيها فيما ركعت على السجادة البالية ووضعت يداً على الخشب الناعم. كان كل ذلك لا يصدق، ولا يحتمل، وأكثر مما تخيلت يوماً أنها تستطيع تحمله، سوى أنه يتوجب عليها الآن فعل ذلك. ليس لديها خيار. هذا هو القدر الذي رسمته لها الحياة، وعليها تحمله، كرمى لأولادها.

جاءت فيكتوريا لأخذها بعد برهة، وخرجا لتناول شيء ما، لكن ليز لم تستطع تناول أي شيء. كان الأولاد يتحدثون حينها، ومازح بيتر الفتيات لإضحاكهنّ فيما أبقى عيناً على أمه وجلس قرب جايمي وطلب منه أن يأكل الهامبرغر. لقد كبروا جميعاً فجأة بين ليلة وضحاها. بدا وكأن بيتر لم يعد بإمكانه أن يسمح لنفسه العيش في ترف المراهقة، إذ أصبح رجلاً. حتى الفتيات بدون أكبر فجأة، وجايمي أكثر من طفل. كانوا يبذلون جميعاً ما بوسعهم ليبدوا أقوياء وحاضرين لمساعدة أمهم وبعضهم البعض.

أخذت كارول الأولاد إلى المنزل مباشرة بعد الأكل، وعاد الآخرون إلى دار الدفن مع ليز. وطوال فترة بعد الظهر، جاء الأشخاص لتأدية واجباتهم،

والبكاء، وتعزية ليز، والتحادث مع بعضهما بعضاً خارج دار الدفن. كان ذلك مثل حفل لا ينتهي، مع دموع، من دون طعام.

شهدوا يوماً ثانياً في دار الدفن، وفي ذلك الحين أصبحت ليز تتقلب بين اللامبالاة والهستيرية، لكنها كانت ظاهرياً رزينة على نحو مذهل، لدرجة أن بعض الأشخاص تساءلوا ما إذا جرى تخديرها. لكنها لم تكن كذلك. كانت تنجز فقط ما يجدر بها فعله.

بزغ فجر يوم الاثنين مع شمس ساطعة، وعادت إلى دار الدفن قبل موعد الدفن لتكون وحدها معه. كانت قد قررت ألا تراه وتعذبت عذاباً شديداً لذلك. شعرت كأن هذا شيئاً يجدر بها فعله، لكنها عرفت أنها لا تستطيع. لا تريد أن تتذكره بهذه الطريقة. شاهدته للمرة الأخيرة في سيارة الإسعاف، وعلى أرض المكتب، قبل لحظات من موته، وكان تذكر ذلك يعذبها كفاية، ولا حاجة لإضافة المزيد من العذاب إليه. وكانت تخشى أكثر من أي شيء آخر أنه إذا رأته، لن تستطيع تحمل ذلك، وسوف تفقد رباطة جأشها تماماً. غادرت بهدوء وتوجهت إلى المنزل، ووجدت الأولاد في انتظارها في غرفة الجلوس، مع أعمامهم وأجدادهم. كانت أمها ترتدي بذلة سوداء، فيما ارتدت الفتيات فساتين كحلية كانت قد اشترتها جدتهنّ لهنّ. أما بيتر فارتدى أول بذلة كحلية، التي كان قد اشتراها لـــه جاك قبل شهر واحد، فيما ارتدى جايمي سترة وسروالاً رمادياً. كانت ليز ترتدي فستاناً أسود قديماً أحبه جاك ومعطفاً أسود استأجرته لها جان يوم الأحد. بدوا كئيبين ومحترمين، وفيما بدأوا الصلاة، استطاعت ليز سماع الأشخاص وهم يبكون ويمسحون أنوفهم.

كانت خدمة الدفن جميلة ومقتضبة، والأزهار في كل مكان، ثم أصبح كل شيء مشوشاً بالنسبة إليها. كانت قد أعدت جان وكارول الطعام في المنزل، وجاء أكثر من مئة شخص ليأكلوا ويشربوا ويقولوا لها كم هم آسفون.

تحركت مثل الرجل الآلي خلال النهار، وبعد ساعتين، غادر الجميع، ولحق ابن حميها بالطائرة إلى واشنطن، وشقيقها إلى نيويورك، وأهل جاك إلى

شيكاغو. عادت فيكتوريا إلى المنزل، لكنها وعدت بأن تمرّ في اليوم التالي مع الصبيان. عادت جان إلى المنزل في تلك الليلة أيضاً، وكانت أمها ستغادر في صباح اليوم التالي. وستبقى حينها وحدها مع الأولاد وتعيش بقية حياتها من دونه.

حين ذهب الأولاد أخيراً إلى السرير تلك الليلة، جلست ليز وأمها في غرفة الجلوس. كانت الزينة لا تزال هناك، وتلألأت الدموع في عينيّ أمها فيما ربّتت على يد ليز.

"أنا آسفة لأن هذا حدث لك". لقد فقدت زوجها، والد ليز، قبل عشرة أعوام، لكنه كان في الواحدة والسبعين من عمره ومريضاً منذ وقت طويل. لقد كان لديها الوقت للاستعداد لذلك، وقد كبر أولادها ورحلوا. لقد كان الأمر مؤلماً لها أيضاً، لكن الحال ليست كذلك بالنسبة إلى ليز وهي عرفت ذلك. "أنا آسفة جداً"، همست، فيما انهمرت الدموع ببطء على وجنتيها ووجنتي ليز مجدداً. ما من شيء آخر لقوله. جلستا فقط في غرفة الجلوس وعانقتا بعضهما البعض لوقت طويل، وللمرة الأولى منذ ولادة جايمي، تذكرت ليز أنها تحبها، وسامحتها على الأشياء التي كانت قد قالتها آنذاك. فهذه الخسارة المرعبة جلبت لهم نوعاً من الشفاء، وكانت ليز شاكرة لذلك.

"شكراً أمي. هل أستطيع أن أعدّ لك فنجان شاي؟" سألت أخيراً، وتوجهتا إلى المطبخ معاً. وفيما شربتا الشاي على طاولة المطبخ، سألتها أمها مجدداً ما إذا كانت ستبيع المنزل وابتسمت ليز. لم يزعجها الأمر كثيراً هذه المرة. هذه هي طريقة أمها في التعبير عن قلقها تجاهها وأرادت أن تعرف ما إذا كانت ستكون على ما يرام. كانت قد تصورت أخيراً أنها أرادت من ليز أن تطمئنها.

"لا أعرف ماذا سأفعل، لكننا سنكون بخير". لقد ادخرا جانباً بعض المال على مر السنوات، وكان يملك جاك بوليصة تأمين على الحياة. ولا شك في أنها كانت تملك مهنة المحاماة لإعالتهم. لم يكن المال مسألة مهمة الآن بقدر تعلم العيش من دونه. "لا أريد أن أجري أية تغييرات كبيرة للأولاد".

"هل تظنين أنك تتزوجين ثانية؟" كان هذا سؤالاً سخيفاً، لكن ليز ابتسمت وتذكرت ما كانت قد قالته فيكتوريا. "إذا أعلنت الصين الحرب علينا...".

"لا أظن ذلك. لا أتخيل ذلك، أمي". وامتلأت عيناها بالدموع مجدداً. "لا أعرف كيف سأعيش من دونه".

"عليك ذلك. من أجل الأولاد. سوف يحتاجون إليك أكثر من قبل. يجدر بك ربما أخذ إجازة من العمل وإغلاق المكتب لبعض الوقت". لكنها لم تكن تستطيع أخذ إجازة وهي عرفت ذلك. فكل القضايا أصبحت تقع الآن على مسؤوليتها وحدها. باستثناء قضية أماندا باركر. وكان مجرد التفكير في ذلك يجعل ليز تشعر بالأسى على أولادها وعلى ما عانوه ذلك اليوم. لقد خسروا أمهم وأبيهم. اتصلت بالمنزل وتحدثت إلى شقيقة أماندا بعد ظهر ذلك اليوم وعبرت لها عن مدى أسفها. بكت المرأتان، وأرسلت عائلة باركر الأزهار لها وللأولاد.

"لا أستطيع إغلاق المكتب، أمي. لديّ مسؤولية تجاه زبائننا".

"سيكون هذا عبئاً كبيراً عليك، ليز". بكت أمها حين قالت ذلك. لديها قلب مع ذلك. المشكلة تكمن فقط في فمها الذي يلفظ غالباً أشياء حمقاء وخاطئة. لكن ليز فهمت فجأة شيئاً آخر فيها. كانت نواياها جيدة، لكنها لم تعرف فقط كيف تعبر عنها.

"سوف أتدبر أمري".

"هل تريدين أن أبقى؟".

هزت ليز رأسها. كان يجب عليها الاعتناء بأمها إذا بقيت هنا، وهي بحاجة الآن إلى كل طاقتها للأولاد. "سوف أتصل إذا احتجت إليك. أعدك". تشابكت أيدي المرأتين عبر الطاولة، ثم ذهبتا إلى السرير. اتصلت فيكتوريا في وقت متأخر تلك الليلة لترى كيف حالها، وقالت إنها بخير، لكنّ أياً منهما لم يصدق ذلك. استلقت ليز في السرير، وهي مستيقظة تماماً، وبكت معظم الليل

حتى السادسة من صباح اليوم التالي.

غادرت أمها في الموعد المحدد، ثم بقيت وحدها مع الأولاد، يجولون بلا هدف حول المنزل. أخذتهم كارول للعب البولينغ بعد الظهر، وحتى بيتر خرج، لمرة واحدة من دون صديقته. بقيت ليز في المنزل لمراجعة بعض أوراق جاك، وكان كل شيء منظماً بدقة. عثرت على وصيته بسهولة، وعلى بوليصة التأمين. كان كل شيء مرتباً في مكتبه. لم يكن هناك من فوضى للبحث فيها، وما من مفاجآت سيئة، وما من شيء يقلقها سوى أنه رحل وأصبحت وحدها لبقية حياتها. وفيما فكرت في ذلك، شعرت بموجة الذعر الاعتيادية تنتابها، وافتقدته أكثر مما يظنه الإنسان ممكناً. بكت طوال بعد الظهر، وحين عاد الأولاد إلى المنزل، بدت مرهقة.

حضرت لهم كارول العشاء تلك الليلة، وكان مؤلفاً من الهمبرغر والبطاطا المقلية. لقد رموا الديك الرومي، من دون أن يلمسه أحد، ليلة العيد. لم يشأ أحد النظر إليه، فكيف بأكله. وفي التاسعة مساء، كان الأولاد في غرفهم. شاهدت الفتيات فيلم فيديو. وفي وقت متأخر من تلك الليلة، استيقظ جايمي وجاء إلى سريرها. كان مريحاً وجوده هنا، دافئاً وحنوناً قربها. تركتها الحياة أمام طريق فارغة الآن، لا شيء فيها سوى المسؤوليات والأعباء، والأشياء التي يجدر بها فعلها وحدها.

مرّ الأسبوع التالي، وكان الأولاد لا يزالون في المنزل بسبب عطلة العيد. ذهبوا إلى الصلاة. لقد مضى على موته عشرة أيام. عشرة أيام. أيام، فقط ساعات ولحظات. ما زال الأمر مثل كابوس. وصباح يوم الاثنين، نهضت وأعدت لهم الفطور. ذهب بيتر بنفسه إلى المدرسة، وأخذت هي الفتيات إلى مدرستهم القريبة، ثم أوصلت جايمي إلى مدرسته الخاصة. لكنه تردد لوقت طويل قبل أن يخرج من السيارة. وفي النهاية، التفت ونظر إلى أمه وهو يمسك بعلبة الأكل. إنها علبة جديدة أعطته إياها راشيل يوم العيد مع صور لحرب النجوم عليها.

"هل يجدر بي إخبارهم في المدرسة أن أبي مات؟"، سأل وهو يبدو حزيناً.

"الأساتذة يعرفون. اتصلت لإخبارهم. وأظن أن الجميع قرأ الخبر في الجريدة، حبيبي. قل فقط إنك لا تريد التحدث عن الأمر إذا كنت لا تريد ذلك".

"هل يعرفون أن رجلاً شريراً قتله؟".

"أظن ذلك". أخبرت المرأة التي تدير المدرسة إنه إذا انزعج وأراد العودة إلى المنزل، يجدر بهم الاتصال بكارول او ليز نفسها في المكتب. لكن مثل بقية الأولاد، بدا أنه يبلي حسناً أكثر مما توقعت. "إذا احتجت للاتصال بي في المكتب للتحدث معي، أخبر معلمتك وسوف تسمح لك".

"هل أستطيع العودة إلى المنزل إذا أردت ذلك؟". بدا قلقاً.

"طبعاً. لكنك قد تصبح وحيداً. لا شك في أن المدرسة ممتعة أكثر مع أصدقائك. أنظر كيف ستصبح بعد برهة". أومأ برأسه حينها، وفتح باب السيارة، وتردد لبرهة، ثم عاد لينظر إليها.

"ماذا لو أطلق أحدهم النار عليك في المكتب، أمي؟" كانت عيناه مليئتين بالدموع حين سألها، وهزت هي رأسها فيما الدموع في عينيها.

"لن يحدث ذلك، أعدك". تمددت ولمسته برفق فيما قالت ذلك. لكن كيف تستطيع وعده بذلك؟ كيف تعده أن كل واحد منهم سيكون آمناً مجدداً؟ كيف تعرف؟ إذا حدث شيء مريع جداً لجاك، يمكن أن تحدث الأشياء المريعة لأي منهم، وهم يعرفون الآن هذا، حتى جايمي. لم يعد هناك ضمانات بحياة طويلة أو بالأمان. "سأكون على ما يرام. وأنت كذلك. سأراك الليلة حبيبي". أومأ برأسه وخرج من السيارة، ودخل إلى المدرسة فيما راقبته مع حزن كبير في قلبها. لم تكف عن التساؤل ما إذا كانوا سيشعرون هكذا على الدوام، أو لوقت طويل جداً على الأقل. كان يصعب تخيل الشعور بالراحة مجدداً، أو الضحك، أو إصدار الضجة، أو التحدث بصوت عالٍ، أو الشعور بالمرح. بدا ذلك مثل

عبء سيتحملونه إلى الأبد، أو على الأقل عرفت هي ذلك. سوف يتغلبون على المحنة، أو على الأقل يتكيفون معها. لكنهم لن يحصلوا أبداً على والد آخر، ولن يكون لديها جاك أبداً. خسارتهم لا تعوّض، وحتى لو شفيت قلوبهم في النهاية، ستبقى دائماً فجوة فيها. وفيما توجهت إلى المكتب، كانت غارقة جداً في الدموع وقلقة جداً عليهم جميعاً بحيث تجاوزت إشارتين باللون الأحمر وأوقفها رجل شرطة.

"هل رأيت ذلك الضوء؟" صرخ عالياً عليها فيما أنزلت النافذة، واعتذرت لـه عبر دموعها. نظر إليها طويلاً فيما أخذ منها إجازة القيادة، وبدأ يمشي بعيداً ثم عاد إليها. كان قد تعرف إلى الاسم، وقرأ عن المسألة في الصحف. نظر إليها بقلق فيما أعاد إليها رخصة القيادة. "لا يجدر بك القيادة. إلى أين تذهبين؟".

"إلى العمل". أومأ برأسه ونظر في عينيها.

"أنا آسف بشأن زوجك. لماذا لا تتبعيني؟ ما هو العنوان؟" أعطته له، ودخل في سيارته وأشعل الأضواء الوامضة وسار أمامها ورافقها طوال الطريق إلى المكتب، فيما كانت تبكي. يصبح الأمر أسوأ حين يكون الناس لطفاء. لكنه كان لائقاً على نحو مذهل معها. خرج من السيارة فيما أوقفت هي سيارتها، ثم صافح يدها. "حاولي ألا تقودي لفترة، أو اختصري القيادة قدر الإمكان. يمكن أن تتعرضي لحادث، أو تؤذي أحداً، أو نفسك. امنحي نفسك بعض الوقت". ربت على ذراعها، وكانت لا تزال تبكي حين شكرته وتوجهت إلى مكتبها وهي تحمل حقيبة جاك.

لم تذهب إلى المكتب منذ وفاة جاك، وكانت تخشى منظره، لكنها عرفت أن جان كانت منهمكة في الأسبوع الفائت. فكالعادة، إنها قد صنعت المعجزات. تم استبدال السجادة الملطخة بالدماء، وأعيد طلاء الجدار الذي أطلق فيه فيليب باركر النار على نفسه. لم يكن هناك دليل على المجزرة التي حصلت، وابتسمت لها جان حين دخلت وعرضت عليها فنجان قهوة.

"أهذا شرطي الذي رأيته خارجاً قبل دقيقة؟". بدت جان قلقة، فيما مسحت ليز أنفها وابتسمت لها. أرادت أن تشكرها على كل ما فعلته لترتيب الأمور، لكنها لم تستطع حمل نفسها على قول ذلك. فهمت جان من دون سماع الكلمات، وأعطتها كوباً ساخناً من القهوة السوداء.

"تجاوزت إشارتين باللون الأحمر أثناء طريقي إلى هنا. كان لطيفاً جداً، ورافقني إلى الباب. قال لي أن أبقى بعيداً عن الطرقات".

"ليست هذه فكرة سيئة"، قالت جان وهي تبدو قلقة.

"ماذا تقترحين أن أفعل؟ أستأجر سيارة ليموزين؟ عليّ المجيء إلى العمل".

"استقلي سيارة أجرة"، قالت جان.

"هذا سخيف".

"ليس سخيفاً بقدر قتل نفسك أو أي شخص آخر. الآن، هذا سخيف".

"أنا بخير"، طمأنتها ليز لكنها لم تقنع أحداً.

ألغت جان كل مرافعات المحكمة الممكنة، وأبقت على اثنتين لا يمكن تأجيلهما، لكن موعدهما في نهاية الأسبوع. احتاجت ليز إلى الوقت لمراجعة كل الملفات ومعرفة ما ستفعله بشأن زبائنهما. نصّت رسالة إلى جان خلال بعد الظهر، تشرح فيها ظروف موت جاك لكل الزبائن الحاليين، رغم أنه كان يصعب التصديق أن أحداً لا يعلم. فقد طغت القضية على كل الأخبار في عطلة العيد. لكن بعضهم كانوا مسافرين ربما، أو فوتوا على أنفسهم الخبر بطريقة ما. شرحت أنها ستعمل كمحامية منفردة الآن، وفهمت إذا أراد الأشخاص اللجوء إلى محامين آخرين. وإلا، ستتابع هي العمل معهم وتنجز أفضل ما يمكنها لأجلهم. وبالنسبة إلى الذين أرسلوا لها البرقيات والأزهار، شكرتهم على تعاطفهم. كانت الرسالة صريحة ومقتضبة، ورأت هي وجان أن معظم زبائنهما سيتابعون معها. لكن هذه الثقة بحد ذاتها ستكون عبئاً كبيراً عليها.

فعلى رغم ما قالته لأمها الأسبوع الفائت، بدأت تتساءل ما إذا كان باستطاعتها فعل ذلك. سيكون صعباً إنجاز كل شيء بمفردها. فبين ليلة وضحاها، تضاعف عبء عملها. فهي لم يتوجب عليها فقط إنجاز عمله وعملها معاً، وإنما خسرت أيضاً الدعم المعنوي والطاقة التي كان يمنحها لها.

"هل تظنين أني أستطيع فعل ذلك؟" سألت جان في نهاية بعد الظهر، وهي تبدو مكتئبة وقلقة. بدا أن كل شيء يحتاج إلى عشرة أضعاف الجهود، وهي شعرت بالإرهاق.

"طبعاً يمكنك ذلك". عرفت جان أن ليز هي محامية جيدة تماماً مثل جاك. كان هو الشخص الصاخب والقوي في الشراكة إذا أمكن قول ذلك. لكنهما أديا عملاً رائعاً معاً.

لكن في هذا الوقت، شعرت ليز من دونه كأنها أقل من نصف الفريق. شعرت كأنه أخذ ثقتها وشجاعتها معه، وقالت ذلك لجان. "ستكونين بخير"، قالت جان مجدداً. "سوف أبذل كل ما بوسعي لمساعدتك".

"أعرف أنك ستفعلين، جان. لقد فعلت ذلك قبلاً". ألقت نظرة سريعة على السجادة الجديدة ثم نظرت إلى سكرتيرتها، فيما امتلأت عيناها بالدموع وتذكرت بألم شديد كيف كان منظرها صباح العيد. "شكراً"، همست وذهبت للجلوس في مكتب زوجها. كانت لا تزال تراجع ملفاته، وأجبرت نفسها على المغادرة في الخامسة والنصف. لم تشأ العودة إلى المنزل في وقت متأخر جداً من أجل الأولاد، رغم أنها عرفت أنه يمكنها البقاء في المكتب حتى منتصف الليل طوال شهر كامل من دون إنهاء كل شيء أرادته. أخذت حقيبته معها إلى المنزل، وهي مليئة بالملفات التي أرادت قراءتها قبل الصباح. وما زال عليها الاستعداد من اجل المحاكمتين.

كان المنزل هادئاً حين دخلت، على غير عادته، وتساءلت ما إذا كان يوجد أحد في المنزل، ثم شاهدت جايمي يجلس بهدوء مع كارول في المطبخ.

كانت قد أعدت رقاقات الشوكولا له، وكان يجلس أمام طاولة المطبخ يأكل واحدة بصمت تام. لم يتفوه بأية كلمة لأحد، ولا حتى لأمه حين دخلت وابتسمت له.

"كيف كان يومك حبيبي؟".

"حزين"، قال بصدق. "بكت معلمتي حين قالت إنها آسفة على أبي". أومأت ليز برأسها. فهي عرفت تماماً معنى ذلك. لقد جعلها الشاب الذي جلب لها السندويش إلى المكتب موعد الغداء تبكي أيضاً، تماماً مثل الصيدلي الذي مرت به لشراء وصفة أدوية، وكذلك شخصين صادفتهما في الشارع، وكل واحد آخر الآن. كل ما عليهم فعله هو القول إنهم آسفون، وكان هذا يقتلها تقريباً. فقد كان من الأسهل تقبل المسألة لو رفسوها على ساقيها. كما أن سيل رسائل التعزية التي وصلت إلى المكتب جعلت قلبها ينفطر حين قرأتها. وحين ألقت نظرة سريعة على رف المطبخ، شاهدت كوماً أخرى من الرسائل هناك. كانت نوايا الناس حسنة، لكن من الصعب فعلاً تحمل بلاغتهم وتعابيرهم الودية.

"كيف حال الباقين؟" سألت ليز كارول فيما وضعت حقيبة جاك جانباً.

"لماذا تحملين حقيبة أبي؟" سأل جايمي، فيما تناول قطعة بسكويت أخرى.

"أحتاج إلى قراءة بعض أوراقه". أومأ جايمي برأسه، وهو راضٍ عن الجواب، وأبلغها أن راشيل تبكي في غرفتها، لكن آني وميغان تتحدثان على الهاتف، فيما لم يعد بيتر إلى المنزل بعد.

"قال إنه سيعلمني كيفية الركوب على دراجتي الجديدة، لكنه لم يفعل"، قال جايمي بحزن. تم نسيان مسألة الدراجة.

"يمكنه فعل ذلك الليلة ربما"، قالت بأمل، لكن جايمي هز رأسه ووضع نصف بسكويتة على الطاولة. فهو لا يملك أية شهية، تماماً مثلها ومثل الآخرين.

"لا أريد الركوب على دراجتي الآن".

"حسناً"، قالت بنعومة، فيما لمست شعره الحريري وانحنت لتقبيله، ودخل بيتر عبر باب المطبخ مع تعابير حزينة. "مرحبا بيتر". لم تجرؤ على سؤاله كيف كان يومه، لأنها لاحظت ذلك. تماماً مثلما كان يومهم جميعاً. بدا وكأنه كبر خمس سنوات خلال الأسبوع الماضي. هذا شعور مألوف. لكنها شعرت أنها أكبر بمئة سنة مما كانت ليلة العيد. فبالكاد أكلت أو نامت خلال الأسبوع الماضي، وبدا ذلك جلياً.

"أريد أن أخبرك شيئاً أمي".

"لماذا يراودني إحساس بأن الأخبار ليست جيدة؟"، قالت مع تنهد، فيما جلست وتناولت بقية قطعة البسكويت التي تركها جايمي. بقي غداؤها على حاله طوال بعد الظهر في المكتب.

تعرضت لحادث في طريقي من المدرسة إلى المنزل".

"هل أذيت أحداً؟" بدت هادئة، لكنها كانت فاقدة الحس، وتغير منظورها للأمور خلال الأسبوع الماضي. فأي شيء أقل من الموت هو أمر يمكنها تقبله.

"فقط السيارة. ارتطمت بسيارة متوقفة، وكسرت الدفاع الأمامي".

"هل تركت ملاحظة لصاحب السيارة الأخرى؟". أومأ رأسه إيجاباً.

"لم أفعل أي شيء لهم. لكني تركت ملاحظة في أية حال. أنا آسف أمي".

"لا بأس حبيبي. تجاوزت إشارتين باللون الأحمر أثناء طريقي إلى العمل هذا الصباح، إذا كان هذا الخبر يجعلك تشعر بارتياح. وقال لي الشرطي الذي أوقفني إنه لا يجدر بي القيادة. ربما لا يجدر بك فعل ذلك أيضاً، لبعض الوقت".

"لا أستطيع الذهاب إلى أي مكان إذا لم أفعل، أمي".

"أعرف، ولا أنا أيضاً. علينا فقط توخي الحذر". كان يقود سيارة فولفو

ستايشن قديمة اشتراها جاك لـــه تلك السنة لأنها متينة وقوية، وهي مسرورة لذلك الآن. أما هي فتقود طرازاً أحدث من السيارة نفسها، فيما تملك كارول سيارتها الخاصة، وهي سيارة فورد قديمة كانت قد اشترتها قبل عشر سنوات وأبقتها في حالة جيدة. كانت تستطيع أخذها إلى حيث تشاء، وكانت تقلّ الأولاد من المدرسة بواسطتها. كان هناك سيارة جاك الآن أيضاً، وهي سيارة لكسوس جديدة اشتراها هذه السنة، لكن ليز لم تكن تملك الشجاعة لقيادتها بنفسها أو بيعها. قد يحتفظون بها ربما. لا تستطيع تحمل فكرة التخلص من أشيائه. لقد أمضت لياليَ عدة وهي تمسك بثيابه بالقرب منها، وتشم رائحة عطر ما بعد الحلاقة العابق منها، فيما تقف أمام خزانته. لم تستطع تحمل فكرة التخلي عن أي من أشيائه، ولا تنوي وهب أي شيء. لا تزال بحاجة إلى إبقاء أشيائه قربها. نصحها العديد من الأشخاص بالتخلص من كل شيء بأسرع وقت ممكن، وشكرتهم على اهتمامهم، لكنها تنوي تجاهل ما قالوه لها.

نزلت الفتيات إلى الطابق الأسفل لتناول العشاء بعد فترة قصيرة من ذلك، وألفن معاً مجموعة حزينة حين جلسن أمام طاولة المطبخ. لم يتفوه أحد بأية كلمة طوال نصف الوجبة على الأقل. بَدوْن كأنهنّ ناجون من كارثة التايتانيك. وكانت مجرد تمضية الأيام أمراً مرهقاً بالنسبة إليهنّ، خصوصاً وأنهن عدْنَ الآن إلى المدرسة وعادت هي إلى المكتب.

"هل أجرؤ على السؤال كيف كان أول يوم لكم بعد العودة إلى المدرسة"، سألتهم أخيراً، فيما نظرت إلى الطعام غير الملموس في أطباق الجميع. وحده بيتر بذل جهداً غامضاً لتناول أي شيء، لكنه لم يصل حتى إلى معاييره الاعتيادية. فقد كان يتناول عادة طبقاً ثانياً من أي شيء، فضلاً عن البوظة مع كل ما هو مقدم كحلوى بعد الطعام، بصرف النظر عن طبيعته. لكن أياً منهم لم يستطع الأكل، وبدوا مرتاحين حين سألتهم أمهم كيف كان يومهم.

"كان مقرفاً"، تطوعت راشيل أولاً، وأثنت آني على الرأي.

"سأل الجميع كيف حدث ذلك، وإذا ما شاهدته بعد ذلك، وإذا بكينا في

الدفن. هذا مقرف"، قالت ميغان، فيما تنهد الآخرون علامة الموافقة.

"نواياهم حسنة على الأرجح". برّأتهم ليز لفقدان أدلة ضد نواياهم. "إنهم فضوليون ولا يعرفون ماذا يقولون لنا. علينا فقط الكفاح وتجاوز المحنة".

"لا أريد العودة إلى المدرسة"، قال جايمي بحزم، وكانت ليز على وشك أن تقول لـــه إنه عليه فعل ذلك، حين قررت أنه ليس مجبراً. فإذا احتاج إلى بعض الوقت في المنزل للتعافي، لن يحدث ذلك أي فرق، خصوصاً بالنسبة إلى جايمي.

"يمكنك ربما البقاء بصحبة كارول لبضعة أيام"، قالت ليز بهدوء، ونظرت إليها راشيل فوراً متسائلة.

"هل أستطيع البقاء في المنزل أنا أيضاً؟".

"وأنا أيضاً"، قالت آني.

"أظن أنه يجدر بكم المحاولة أيها الأولاد وتجاوز المحنة. يستطيع جايمي ربما التجربة مجدداً الأسبوع المقبل". لم يخبر بيتر أحداً أنه تغيب عن الصفين الأخيرين وجلس في قاعة الرياضة وحده، لكنه لم يعد يستطيع تحمل المزيد مما كانت تصفه شقيقاته. وجده المدرب جالساً هناك وتحدثا لوقت طويل. لقد خسر والده حين كان في السن نفسه مثل بيتر، وتحدثا عن هذه المحنة. لقد ساعده الاستماع إلى المدرب لكنه لم يفلح في إزالة الألم.

"لم يقل أحد إن الأمر سيكون سهلاً"، قالت ليز بتنهد. "لكن هذا ما أرادته الحياة لنا الآن. علينا المحاولة والاستفادة قدر الإمكان. إذا فعلنا ذلك ربما كرمى للبابا، سيرغب حتماً في أن نكون بخير. وسوف نعود كذلك يوماً ما".

"متى؟"، سألت آني بيأس. "لكم من الوقت سنشعر هكذا. لبقية حياتنا؟".

"تبدو الأمور هكذا الآن. لا أعرف"، قالت ليز بصدق. "لكم من الوقت يؤلم أي شيء. لوقت طويل أحياناً، ولكن ليس للأبد". تمنت لو تصدق ذلك بنفسها فيما صعدوا جميعاً إلى الطابق الأعلى. لم يكن المنزل هادئاً أبداً هكذا.

كانوا جميعاً في غرفهم والأبواب مغلقة، ولم تصدح أصوات الموسيقى عبرها، فيما رن الهاتف قليلاً جداً. قبلتهم ليز جميعاً قبلة المساء حين ذهبوا إلى السرير، حتى بيتر، وعانقوا بعضهم لوقت طويل من دون التفوه بكلمة. لم يبقَ أي شيء لقوله. وكل ما يستطيعون فعله الآن هو التغلب على المحنة. نام جايمي في سريرها مجدداً تلك الليلة. لم تشجعه على العودة إلى سريره لأنه من الجميل فعلاً وجوده هنا بحيث لا تضطر للنوم وحدها. لكن كل ما استطاعت التفكير فيه حين أطفأت الضوء واستلقت بالقرب من ولدها النائم هو مدى اشتياقها إلى جاك، وسألت نفسها، وسألته هو، إذا كان يستطيع رؤيتها من حيث هو، وكيف ستتجاوز هذه المحنة. ما من أجوبة بعد. لم تبقَ أية متعة في حياتهم. وحده الألم الكبير لخسارته، والفجوة الكبيرة التي خلفها، والتي تمتلئ فقط بألم الاشتياق إليه. كان الألم لا يزال كبيراً بالنسبة إليهم جميعاً، ولا سيما هي، فيما استلقت مستيقظة طوال الليل، تبكي عليه وتمسك بجايمي. شعرت كأنها تغرق فيما تشبثت بولدها الصغير.

الفصل الرابع

مضى على رحيل جاك سبعة أسابيع، وبدأ الأولاد يشعرون بالتحسن. تحدثت ليز إلى المعالج النفسي في مدرسة الفتيات، الذي قال لها إن الأولاد سيتجاوزون المحنة خلال ستة إلى ثمانية أسابيع ويصبحون أكثر سعادة مجدداً. سوف يتكيفون، لكن ليز شعرت بحال أسوأ في هذه المرحلة فيما اصطدمت بالحقيقة الكاملة.

كان عليها المثول أمام المحكمة للدفاع عن الزبائن مرتين اليوم، وكانت تجد صعوبة أكبر وأكبر في فعل ذلك. فحقد زبائنها تجاه زوجاتهم اللواتي كانوا يطلبون الطلاق منهن بدا شريراً على نحو غير ضروري بالنسبة إليها، ورأت أن الخدع الماكرة التي اعتمدوها وإصرارهم عليها للدفاع عنهم هو أمر غير مجدٍ البتة. بدأت تكره مهنة المحاماة وتساءلت لماذا سمحت أصلاً لجاك بإقحامها في قانون العائلة.

قالت الكثير من الأمور لفيكتوريا حين تحدثت معها في المرة الأخيرة. كان أولادها يبقونها مشغولة لأنهم ما زالوا في دار الحضانة، وواجهت هي وليز مشكلة اللقاء معاً، لكنهما ما زالتا تملكان الوقت لإجراء محادثات طويلة عبر الهاتف في وقت متأخر من الليل.

"أي نوع آخر من القانون تودين ممارسته؟"، سألتها فيكتوريا. "لطالما قلت لي إنك كرهتِ قانون الإصابات الشخصية حين كنت أمارسه، ولا أتخيلك وأنت تمارسين قانون الجرائم".

"ثمة اختصاصات أخرى. لا أعرف، ربما شيء لـــه علاقة بالأولاد. فكل زبائني مشغولون بمضايقة بعضهم البعض بحيث ينسون أولادهم". لطالما

راق لها الدفاع عن الأولاد، لكن جاك كان يسرع دوماً إلى تذكيرها بأنه لا يوجد مال في هذا. لم يكن جشعاً، لكنه عملي، ولديهما خمسة أولاد يجب إعالتهم. جنوا مالاً جيداً من القانون العائلي، وكان يصعب تجاهل ذلك.

ذُكِّرت مجدداً كم كرهت ذلك حين خرجت من المحكمة وقد حققت انتصاراً بسيطاً لأحد زبائنها. لقد سمحت لنفسها بتقديم استدعاء ضد الزوج السابق للمرأة بسبب الإزعاج أكثر منه لسبب قانوني حقيقي، وقد وبخها القاضي بطريقة لائقة، لكنه قبل الاستدعاء. كان النصر تافهاً بالنسبة إليها نتيجة ذلك، وشعرت بالحماقة حين عادت إلى المكتب.

"هل خسرت؟"، سألت جان حين شاهدتها تدخل إلى المكتب. بدت ليز متعبة ومتضايقة وسريعة الانفعال حين أمسكت بالرسائل وهي في طريقها إلى مكتبها.

"لا. لقد ربحنا. لكن القاضي قال إن هذا تافه، وهو محق. لا أعرف لماذا سمحت لها بإقحامي في ذلك. كل ما أرادته فعلاً هو إزعاجه. لكان جاك حاسماً وأسكتها". لكن جاك لم يعد هناك الآن لمناقشة الأمور معه، أو حسم المسائل، أو جعلها تضحك، وإبقاء الزبائن تحت السيطرة. كان يجعل الأمر ممتعاً لها، ويبقي مهنتهما مثيرة. لكنها أصبحت الآن شاقة، ولم تعد تشعر أبداً بأنها تبذل أفضل ما لديها من أجل زبائنها. "كانت أمي محقة ربما قبل شهرين، ويجدر بي إغلاق المكتب".

"لا أظن ذلك"، قالت جان بهدوء، "إلا إذا كان هذا ما تريدين فعله". عرفت بشأن مال التأمين الذي وصل في الأسبوع الماضي، وأدركت أن ليز تستطيع إغلاق المكتب لبرهة وتقرير ما أرادت فعله. لكنها رأت أنها ستكون تعيسة عند الجلوس في المنزل مع الكثير من الوقت في متناول يديها. كانت قد عملت لوقت طويل، وأبلت حسناً، واستمتعت بالمهنة كثيراً للتخلي عنها الآن. "إمنحي نفسك الوقت. سوف تصبح المهنة ممتعة لك ربما مجدداً، ليز. أو يجدر بك ربما حسم المسائل مع زبائنك، والحذر أكثر أثناء اختيار القضايا التي

تقبلينها الآن".

"نعم، ربما". غادرت في وقت باكر بعد ظهر ذلك اليوم، ولم تخبر أحداً إلى أين كانت ذاهبة. ثمة شيء أرادت أن تفعله، وعرفت أنه عليها فعله وحدها. توقفت واشترت دزينة أزهار وهي خارجة من المدينة، ثم توجهت إلى المدفن ووقفت أمام قبره لوقت طويل. لم يكن هناك شاهد الضريح بعد، ووضعت الأزهار على العشب، ثم وقفت هناك وبكت لساعة.

"أحبك"، همست أخيراً، ثم ابتعدت وسط الهواء البارد، فيما أخفضت رأسها ووضعت يديها في جيبيها. بكت طوال طريق العودة إلى المنزل، وكانت على مسافة بضعة مبانٍ فقط حين تجاوزت إشارة التوقف، وتابعت طريقها، فيما خرجت امرأة شابة من المنعطف وعبرت الشارع. ارتطمت سيارة الفولفو التي تخص ليز بالورك الأيسر للمرأة الشابة حالاً، وانهارت على الأرض مع تعبير مُرَوَّع فيما ضغطت ليز على المكابح، وركنت السيارة، وقفزت من السيارة لمساعدتها. كانت الدموع لا تزال على وجهها حين ساعدت المرأة الشابة على النهوض، وأطلقت ثلاث سيارات زماميرها وصرخ الناس خارج نوافذهم.

"ماذا أنت؟ مجنونة أم منذهلة؟ شاهدت ذلك!!!".

"لقد صدمتها! كنت شاهداً... هل أنت بخير؟"، صرخ السائق لضحيتها، فيما وقفت المرأتان ترتجفان أمام سيارة ليز، واستمرت الدموع في الانهمار على وجه ليز.

"أنا آسفة جداً. أنا... لا أعرف ماذا حدث. لم أشاهد إشارة التوقف"، قالت لضحيتها، لكنها عرفت ما حدث. لقد ذهبت إلى المدفن لزيارة جاك وكانت حزينة جداً بحيث صدمت المرأة التي كان لها الحق في أن تعبر الشارع. إنها غلطة ليز بالكامل، وهي عرفت ذلك.

"أنا بخير... لا تقلقي... بالكاد لمستني"، طمأنتها المرأة الشابة.

"كدت أن أقتلك"، قالت ليز بذعر، وأمسكت المرأتان بأيدي بعضهما

بعضاً، كما لو أنهما تدعمان بعضهما بعضاً، ونظرت المرأة التي وقعت إلى ليز وأدركت أن ليز مصابة بالدوار.

"هل أنت بخير؟". أومأت ليز برأسها إيجاباً، إذ استطاعت بالكاد التحدث، وهي تشعر بالأسف حيال ما حصل، وبالخوف مما كاد أن يحصل.

"أنا آسفة جداً... توفي زوجي... وكنت في المدفن الآن... لم يكن يجدر بي القيادة...".

"لمَ لا نجلس معاً...". دخلتا إلى سيارة ليز، وعرضت على المرأة اصطحابها إلى المستشفى، لكن المرأة الشابة أصرّت أنها بخير، وقالت لليز إنها آسفة على ما حصل لزوجها. كانت ليز في حال أسوأ مما كانت عليه.

"هل أنت واثقة من أنك لا تريدين الذهاب إلى طبيب؟"، سألتها ليز مجدداً. لكن المرأة الشابة ابتسمت، وهي شاكرة لأن شيئاً أسوأ لم يحصل.

"أنا بخير. أسوأ شيء سأصاب به هو الرضوض. نحن محظوظتان... أو على الأقل أنا". جلستا هناك معاً لبعض الوقت، وتبادلتا الأسماء وأرقام الهاتف، وبعد دقائق قليلة، غادرت المرأة الشابة وذهبت في طريقها، فيما عادت ليز إلى المنزل وهي ما زالت ترتجف. اتصلت بفيكتوريا من السيارة وأخبرتها بما حصل، خصوصاً وأن الإصابات الشخصية هي من اختصاصها. صفرت فيكتوريا بشدة حين أخبرتها ليز.

"إذا كانت لطيفة جداً مثلما تقولين، وهذا ما أشك فيه، من تجربتي، تكونين محظوظة جداً. من الأفضل أن تتوقفي عن القيادة لفترة، ليز، قبل أن تقتلي أحداً".

"كنت بخير... فقط اليوم... ذهبت إلى المقبرة...". بدأت تبكي بقوة ولم تستطع قول المزيد.

"أعرف. أنا آسفة جداً. أعرف كم هذا صعب". لكنها لم تعرف. لا يستطيع أحد أن يعرف، برأي ليز الآن، إلا إذا عانى المأساة. أدركت انها

طوال الأوقات التي قالت فيها للأشخاص الذين خسروا أحداً كم هي لآسفة، لم تكن قادرة أن تتخيل، ولا لبرهة واحدة، ما كان يعني ذلك لهم.

أخبرت الأولاد عن الحادث تلك الليلة، وبدوا مذعورين، وشعروا بقلق واضح عليها. لكن حين اتصلت بالمرأة الشابة لترى كيف حالها، أصرّت أنها بخير وأرسلت الأزهار إلى ليز في صباح اليوم التالي إلى المكتب، الأمر الذي أذهلها. كتب على البطاقة: "لا تقلقي. سوف نكون كلانا بخير". اتصلت ليز بفيكتوريا ما إن تلقتها.

"لا شك في أنك صدمت ملاكاً"، قالت فيكتوريا غير مصدقة. "فكل زبائني كانوا ليدّعون عليك بسبب الكرب العاطفي، أو الضرر الدماغي، أو الأضرار في العمود الفقري، وكنت لأجني لهم عشرة ملايين دولار".

"الحمد لله أنك تقاعدت". ضحكت ليز للمرة الأولى منذ حصول ذلك. فما من شيء يمكن الضحك لأجله هذه الأيام.

"أنت محقة. ومحظوظة. والآن، هل ستكفين عن العمل لفترة؟" كانت قلقة فعلاً عليها.

"لا أستطيع. لدي الكثير من الأمور الواجب إنجازها".

"حسناً، من الأفضل أن تكوني حذرة. اعتبري ذلك علامة إنذار".

"سأفعل".

أصبحت حذرة على نحو استثنائي بعد ذلك، لكن الأمر جعلها تصحو قليلاً وتدرك مدى حزنها ويأسها. وخلال الشهر التالي، بذلت جهداً أكبر لإسعاد الأولاد. أخذتهم إلى السينما في عطلات نهاية الأسبوع، وذهبت للعب البولينغ معهم، وشجعتهم على دعوة أصدقائهم لتناول العشاء وقضاء الليل. مضت ثلاثة أشهر تقريباً، وبدا الأولاد على الأقل أكثر سعادة، بمن فيهم جايمي. عاد الضحك إلى طاولة العشاء مجدداً، وعزفوا الموسيقى بأعلى صوت ممكن، رغم أن وجوههم بقيت جادة من حين إلى آخر، وعرفت أنهم تجاوزوا المحنة.

لكن لياليها لا تزال طويلة ومظلمة ووحيدة، وامتلأت أيامها بالضغط في المكتب.

لكن في نهاية أسبوع عيد الربيع، فاجأتهم. لم تستطع تحمل فكرة عطلة حزينة أخرى، مليئة بذكريات جاك، والتجول في المنزل بألم ومحاولة تخطي ذلك. أخذتهم جميعاً لممارسة التزلج في بحيرة تاهو، واحب الأولاد ذلك فعلاً. بدوا مرتاحين لرؤيتها تعود إلى العالم معهم، وتتزلج معهم، وتضحك فيما تتسابق مع ميغان على المنحدر أو تصطدم بجايمي. أحبوا جميعاً ذلك. هذا هو ما احتاجوا إليه.

وأثناء العودة إلى المنزل، تحدثوا عن الصيف.

"إنه بعد شهور أمي"، تذمرت آني. إنها مغرمة بشاب قرب المنزل، ولا تريد حتى التفكير في الذهاب بعيداً ذلك الصيف. عثر بيتر على وظيفة صيفية، في مستشفى بيطري مجاور. ورغم أن هذا لم يكن مجال اختصاصه، لكنه سيبقيه مشغولاً على الأقل. لذا، ما كان عليها سوى تنظيم الفتيات الثلاث وجايمي.

"أستطيع الابتعاد فقط لأسبوع واحد هذه السنة. لديّ الكثير من العمل الآن لأني أعمل وحدي. ما رأيكنّ في الذهاب في مخيم لمدة شهر أنتن الثلاثة؟ يستطيع جايمي البقاء معي في المنزل والاشتراك في مخيم نهاري".

"هل أستطيع إحضار غدائي؟"، سأل جايمي وهو يبدو قلقاً. ابتسمت لــه ليز. كان قد كره الغداء في آخر مخيم نهاري ذهب إليه، لكنه أحب الأولاد والنشاطات ورأت أن هذا سيفيده. لم يكن باستطاعته الذهاب إلى مخيم كامل مثل شقيقاته.

"يمكنك أخذ غدائك الخاص"، وعدت ليز وابتسم هو بابتهاج.

"إذاً أريد الذهاب".

انتهت من اثنين. ما زال لديها ثلاثة، قالت ليز لنفسها فيما أعادتهم إلى المنزل من تاهو. ناقشت الفتيات الثلاث المسألة طوال الطريق إلى ساكرمنتو

وقررن أن المخيم يبدو فكرة جيدة في النهاية. في يوليو (تموز). وقالت ليز إنها ستصطحبهم جميعاً إلى تاهو لمدة أسبوع في شهر أغسطس (آب)، ثم يستطيعون البقاء في المنزل واستعمال حوض السباحة مع أصدقائهم.

"هل سنقيم حفلة الرابع من يوليو (تموز) هذه السنة في الهواء الطلق؟" كان هذا تقليداً سنوياً ينظمه جاك كل سنة. كان يتولى الشواء، ويهتم بالمشروبات المفضلة، وكان رجلاً متعدد المواهب. ومجرد التــفكير في ذلك سبب لها الاكتئاب. برز صمت طويل، وهزت ليز رأسها. لم يجادلها أحد، وحين ألقت نظرة سريعة عليه، رأت أن دمعتين تنهمران على وجنتي جايمي فيما راقبته.

"هل أنت حزين بشأن الحفلة في الهواء الطلق؟"، سألته بنعومة، لكنه هز رأسه. إنه شيء آخر. شيء أكثر أهمية.

"تذكرت بالضبط. لا أستطيع الآن الاشتراك في الألعاب الأولمبية الخاصة". كان هذا حدثاً أحبه، وشاركه جاك فيه. لقد "تدربا" لأشهر، وكان جايمي يحل عادة في المرتبة الأخيرة، أو شبه ذلك، في كل الأحداث التي شارك فيها، لكنه كان يفوز دوماً بوسام من نوع ما، وكانت العائلة كلها تذهب لمشاهدته.

"لماذا لا تستطيع؟" رفضت ليز أن تثبط الهمة. عرفت كم بذل جاك من جهد في ذلك، وكم كان ذلك يعني بالنسبة إلى جايمي. "يستطيع بيتر ربما التدرب معك".

"لا أستطيع أمي"، قال بيتر بأسف. "سوف أذهب للعمل من الثامنة صباحاً وحتى الثامنة مساء في المستشفى البيطري، وعليّ حتى العمل في عطلات نهاية الأسبوع". لكنه سيجني الكثير من المال، ولهذا السبب وافق على العمل. "لن يكون لدي الوقت". كان هناك صمت طويل طويل فيما استمرت الدموع في الانهمار على وجنتيّ جايمي، وشعرت ليز كأن قلبها يتمزق خارج صدرها فيما شاهدته.

"حسناً جايمي"، قالت بهدوء. "بقينا أنا وأنت. علينا العمل على هذا معاً. سوف نرى ما هي الأحداث التي تريد الاشتراك فيها والتي تتأهل لها، وسوف نبذل ما بوسعنا، وهذه السنة"، قالت وهي تحبس دموعها، "أظن أنه علينا السعي وراء الميدالية الذهبية". اتسعت عينا جايمي عند سماعه الكلمات.

"من دون أبي؟" بدا جايمي مذهولاً فيما التفت ليرى ما إذا كانت تقصد ذلك أم أنها تمزح فقط. لكنها لن تفعل ذلك معه.

"معي أنا. ما رأيك؟ فلنسعى وراء النجوم".

"لا يمكنك، أمي. أنت لا تعرفين كيفية فعل ذلك".

"سوف نتعلم معاً. يمكنك أن تشرح لي ما كان يفعله البابا. وسوف نربح شيئاً ما. أعدك". ارتسمت ابتسامة بطيئة على وجه جايمي، ومدد يده للمس يدها من دون قول أية كلمة أخرى. كانا قد حلا المشكلة. وجرى تنظيم الصيف. كل ما كان عليها فعله الآن هو تسجيل الفتيات في المخيم، وإشراك جايمي في مخيم نهاري والألعاب الأولمبية الخاصة، وحجز غرف أو منزل لهم في تاهو لتمضية أسبوع في شهر أغسطس. ليس هذا سهلاً، أي شيء منه، تقرير المسائل، وتلبية حاجاتهم بمفردها، وقضاء حياتهم وفق توقعاتهم، ومحاولة التعويض عما خسروه لكنها كانت تبذل ما بوسعها، وهم كانوا يتغلبون على المحنة في الوقت الحاضر.

كانوا ينجزون جميعاً عملاً جيداً في المدرسة، ويبتسمون لوقت كبير الآن، وقضوا وقتاً رائعاً في التزلج معها، وكل ما كان عليها فعله الآن هو إبقاؤهم على المسار الصحيح إلى أن يكبروا، وتحمل عبء مزدوج في مهنة المحاماة، وتعلم كيفية إشراك جايمي في الألعاب الأولمبية الخاصة، وحتى الفوز بميدالية إذا حالفه الحظ. شعرت كأنها مهرجة في السيرك أثناء عودتهم إلى المنزل في اتجاه سان فرانسيسكو، وأدارت ميغان جهاز الراديو بأعلى صوت. لكن كان هذا أمراً مألوفاً على الأقل. لكان جاك غضب على ذلك وأجبرها على إطفائه. لكن ليز لم تفعل. عرفت أن هذا دليل جيد، وهم احتاجوا

جميعاً إلى الأدلة الجيدة الآن. لقد عانوا من أمور مروعة خلال الأشهر الثلاثة والنصف الماضية لكن الأمور بدأت تتحسن ببطء. ألقت ليز نظرة خاطفة على ميغان مع ابتسامة صغيرة، وفيما التقت عيناهما، رفعت ليز صوت الراديو أكثر قليلاً. وفيما راقبتها ميغان تفعل ذلك، بدأت تضحك وكذلك فعلت أمها.

"نعم، أمي... هيا!!!" ضحكوا جميعاً وصرخوا وبدأوا يغنون مع الموسيقى. كان هذا صاخباً جداً. لكن هذا هو ما احتاجوا إليه، وتحدثت ليز بأعلى صوت ممكن في السيارة.

"أحبكم أيها الأولاد!". نجحوا في سماعها على رغم الضجيج، وأجابوا بانسجام على المرأة التي أرشدتهم لتجاوز العقبات الخطيرة وعادت بهم إلى شاطئ الأمان، وهم عرفوا ذلك تماماً مثلها هي.

"نحبك أيضاً يا ماما!!!" كانت آذانهم لا تزال تدوي بالموسيقى حين وصلوا إلى المنزل، لكنهم كانوا يبتسمون جميعاً، فيما حملوا حقائبهم ودخلوا إلى المنول. وكانت ليز تمشي مباشرة خلفهم وتبتسم.

كانت كارول تنتظرهم عند الباب. "كيف كان؟"، سألت وهي تشير إلى رحلة التزلج وكذلك رحلة العودة الطويلة إلى المنزل. ابتسمت ليز لها مع نظرة سلام لم تشاهدها ليز لديها منذ أشهر.

"مذهل"، قالت ليز بهدوء، وصعدت السلم إلى غرفة نومها.

الفصل الخامس

انتهى الأولاد من المدرسة في الأسبوع الثاني من شهر يونيو (حزيران). وبعد أسبوعين، كانت ليز وكارول توضبان الحقائب للمخيم. كانت الفتيات متحمسات فعلاً، خصوصاً وأن عدداً من أصدقائهن سيذهب أيضاً. من الممتع رؤيتهن جميعاً سعداء. يقع المخيم الذي سيذهبن إليه قرب مونتري، وأوصلتهن ليز بنفسها وأخذت جايمي معها في الرحلة.

سيطر على السيارة جو العطلة الحقيقي. أداروا مجموعة منوعة من الأشرطة الموسيقية، وكانت كلها بصوت عال وصاخب وتتماشى مع أسلوبهن في الموسيقى وليس أسلوب أمهن. لكن ليز لم تكترث لذلك. ففي الشهر أو الشهرين الماضيين، أصبحت تستمتع فعلاً برفقتها مع الأولاد. وكانت قد وعدت جايمي، أنها سوف تبدأ في التدرب معه ما إن تغادر الفتيات إلى المخيم. ما زال لديهما خمسة أسابيع قبل الألعاب الأولمبية الخاصة، وتكون شقيقاته قد عدن إلى المنزل في هذا الوقت. فالعائلة كلها ذهبت لحضور الألعاب الأولمبية الخاصة والهتاف لجايمي. هذا تقليد كان قد بدأه جاك قبل ثلاثة أعوام، وهو تقليد مهم بالنسبة إليهم. لكن جايمي كان لا يزال قلقاً من ألا تعرف أمه كيفية التدرب معه.

أنزلا الفتيات في المخيم بين مونتري وكارمل، وساعدتهن ليز في حمل حقائب النوم، ومضارب التنس، وآلة الغيتار، وصندوقين للثياب، وكومة من معدات التخييم والأكياس الصوفية لوضعها في حجراتهنّ. بدا كل ذلك مثل معدات جيش غازٍ. وبالكاد تذكرن تقبليها هي وجايمي قبلة الوداع قبل أن يركضن إلى المسؤولين ويلتقين بأصدقائهن.

"قد تذهب للتخييم يوماً ما"، قالت ليز لجايمي فيما ابتعدا.

"لا أريد ذلك"، قال ببساطة. "أحب البقاء في المنزل معك". نظر إليها فيما قال ذلك، وابتسمت لـــه فيما سلكت الطريق السريع. احتاجا إلى ثلاث ساعات للعودة إلى تيبورون، وحين وصلا، كان بيتر قد عاد للتو إلى المنزل من العمل. لقد بدأ العمل في الأسبوع الفائت، وأحبه، على رغم الساعات الطويلة. هذا هو تماماً ما أراده. وكان هناك تلميذان آخران من الثانوية يعملان ذلك الصيف أيضاً، إحداهما فتاة جميلة جداً من ميل فالي، وطالب داخلي في الكلية البيطرية في دايفيس.

"كيف كان العمل اليوم؟" سألت ابنها البكر، فيما دخلت هي وجايمي إلى المطبخ.

"ناشطاً". ابتسم لأمه.

"ما رأيك في تناول بعض العشاء؟".

كانت تطهو لهم الطعام مجدداً، مثلما فعلت طوال أشهر، فيما تولت كارول ذلك قبلاً. لكن مع بداية الربيع، شعرت وكأنها عاودت الاتصال مع أولادها. ما زالت أمها تتصل بها بانتظام للاطمئنان عليها، لكن حتى توقعاتها المشؤومة لم تكن منذرة جداً بالسوء. بدا وكأنهم سينجحون جميعاً في النهاية. فهي كانت تتدبر أمورها في العمل، على رغم عبء العمل الكبير. كانت قد أنهت كل قضايا جاك، وباشرت في قضايا جديدة وحدها. كان الأولاد بصحة جيدة، وشكل الصيف انطلاقة إيجابية. ما زالت تفتقد جاك، لكنها استطاعت تمضية الأيام، وحتى الليالي الآن. لم تنم جيداً مثلما كانت تفعل قبلاً، لكنها خلدت إلى النوم في الثانية فجراً بدل الخامسة، وكانت معنوياتها مقبولة معظم الوقت. إلا أنها ما زالت تعاني أحياناً من بعض الأحزان الحقيقية، وتشهد أياماً كئيبة بشدة. إلا أنه أخيراً كان هناك الكثير من الأيام الجيدة التي فاقت الأيام السيئة.

أعدت المعكرونة والسلطة تلك الليلة لهم الثلاثة، فضلاً عن البوظة (آيس

كريم)، وساعدها جايمي في إعدادها. وضع القشدة المخفوقة فوقها والمكسرات والكرز الصغير.

"تماماً مثل المطعم"، قال جايمي، وهو فخور بنفسه، حين قدمها.

"هل باشرت أنت وأمي في التدرب للألعاب الأولمبية؟" سأل بيتر باهتمام فيما التهم البوظة.

"نبدأ غداً"، أجابت أمهما.

"ما هي المباريات التي ستشارك فيها هذه السنة؟". تحدث إليه بيتر الآن كما لو أنه والد وليس مجرد أخ كبير. نجح في تسوية الأمور عند الإمكان، وأنهى العام الدراسي بعلامات مقبولة نسبياً على رغم كل ما حدث. وفي الخريف، سيكون في سنته الثانوية الأخيرة. كانت تخطط ليز لزيارة الكليات معه في شهر سبتمبر (أيلول). في منطقة الساحل الغربي مبدئياً. لا يريد الابتعاد عن المنزل الآن، رغم أنه كان يتحدث عن برينستون ويال وهارفارد قبل وفاة والده. لكنه يتطلع الآن إلى UCLA وبيركلي وستانفورد.

"سوف أشترك في مباراة القفز الطويل، وسباق الـــ 91.5 متراً... والسباق الكيسي"، قال جايمي بفخر. "كنت أريد الاشتراك في مسابقة البيض مجدداً، لكن أمي قالت إني أصبحت كبيراً الآن".

"يبدو هذا جيداً لي. أراهن أنك ستفوز بجائزة أخرى". قال بيتر مع ابتسامة دافئة، فيما نظرت إليهما ليز بسرور. إنهما ولدان جيدان، وهي مسرورة لأنهما في المنزل معها. إنها استمتعت بصحبتهما، ويمكنها التركيز عليهما مع رحيل الفتيات.

"تظن أمي أني سأفوز بالجائزة الأولى هذه المرة"، قال جايمي، لكنه لم يكن مقتنعاً. ما زال غير واثق من مدى مهارة أمه في التدريب. لقد اعتاد التدرب مع والده.

"أراهن أنك ستفعل ذلك أيضاً"، قال بيتر وهو يسكب لنفسه المزيد من

البوظة (الأيس كريم) ويعطي بعضاً منها لشقيقه الصغير.

"لا أبالي إذا فزت بالمرتبة الأخيرة"، قال جايمي بواقعية، "بحيث أحصل فقط على جائزة".

"شكراً لإيمانك فيّ كمدرّبة". ابتسمت ليز لابنها الأصغر، وبدأت تنظف الأطباق ثم طلبت منه الاستعداد للسرير؟ كان جايمي يبدأ المخيم النهاري في الصباح.

في اليوم التالي، أوصلته إلى هناك وهي في طريقها إلى العمل، ونظرت إلى جايمي بفخر وانحنت لتقبيله. "أحبك، أيها الصغير. استمتع. سأعود إلى المنزل في السادسة وسوف نبدأ التمرن للألعاب الأولمبية".

أومأ برأسه ووجه إليها قبلة فيما خرج من السيارة، وتوجهت هي إلى المكتب. كان يوماً دافئاً ومشمساً في مارين، رغم أنها استطاعت رؤية الضباب منتشراً عبر الجسر، وعرفت أن الطقس بارد ربما في سان فرانسيسكو. كان يوماً صيفياً جميلاً، وفكرت فجأة في جاك، وشعرت بطعنة قوية في قلبها. ما زالت تعاني من ذلك أحياناً، حين تفكر فيه أو تشاهد شيئاً كانا يحبانه أو يفعلانه معاً. إلا أنها شعرت بالتحسن مجدداً حين وصلت إلى المكتب. لكن مهما فعلت أو أبقت نفسها مشغولة، ما زالت تشتاق إليه وتفتقده.

"أية رسائل؟"، سألت جان فيما دخلت وأعطتها جان سبعة ظروف صغيرة من الورق. ثمة ظرفان من زبونين جديدين كانت قد التقت بهما الأسبوع الماضي، واثنان من محاميين أحالت إليهما بعض القضايا، واثنان من شخصين لا تعرفهما، فيما الظرف الأخير من أمها.

أجابت على كل اتصالات العمل، ثم اتصلت بأمها.

"هل ذهبت الفتيات إلى المخيم؟".

"نعم. أوصلتهن البارحة، وبدأ جايمي المخيم النهاري هذا الصباح، فيما بيتر يعمل".

"ماذا عنك ليز؟ ماذا تفعلين في حياتك؟".

"هذه هي حياتي أمي. أنا أهتم بأولادي وأعمل". أي شيء آخر توقّعت منها الآن؟

"لا يكفي هذا لامرأة من عمرك. أنت في الحادية والأربعين، وما زلت شابة، ولكن ليس شابة كفاية لتبديد الوقت. يجدر بك مواعدة رجل". أوه بحق الله. هذا آخر شيء تفكر فيه. ما زالت تضع محبس الزواج، وقد رفضت فوراً أسئلة مماثلة من بعض الأصدقاء. لم تهتم أبداً في مواعدة أي كان. ففي قلبها، ما زالت تشعر أنها متزوجة من جاك، وشعرت أنها ستبقى كذلك على الدوام.

"مضت ستة أشهر فقط، أمي. فضلاً عن ذلك، أنا مشغولة جداً".

"يكون بعض الأشخاص قد تزوجوا ثانية في هذا الوقت. ستة أشهر هي وقت طويل".

"وكذلك هي تسع عشرة سنة. ما الجديد لديك؟ هل تواعدين رجلاً؟".

"أنا كبيرة جداً على ذلك"، صرخت أمها عليها، رغم أنهما عرفا تماماً أنها ليست كذلك. "تعرفين ما أقول". بيع المنزل. إغلاق المكتب. العثور على زوج. لقد أعطتها أمها الكثير من النصائح، أو هكذا تظن، مثلما فعل كل الأشخاص الآخرين الذين عرفتهم ليز. فكل شخص كان يملك نصيحة من نوعٍ ما لها، لكنها لا تبالي. "متى ستأخذين إجازة؟".

"في شهر أغسطس (آب). سوف آخذ الأولاد إلى تاهو".

"جيد. أنت بحاجة إلى ذلك".

"شكراً. يستحسن أن أعود إلى العمل. لدي الكثير من الأمور هذا الصباح". أرادت إقفال الهاتف قبل أن تحدثها أمها عن شيء آخر. فهناك دوماً شيء ما.

"ألم تتخلصي بعد من أغراض جاك؟".

يا إلهي. لا جدوى أبداً. "لا، لم أفعل. لا أحتاج إلى المساحة".

"تحتاجين إلى الشفاء، ليز، وأنت تعرفين ذلك".

"إذاً، لماذا لا تزال معاطف أبي معلقة في خزانتك؟".

"هذا مختلف. لا أملك مكاناً آخر لحفظها". حفظها لمن؟ ولماذا؟ عرفت كلاهما أن الأمر ليس مختلفاً أبداً.

"لست مستعدة للتخلص منها أمي". ولن أكون أبداً كذلك ربما، قالت لنفسها بصمت. لا تريده خارج حياتها أو عقلها أو قلبها أو خزانتها. ليست مستعدة بعد للقول وداعاً.

"لن تصبحي أفضل إلا إذا فعلت ذلك".

"أنا أفضل. أفضل كثيراً. يجب أن أقفل الخط الآن".

"لا تريدين سماع ذلك، لكنك تعرفين أني محقة". من يقول هذا؟ من يقول إنه يجدر بي التخلص من أشيائه؟ شعرت بطعنة الألم مجدداً التي أحست بها هذا الصباح. لا شك في أن أمها لا تساعدها البتة.

"سوف أتصل بك في نهاية الأسبوع"، وعدت أمها.

"لا تعملي بكد كبير، ليز. لا أزال أظن أنه يجدر بك إغلاق المكتب".

"قد أضطر لفعل ذلك إذا لم تدعيني أعود إلى العمل، أمي".

"حسناً، حسناً. سأتحدث إليك يوم الأحد".

بعدما أقفلت السماعة، جلست ليز تحدق خارج النافذة، تفكر في جاك، وما قالته أمها. لكن من المؤلم جداً القبول بالأشياء التي اقترحتها أمها. من المريح رؤية ثيابه وهي لا تزال معلقة في خزانته. أحياناً، تسمح لنفسها بلمس كم القميص بكآبة، أو شم رائحة العطر التي ما زالت عالقة على ياقاته. أبعدت أخيراً عدة الحلاقة خاصته، ورمت فرشاة أسنانه. لكنها لم تستطع حمل نفسها على فعل أكثر من ذلك. لذا، ما زال كل الباقي هناك، وهي أحبت ذلك. وفي أحد الأيام، حين لا تعود تحب ذلك، سوف تفعل شيئاً به. لكن على أمل ألا يكون ذلك قبل وقت طويل. ليست مستعدة، وهي عرفت ذلك.

"هل أنت بخير؟" دخلت جان إلى الغرفة وشاهدتها تحدق خارج النافذة مع نظرة كئيبة. لكن ليز اضطربت قليلاً حين سمعتها، ونظرت إليها مع ابتسامة حزينة.

"أمي. تملك دوماً نصيحة ما لإعطائها لي".

"الأمهات هن هكذا. لديك محكمة بعد الظهر. أفترض أنك تذكرين".

"نعم. رغم أني لا أستطيع القول إني أتطلع لها". لقد أبقت مهنتها تماماً مثلما كانت. ما زالت تأخذ القضايا نفسها التي كان جاك يوافق عليها، ويريد الكفاح من أجلها. ما زالت تعتمد المعايير نفسها لقبول القضايا، وتحيل القضايا التي كان جاك لا يريدها إلى محامين آخرين. إنها كانت تفعل ذلك من أجله، وما زالت تحترم الإرشادات التي حددها، رغم أنها كانت تتساءل أحياناً عما كانت تفعله. هناك الكثير من الأمور التي لم تحبها في القانون العائلي، والكثير من المعارك التي بدت غير مهمة لها. كما أنها بدأت تشعر بالاكتئاب نتيجة التعاطي مع أشخاص يكرهون بعضهم البعض، ويرغبون في إيذاء بعضهم البعض، ويسببون باستمرار الألم والمشاكل لبعضهم البعض، وعرفت جان ذلك. لم تعد تعشق المهنة مثلما كانت تفعل حين كان جاك حياً. كانا فريقاً رائعاً، لكنها الآن وحدها، وليس لديها الشجاعة التي كانت تملكها قبلاً. لم تكن لتعترف بذلك لأي كان، لكن الازعاجات المستمرة نتيجة التعاطي مع الطلاق بدأت تضجرها..

إلا أن أحداً لم يعرف ذلك حين دخلت إلى المحكمة بعد ظهر ذلك اليوم. فالكعادة، كانت مستعدة تماماً، ومنظمة جداً، ودافعت بقوة عن زبونها، وربحت القضية بسهولة. كانت مسألة تافهة، لكنها تولتها ببراعة، وشكرها القاضي على حسمها السريع لمسألة صغيرة نسبياً كان يحاول المحامي الخصم تحويلها إلى قضية كبيرة.

كانت الساعة قرابة الخامسة مساء حين عادت إلى المكتب، وأجابت على بعض الاتصالات، وجمعت أشياءها. أرادت أن تكون في المنزل في الخامسة

والنصف من أجل جايمي.

"هل تغادرين؟" دخلت جان مع كومة من الأوراق وصلت للتو من مكتب محامٍ آخر. كانت هذه المستندات تتعلق بقضية طلاق جديدة، وتأتي من مكتب مشهور جداً في المدينة.

"عليّ العودة إلى المنزل للتدرب مع جايمي. سوف يشترك في الألعاب الأولمبية الخاصة مجدداً هذه السنة".

"هذا لطيف، ليز"، قالت جان مبتسمة. ما زالت تحتفظ بكل تقاليد جاك، وتتشبث بالمعايير العالية لأجله، ولأجل زبائنها، ولأجلها هي ولأجل أولادها. كان واضحاً أنها لم ترد تغيير أي شيء، ولغاية الآن لم يتغير أي شيء. كان كل جزء من حياتها لا يزال على الحال نفسه الذي كان عليه قبل أن تفقد زوجها. حتى إنها لم تعد تجلس الآن على مكتبه، أو تستعمل غرفته، رغم أنها أحبت دوماً مكتبه. أغلقت بابه ببساطة، ونادراً ما كانت تدخل إلى غرفته، علماً أن أحداً لم يكن يستعملها. كان ذلك كأنها تتوقع عودته يوماً ما ليجلس هناك. في البداية، اعتبرت جان ذلك مخيفاً، لكنها اعتادت الآن على ذلك. كانتا تدخلان إلى الغرفة بين الحين والآخر للحصول على بعض الأوراق. لكن معظم الملفات الحديثة أصبحت الآن في مكتب ليز.

"أراك غداً"، قالت ليز، فيما أسرعت خارج الباب. وحين وصلت إلى المنزل، كان جايمي في انتظارها. ركضت إلى المنزل، وارتدت سروال جينز وقميصاً قطنياً، وانتعلت أحذية رياضية، وبعد خمس دقائق عادت إلى الخارج مجدداً للتدرب على مباراة القفز الطويل مع جايمي. حين جرب ذلك للمرة الأولى، لم يكن أداؤه جيداً، وعرف هو ذلك.

"لا أستطيع فعل ذلك". بدا مهزوماً قبل أن يبدأ، وكأنه أراد الاستسلام، لكنها لم تسمح له.

"بلى، يمكنك. أنظر إلي". أظهرت لـــه كيفية فعل ذلك وحاول تقليد الحركة ببطء لكي يتمكن من رؤيتها. كان يجيد التركيز على الأشياء البصرية

أكثر من الأشياء السمعية، وأدى عملاً أفضل في المرة التالية. "حاول مجدداً"، شجعته. وبعد برهة، خرجت كارول إليهما وهي تحمل كوباً من المشروب البارد وطبقاً من بسكويت الشوكولا المخبوز حديثاً.

"كيف تجري الأمور؟"، سألت بمرح، وهز جايمي رأسه وهو يبدو حزيناً.

"ليست جيدة. لن أفوز بجائزة".

"بلى، ستفعل"، قالت ليز بحزم. أرادته أن يفوز لأنها عرفت كم عنى لـــه ذلك، وكان يفوز دوماً حين تدرب مع والده. بعدما تناول قطعتين من البسكويت وشرب نصف المشروب، طلبت منه المحاولة مجدداً، وأبلى حسناً هذه المرة. وفيما ذكرته بشعار الألعاب الأولمبية الخاصة "دعني أفوز، لكن إذا لم أستطع الفوز، دعني أكون شجاعاً في المحاولة".

استمرا في التدرب لفترة، ثم جعلته يركض في الفناء الخارجي وسجلت لـــه الوقت. كان جيداً في الركض أكثر مما هو في القفز الطويل، ولطالما كان كذلك. فالركض هو موطن قوته، وهو أسرع من معظم الأولاد الذين يتنافس معهم، ويستطيع التركيز بصورة أفضل على ما يفعله. فعلى رغم إعاقته، كان لديه مقدار مذهل من التركيز، وتعلم أخيراً القراءة في فصل الشتاء، وكان فخوراً جداً بذلك. كان يقرأ أي شيء يقع بين يديه. علب الحبوب، لصائق الخردل، علب الحليب، الكتيبات والإعلانات التي يتركها الأشخاص على زجاج السيارة، وحتى الرسائل التي كانت تتركها ليز على طاولة المطبخ. في سن العاشرة، أحب حقيقة قدرته على القراءة.

في السابعة مساء، اقترحت ليز أن يتوقفا، لكنه أراد المتابعة لبرهة، وأقنعته أخيراً بالدخول في السابعة والنصف.

"لا يزال لدينا شهر للتدرب، حبيبي. لسنا مضطرين إلى فعل كل شيء في ليلة واحدة".

"لطالما قال أبي إنه يجدر بي المتابعة حتى لا يبقى بإمكاني تحمل المزيد. لا أزال أستطيع التحمل"، قال ببساطة وابتسمت له.

"أظن أنه يجدر بنا التوقف فيما لا تزال تتحمل. يمكننا التدرب مجدداً غداً".

"حسناً"، قبل أخيراً. لقد عمل بكد وكان مرهقاً. وحين عادا إلى المطبخ، كانت كارول قد أعدت العشاء لهما. إنه الدجاج المشوي والبطاطا المهروسة، مع الجزر المسلوق، وهذا أحد الأطباق المفضلة عند جايمي. وثمة فطيرة تفاح ساخنة خرجت للتو من الفرن.

"يم!" قال مع نظرة سرور، والتهم كل ما هو موجود في طبقه فيما تحدث عن الألعاب الأولمبية مع أمه. كان متحمساً فعلاً لذلك.

استحم وخلد إلى السرير مباشرة بعد العشاء. كان عليه النهوض باكراً للمخيم النهاري، ولديها هي بعض العمل الواجب إنجازه. أخذت حقيبتها إلى الأعلى وقبلته قبلة المساء، ثم وضعت حقيبتها في غرفتها وتوجهت إلى خزانتها. كان لديهما خزانة كبيرة أعدها جاك خصيصاً لهما. استعملت هي جهة واحدة، فيما علقت ثياب جاك في الجهة الأخرى. وفيما تذكرت ما قالته أمها على الهاتف ذلك الصباح، وجدت نفسها تنظر إلى أشيائه مجدداً، مع نظرة توق أكبر مما فعلت قبلاً. بدا وكأن الجميع حاول إبعادها عنها، ولم تكن هي مستعدة للتخلي عنها أو لنسيانه.

وجدت نفسها تمرر يداً فوق ستراته مجدداً، وأمسكت واحدة منها بالقرب من وجهها وشمت رائحتها. ما زالت رائحته تفوح منها. تساءلت ما إذا كانت ثيابه ستفعل ذلك دوماً، أم أن رائحته ستختفي في النهاية. لم تستطع تحمل فكرة ذلك، وشعرت بعينيها تمتلئان بالدموع فيما دفنت وجهها في إحدى ستراته. لم تسمع بيتر وهو يدخل وقفزت حين شعرت فجأة بيد على كتفها، فالتفتت وشاهدته.

"لا يجدر بك فعل ذلك أمي"، قال بنعومة وهو يراقبها، فيما تلألأت

الدموع في عينيه.

"لم لا؟" كانت تبكي حينها، وتمدد وأمسك بها بين ذراعيه. لم يكن فقط ابنها، وإنما صديقها الآن. في السابعة عشرة من عمره، تحول إلى رجل فوراً حين فقد والده. "لا أزال أشتاق إليه كثيراً"، اعترفت له، وأومأ هو برأسه.

"أعرف. لكن هذا لن يغير أي شيء. لن يجدي نفعاً. إنه يجعل الأمور أسوأ. اعتدت على المجيء إلى هنا أيضاً وفعل الشيء نفسه، لكنه جعلني حزيناً جداً وتوقفت. يجدر بك ربما توضيب أغراضه. إذا شئت، أنا أساعدك"، عرض بيتر.

"تقول الجدة إنه يجدر بي ذلك أيضاً... لكني لا أريد"، قالت ليز بحزن.

"إذاً لا تفعلي. إفعلي ذلك حين تصبحين جاهزة".

"وماذا لو لم أصبح أبداً؟".

"سوف تصبحين. أنت تعرفين متى". أمسك بها لوقت طويل، ثم أبعدها عنه ببطء وابتسمت له. لقد ولى الحزن الكبير وشعرت بالتحسن حين نظرت إلى ابنها. إنه ولد طيب، وهي أحبته أكثر مما تستطيع أن تقول له، تماماً مثلما أحبت بقية أولادها.

"أحبك أمي".

"وأنا أحبك أيضاً حبيبي. شكراً لكونك هنا من أجلي ومن أجل الآخرين". أومأ برأسه وعادا مجدداً إلى غرفتها، فيما ألقت نظرة خاطفة على حقيبتها. للمرة الأولى، لم تشعر برغبة في العمل. فالقيام بما فعلته، أي محاولة التشبث بجاك، والتمسك بثيابه، واستنشاق عطره عليها، كان يجعلها دوماً أسوأ حالاً. فالجوانب الإيجابية دامت فقط للحظات قليلة. واشتاقت إليه أكثر بعد ذلك. هذا ما اكتشفه بيتر، ولذلك توقف عن فعل الشيء نفسه، تماماً مثلما أخبرها.

"لماذا لا تمنحين نفسك إجازة الليلة، فتأخذين حماماً ساخناً أو تذهبين إلى السينما أو أي شيء آخر"، قال بحكمة.

"لدي بعض العمل".

"لديك دوماً بعض العمل. سوف أنتظر. لو كان أبي هنا، لكان اصطحبك خارجاً. حتى إنه لم يكن يعمل كل ليلة مثلما تفعلين الآن".

"لا. لكنه كان يعمل في المنزل كثيراً. أكثر مما كنت أفعل".

"لا يمكن أن تكوني أنت وهو، أمي. كل ما يمكنك هو أن تكوني أنت. من الصعب أن تكوني الاثنين معاً".

"متى أصبحت حكيماً هكذا؟" ابتسمت لابنها فيما وقف في الباب، لكنهما عرفا معاً الجواب على هذا السؤال. لقد كبر بيتر قبل ستة أشهر تقريباً، صباح العيد. توجب عليه فعل ذلك بسرعة، لمساعدتها هي وإخوته. ما من خيار الآن. حتى الفتيات نضجن كثيراً خلال الأشهر الستة الأخيرة، وعلى رغم صغر سنها، كانت ميغان تعرض دوماً المساعدة عليها. عرفت ليز أنها ستشتاق إليها أثناء غيابها في المخيم، لكنهن يستحقن الابتعاد وقضاء الوقت الجيد. جميعهم يستحق ذلك.

ذهب بيتر إلى غرفته حينها، وجلست ليز في غرفتها على سريرها وبسطت أوراقها. كانت لا تزال تعمل بعد وقت طويل من خلود بيتر إلى السرير. إنها عملت دوماً حتى وقت متأخر الآن. كرهت الخلود إلى السرير أو المحاولة والنوم. فهي كانت تواجه دوماً معركة في طرد الذكريات من عقلها. كانت الليالي أصعب كثيراً من النهارات، وهي كذلك منذ البداية.

خلدت أخيراً إلى النوم بحلول الساعة الثانية فجراً، ونهضت في السابعة وبدأت تسوق بسرعة. أوصلت جايمي إلى المخيم مجدداً، وذهبت إلى العمل، ودرست قضاياها، ونصّت الرسائل على جان، وأجرت عشرات الاتصالات الهاتفية، وفي الخامسة والنصف مساء عادت إلى المنزل للتدرب مع جايمي في الفناء الخلفي. كان هذا روتيناً ممتعاً نوعاً ما. الأولاد، العمل، الأولاد، العمل، النوم، ومن ثم الروتين نفسه مجدداً. هذا كل ما كانت تملكه وكل ما أرادته في الوقت الحاضر.

حين انتهى مخيم الفتيات، كان جايمي قد بلغ سرعة كبيرة في نشاطه، وحسّن مسافته في القفز الطويل. حتى أنهما تدربا على السباق الكيسي، باستعمال كيس من الخيش اشترته من متجر للمواد الغذائية. وقد اكتسب الثقة والسرعة في الوقت نفسه. كما عوّض بالجهد والإرادة ما افتقر إليه بالتنسيق.

لكن جايمي كان متحمساً لرؤية شقيقاته حين عدن إلى المنزل أكثر مما كان متحمساً للألعاب الأولمبية الخاصة. وكنّ مسرورات أيضاً لرؤيته. بالفعل، كان جايمي مميزاً بالنسبة إليهن جميعاً. وقبل يوم واحد من انتهاء مخيم الفتيات، أخذت ليز جايمي وصديقاً لـــه إلى مارين وورلد. كان يحب أن يترشّش بالماء من قبَل الدلافين والحيتان. والواقع أن جسمه تبلل بالكامل حين غادروا وصعدوا إلى السيارة عائدين إلى المنزل. توجب على ليز لفه بالمناشف كي لا يصاب بالزكام، وقد شعر بالحماس طوال النهار.

تحدد موعد الألعاب الأولمبية الخاصة في نهاية الأسبوع التالية. تدربت ليز كل ليلة معه، وطوال الصباح في اليوم الذي سبق الحدث. وحين راقبته شقيقاته، هتفن وصفقن له. أصبح أفضل من أي يوم سابق، وبالكاد استطاع النوم ليلة الحدث بسبب حماسه الكبير. نام في سرير ليز تلك الليلة، علماً أنه بات يفعل ذلك غالباً. لم تتذمر أبداً من الأمر، أو تثبط عزيمته، لأنها كانت تحب ذلك هي أيضاً، خصوصاً وأنه منحهما معاً الراحة.

كان صباح يوم الألعاب الأولمبية مشمساً ودافئاً، وغادرت هي وجايمي قبل الآخرين. كان يريد بيتر أن يلحق بهما بعد ساعة مع كارول والفتيات. كانت ليز تحمل كاميرا الفيديو الخاصة بجاك، فضلاً عن كاميرا النيكون خاصتها. سجلا اسميهما عند بوابة الاحتفال وتم إعطاء جايمي رقماً. كان هناك أولاد مثله في كل مكان، والعديد منهم أكثر تحدّياً منه. فقد بدا العديد منهم معاقين على نحو وخيم، وكان هناك عدد لا متناه من الأولاد الجالسين في الكراسي النقالة. كان هذا منظراً مألوفاً بالنسبة إلى ليز، وتأثرت حين لاحظت كم هم سعداء ومتحمسين جميعاً. بالكاد استطاع جايمي انتظار مباراته الأولى،

وفيما تراصفوا للشروع في سباق الـــ 91.5 متراً، التفت فجأة إلى أمه مع نظرة مذعورة.

"لا أستطيع"، قال بصوت مخنوق. "لا أستطيع أمي".

"بلى، يمكنك"، قالت بهدوء، وهي تمسك بيده. "تعرف أنك تستطيع جايمي. لا يهم إذا فزت أم لا، فهذا للمتعة فقط حبيبي. كل ما عليك فعله هو الاستمتاع بوقتك. هذا كل ما في الأمر. حاول فقط الاسترخاء واستمتع".

"لا أستطيع فعل ذلك من دون أبي". لم تكن مستعدة لذلك، وامتلأت عيناها بالدموع حين قال ذلك.

"يريد البابا أن تمضي وقتاً جيداً. هذا يعني الكثير لك، مثلما كان يعني له. سوف تشعر بالارتياح إذا فزت بجائزة". تحدثت بصوت مرتعش، وحبست دموعها، لكن جايمي لم يلاحظها هذه المرة.

"لا أريد فعل ذلك من دونه"، قال وقد انفجر بالبكاء، وأقحم رأسه في صدر أمه. وتساءلت لبرهة ما إذا كانت ستدعه ينسحب أو تشجعه على المتابعة. بدا ذلك مثل أي شيء آخر عليهم مواجهته الآن، بحيث يكون صعباً جداً في المرة الأولى، لكن بعد تخطيهم الألم، يشعرون بالنصر لأنهم تغلبوا عليه.

"لماذا تجرب مباراة واحدة؟"، قالت لـــه ليز بمنطق، فيما أبقت ذراعيها حوله ومشطت شعره. "وإذا كرهت الأمر، سوف نكتفي بالمراقبة من المنصات أو نذهب إلى المنزل إذا شئت. جرب هذه المباراة فقط". تردد لوقت طويل، ولم يقل أي شيء، فيما نادوا أسماء المشاركين في المباراة للوقوف عند خط الانطلاق، ثم نظر إليها وأومأ برأسه. ذهبت إلى خط الانطلاق معه، والتفت ونظر إليها لوقت طويل ثم وقف في الصف مع الآخرين. أعطته قبلة قبل أن يلتفت، وهذا أمر لم يفعله جاك أبداً. لطالما عامله جاك مثل رجل، و قال دوماً إنها تعامل جايمي مثل طفل. لكنه طفلها، ومهما نضج أو كبر أو أصبح قادراً، سوف يبقى دوماً كذلك.

وقفت تراقبه والدموع في عينيها فيما ركض، وتهتف لـــه مشجعة مع بقية الأهل. لكنها أرادته أن يربح هذه المرة، لأجله، لأجل جاك، وللإثبات أن الأمور لا تزال على ما يرام وأنه يستطيع الصمود من دون والده. احتاج جايمي إلى الفوز هذه المرة أكثر من الآخرين، وربما احتاجت هي أيضاً إلى ذلك بطريقة ما. راقبته وهي تحبس أنفاسها فيما اقترب من خط النهاية. بدا وكأنه سيحل في المرتبة الثالثة أو الرابعة، ثم وبلمح البصر، تجاوز الآخرين. لم ينظر إلى أية جهة أو يلتفت، مثلما فعل بعض الأولاد، وإنما دفع نفسه إلى الأمام بأكبر قوة ممكنة. ثم وبنظرة ذهول، وفيما الدموع انهمرت على وجنتيها، أدركت أنه حل في المرتبة الأولى. ارتطم الشريط بصدره، وكان يلهث في الطرف الآخر وينظر حوله بحثاً عنها فيما "المصافح" الرسمي عانق جايمي وهنأه. فهناك العديد من المتطوعين الذين فعلوا هذا. ركضت ليز إليه بأسرع ما يمكن، ولف ذراعيه حولها حين شاهدها.

"لقد فزت! لقد فزت! حللت في المرتبة الأولى... لقد فزت، أمي! لم أفعل ذلك أبداً مع أبي!" لكن جاك كان ليسرّ من أجله، ويفخر به، واستطاعت ليز تخيله وهو يبتسم لهما. كانت تمسك جايمي بالقرب منها، وتشكر الله وجاك لأن هذا حصل، ثم قبّلت أعلى رأس جايمي وأخبرته عن مدى فخرها به، وبدا متفاجئاً حين نظر إليها وشاهد أنها تبكي. "ألست سعيدة، أمي؟" بدا مرتبكاً وضحكت هي.

"طبعاً أنا كذلك. كنت رائعاً!!". لوحا لبيتر والفتيات في المنصات، وأشارا لهم بإشارة النصر، فيما وقف بيتر والفتيات وهتفوا عالياً حين أعلنوا اسم الفائز بسباق الـــ 91.5 متراً فيما استلم جايمي ميداليته الذهبية. لقد فاز جايمي، على رغم كل الأشياء الأخرى التي حصلت ذلك اليوم.

بعد ذلك، حل في المرتبة الثانية في سباق القفز الطويل ونال الميدالية الفضية، وحل في المرتبة الأولى في السباق الكيسي. وفي نهاية اليوم، كان قد فاز بميداليتين ذهبيتين وميدالية فضية، ولم يكن يوماً سعيداً هكذا في حياته حين

عادوا أخيراً إلى المنزل في وقت متأخر من بعد الظهر وجلس هو في السيارة واضعاً الميداليات الثلاث حول عنقه. كان يوماً رائعاً، مليئاً بالإثارة والنصر واللحظات الجميلة. أخذتهم ليز جميعاً لتناول العشاء في مطعم بوكاي في سوساليتو للاحتفال. كان هذا يوماً سيذكرونه لوقت طويل ويفخرون به.

"لم أفعل هذا أبداً مع أبي"، قال جايمي مجدداً خلال العشاء. "أنت مدربة عظيمة فعلاً، أمي. لم أظن أنك قادرة على ذلك".

"ولا أنا أيضاً"، قالت ميغان بفخر وهي تنظر إلى أمها. ومازحته راشيل وآني بشأن بطولاته الرياضية، فيما قالت ليز إنها ستحفظ لـــه الميداليات في إطار.

"أنجزت عملاً رائعاً أمي"، قالت لها آني.

"أنجز جايمي الجزء الصعب. وكل ما فعلته هو تحديد الوقت لـــه في الفناء الخلفي. هذا سهل جداً". لكنهما كانا قد تدربا كل يوم طوال خمسة أسابيع، وقد أثمر ذلك نفعاً. لم يكن جايمي أبداً سعيداً أو فخوراً هكذا في حياته. وأظهر لكل شخص تقريباً في المطعم ميدالياته وجوائزه. وحين وضعته ليز في السرير تلك الليلة، شكرها مجدداً ووضع ذراعيه حول عنقها وشدها بالقرب منه.

"أحبك، أمي. أفتقد بابا، لكني أحبك كثيراً".

"أنت ولد رائع، وأنا أحبك جايمي. أنا أشتاق إلى بابا أيضاً، لكني أظن أنه فخور جداً بك".

"أظن ذلك أيضاً"، قال جايمي متثائباً، وربتت على ظهره لبرهة حين قلبته على جانبه. غرق في النوم قبل أن تغادر غرفته. وكانت لا تزال تبتسم لنفسها حين عادت إلى غرفتها. كان بيتر قد خرج حينها، وأخذ ميغان معه إلى السينما. أما راشيل وآني فكانتا تشاهدان شريط فيديو، ودخلت ليز بهدوء إلى غرفتها وهي تفكر في زوجها.

"لقد نجحنا"، همست في الظلمة. وفيما نظرت حولها في الغرفة الفارغة، استطاعت أن تشعر به تقريباً. إنه حضور وقوة وحب لا يمكن نسيانها بسهولة. "شكراً"، قالت ليز بهدوء فيما أشعلت الضوء، ولكن من دون أن تتوقع رؤيته أو عودته. إلا أن ما كان قد تركه لها كان نفيساً جداً.

الفصل السادس

غادروا المنزل إلى تاهو بعد ثلاثة أيام من الألعاب الأولمبية الخاصة. وكانت معنويات جايمي لا تزال مرتفعة. جميعهم كانوا كذلك. ثمة صديق قديم لجاك أجّرها منزله في هوموود. إنه منزل قديم استأجروه منه قبلاً. لم تحب زوجته تاهو، وقد كبر أولاده، ونادراً ما يستخدمونه. إنه مثالي بالنسبة إلى ليز والأولاد. للمنزل شرفة كبيرة مسقوفة، ويمكن رؤية البحيرة من معظم غرف النوم تقريباً. كان المنزل محاطاً أيضاً بـ 20234.5م^2 من الأراضي الخضراء. كانت هناك أشجار كبيرة وجميلة، وكان الجميع في مزاج جيد حين وصلوا إلى هناك.

ساعد بيتر والفتيات أمهم على إخراج كل شيء من السيارة، وأخذ جايمي البقالة إلى المنزل وساعدها في ترتيبها. أما كارول فقد ذهبت إلى سانتا باربارا لقضاء أسبوع مع شقيقتها.

"ما رأيكم في السباحة؟"، اقترح بيتر ما إن وصلوا تقريباً. وبعد نصف ساعة، كانوا يقفزون جميعاً من رصيف مجاور، ويرتعشون في المياه الباردة. لكن هذا جزء من المتعة، وحجزت لهم ليز للقيام بالتزلج المائي في صباح اليوم التالي.

حضرت لهم العشاء تلك الليلة، وساعدها بيتر في الشواء. لقد علّمه والده كيفية فعل ذلك. جلسوا أمام الموقد بعد ذلك، وهم يخبرون القصص ويخبزون الخطمي (Marshmallows). بعد برهة، أخبرت آني قصة مضحكة عن والدهم. ابتسمت ليز حين أصغت، وذكرها ذلك بوقت آخر وقصة أخرى. أخبرتهم القصة، وضحكوا جميعاً، ثم ذكرتهم راشيل حين حبس والدهم نفسه عن غير

قصد في الحجرة التي استأجروها وتوجب عليه التسلق من النافذة. وبعد قليل، تحول الأمر إلى مباراة حول من يستطيع تذكر أجمل القصص المضحكة. كانت هذه طريقة لإعادته إليهم، بأسلوب يستطيعون جميعاً تحمله الآن. فالأشهر التي مرّت خففت عنهم وطأة الألم ولم تتركهم مع دموع فقط، وإنما أيضاً مع ضحك.

وحين صعدوا أخيراً إلى الطابق الأعلى للخلود إلى النوم، شعرت ليز أنها بحال أفضل مما كانت طوال أشهر. ما زالت تفتقده، لكنها لم تعد حزينة جداً، وهم سعداء جميعاً لوجودهم هنا. إنها عطلة يحتاجون إليها جميعاً، وهي مسرورة لأن بيتر نجح في أخذ إجازة والمجيء معهم. كان ينجز عملاً جيداً جداً في المستشفى البيطري ولذلك منحوه إجازة طوال الأسبوع للاستمتاع.

ذهبوا جميعاً لممارسة التزلج على الماء في اليوم التالي، واصطحب بيتر راشيل وجايمي للصيد في النهر وراء المنزل، واصطادوا سمكة. في اليوم التالي، أخذوا قارباً صغيراً كان مربوطاً بالرصيف، واصطاد الولدان السمك، ثم أمسكت ميغان بسمكة كبيرة. اصطادوا جراد البحر قرب الرصيف، وطهتها ليز لهم للعشاء تلك الليلة. كان هذا وقتاً سعيداً بالنسبة إليهم جميعاً، وناموا في أحد الليالي على الشرفة في أكياس النوم، ونظروا إلى النجوم. إنها عطلة مثالية.

حين وضبوا أغراضهم في نهاية الأسبوع، شعروا جميعاً بالأسف لاضطرارهم على الرحيل، ووعدتهم ليز بالعودة مجدداً هذا الصيف. فكرت في إمكانية استئجار المنزل مجدداً يوم عيد العمال. إنها طريقة لتفادي الحفلة التي كانوا يقيمونها. فتماماً مثل نزهة الرابع من يوليو التي قرروا ألا يقيموها هذه السنة، كانت حفلة نهاية الصيف يوم عيد العمال تقليداً عائلياً. إلا أن الذهاب إلى بحيرة تاهو هو بديل مثالي لذلك.

شعروا جميعاً بالاسترخاء والسعادة حين وصلوا إلى المنزل في اليوم التالي، وتوقفوا أمام مطعم إيكيدا في أوبورن لتناول الهامبرغر والحليب

المخفوق.

"أكره العودة إلى العمل"، اعترفت ليز لابنها البكر حين أنهيا كلاهما تناول الحليب المخفوق. "هذا ممتع كثيراً وأتمنى لو أستطيع البقاء كسولة لبقية الصيف".

"لماذا لا تأخذين إجازة إضافية، أمي؟"، اقترح عليها وهزت هي رأسها. استطاعت أن تتخيل ما ينتظرها الآن في المكتب. لديها مرافعات طوال الشهر، ومحاكمة في بداية شهر سبتمبر وعليها الاستعداد لها.

"أنا غارقة في العمل".

"أنت تعملين كثيراً أمي". لكنهما عرفا تماماً أنها لا تزال تحاول حمل أعبائها هي وأعباء والده. "لماذا لا تستخدمين محامياً آخر لمساعدتك؟".

"فكرت في ذلك. لكني أظن نوعاً ما أن والدك لم يكن ليحب ذلك".

"ما كان ليريدك أن تقتلي نفسك بسبب العمل الشديد أيضاً". لطالما عرف جاك كيف يستمتع بالوقت، وعلى رغم صرامته الشديدة في العمل، لم يكن أحد يحب العطلة مثله هو. لكان أحب الأسبوع الذي قضوه في بحيرة تاهو.

"سوف أرى. قد أحضر بعد بضعة أشهر محامياً آخر إلى المكتب. لكن لغاية الآن، أتدبر الأمور وحدي". طالما أنها لم تسترح أبداً لقراءة كتاب أو مجلة، أو تناول الغداء مع صديقة أو تصفيف شعرها. طالما أنها تنكب على العمل من دون راحة كلما كانت من دون الأولاد، جرت الأمور على ما يرام، لكن هذا ليس نمط حياتها، وهي عرفت ذلك. وعلى ما يبدو، أن أولادها لاحظوا ذلك أيضاً.

"لا تنتظري إلى الأبد، أمي"، عاتبها بيتر وجمع شمل الآخرين. كانوا يشترون السكاكر، ويحملون أكياساً منها عند عودتهم إلى السيارة لأخذها معهم إلى المنزل. هذا جزء من سحر إيكيدا. إنها إحدى المحطات المفضلة لديهم. يتوقفون هنا عادة في طريقهم لممارسة التزلج في تاهو في الشتاء.

كانت كارول في انتظارهم حين عادوا إلى المنزل، وعرفت ليز أنها ستكون منهمكة خلال الأسابيع القليلة التالية، خصوصاً قبل عودة الأولاد إلى المدرسة. استمر بيتر في العمل في المستشفى البيطري لمدة أسبوع أو أسبوعين، فيما أمضى بقية الأولاد وقتهم قرب حوض السباحة داعين الأصدقاء للمجيء وقضاء الوقت معهم. كانت تحضر كارول الغداء لستة أولاد أو أكثر كل يوم، وأحياناً لضعف هذا العدد في العشاء. لكن ليز أحبت معرفة أين هم أولادها، ورحبت بقدوم أصدقائهم للزيارة.

أعدت كارول عشاء لذيذاً لهم، وحين خلدوا جميعاً إلى السرير تلك الليلة، كانوا سعداء لعودتهم إلى المنزل مع الكثير من القصص عن البحيرة لإخبارها إياها. بدت ليز مسترخية حين غادرت إلى العمل في صباح اليوم التالي. استمر ذلك لمدة عشر دقائق تقريباً. فكومات العمل والملفات الموجودة على مكتبها تضاعفت بشكل جذري أثناء غيابها، وكان هناك رسائل هاتفية في انتظارها أكثر مما تصورت. كانت تنجز قضاياها بصورة ممتازة. لذا، أحال الزبائن والمحامون الآخرون دعاوى جديدة إليها باستمرار. ولم تستطع أن تنسى ما قاله لها بيتر بشأن استخدام محامٍ آخر في المكتب لمساعدتها.

ذكرت الأمر أمام جان بعد ظهر ذلك اليوم فيما رتبا مكتبها بشكل منظم، وأنجزت ليز بعض الإجراءات.

"هل تفكرين في شخص معين؟" سألت جان باهتمام. كانت تفكر في الشيء نفسه هي أيضاً منذ فترة، وأشادت ببيتر على اقتراحه الذكي.

"ليس بعد"، اعترفت ليز لها. "لا أعرف حتى إذا كنت أريد فعل ذلك".

"يجدر بك التفكير في المسألة. إنه محق. لا يمكنك فعل كل شيء بنفسك. هذا كثير على شخص واحد. كان الأمر كثيراً تقريباً على شخصين قبل وفاة جاك، فضلاً عن أن العمل ازدهر خلال الأشهر الستة الأخيرة. لا أعرف إذا لاحظت الأمر، لكني لاحظت. أنت تتولين عدداً من القضايا تساوي ضعف ما كنت تفعلين حين كنتما تعملان أنتما الاثنـان".

"كيف حصل ذلك؟" بدت ليز متفاجئة فيما اعترفت بما قالته جان.

"أنت جيدة في عملك. هذا هو السبب"، قالت جان مع ابتسامة.

"وكذلك كان جاك"، أسرعت ليز إلى الدفاع عنه. "لطالما ظننت أنه محامٍ أفضل مني".

"لا أقول ذلك"، قالت جان بصدق، "لكنه كان يرفض قضايا أكثر مما تفعلين. لم تجرؤي أبداً على قول لا لأي كان. أما هو فإذا لم تعجبه قضية، كان يحيلها مباشرة إلى محامٍ آخر".

"يجدر بي فعل هذا ربما"، قالت بتفكير.

"لست أكيدة من أنك تستطيعين إجبار نفسك على فعل ذلك". كانت جان تعرفها جيداً. فليز حية الضمير على نحو لا يصدق.

"ولا أنا أيضاً"، قالت ليز فيما ضحكت، وعادتا من ثم إلى متابعة الإملاء والإجراءات اللازمة. كان لديها عدد من الأشياء الواجب إرسالها إلى قضاة مختلفين ومحامين آخرين حول القضايا التي كانت تعمل عليها حالياً.

كان الوقت متأخراً حين عادت إلى المنزل تلك الليلة، قرابة الثامنة مساء، لكنها كانت تعوض عما فاتها في العطلة. كان الأولاد لا يزالون حول حوض السباحة حين عادت إلى المنزل فيما كارول كانت تعد البيتزا.

"مرحبا أيها الأولاد"، قالت ليز مع ابتسامة، وسرّت لرؤية بيتر هناك، لكنها امتعضت قليلاً لمشاهدة اثنين من أصدقائه يغوصان في حوض السباحة ويلعبان بخشونة قليلاً مع الأولاد الأصغر سناً حين اشتركوا جميعاً في لعبة ماركو بولو. طلبت منهم تهدئة نمط اللعب قليلاً، وسألت بيتر أن يخبر أصدقاءه بضرورة عدم اللعب بهذه الخشونة. "سوف يصاب أحد بأذى"، قالت بهدوء لكارول التي وافقت معها وقالت إنها أمضت كل بعد الظهر وهي تقول لأصدقاء ميغان الشيء نفسه. كانت ليز قلقة خصوصاً على جايمي الذي لا يجيد السباحة كثيراً.

ثم حذرت الأولاد من ذلك مجدداً تلك الليلة بعد رحيل أصدقائهم. "لا أريد أية حوادث هنا... أو أية دعاوى قانونية!".

"أنت تقلقين كثيراً أمي"، قالت آني وأخبرتها ليز أنها جادة فعلاً.

ذكرتهم بالأمر مجددا في اليوم التالي حين غادرت إلى العمل، وبدت الأمور أهدأ قليلاً حين عادت إلى المنزل تلك الليلة. لكن يوم الخميس، حين عادت إلى المنزل مجدداً، وجدت ستة من أصدقاء بيتر في حوض السباحة معه، وشاهدتهم وهم يغوصون بسرعة كبيرة، وقوة كبيرة، من دون الانتظار حتى يخلي بقية الأولاد المكان. قالت لبيتر بكلمات عنيفة إن أصدقاءه سيمنعون من حوض السباحة إذا لم يلتزموا بقواعد السلامة الأساسية ويحترموا الأولاد الأصغر سنا.

"لا يجدر بي تذكيرك بهذا مجدداً"، قالت بحزم.

"تبدين متعبة أمي"، قال بهدوء.

"أنا متعبة، لكن هذا ليس الموضوع. لا أريد حادثا هنا. لا يمكنك اللعب بخشونة في حوض السباحة، بيتر، وأنا أعني ذلك فعلاً".

"حسنا أمي، سمعتك". لقد نضج كثيرا خلال العام الماضي، ولكن ليس تماما. لا يزال شابا، ولديه بعض الأصدقاء الذين يتصرفون بحماقة. وكانت تقلق دوما من ذلك. فتعرُّض أحدهم لأذى هو صداع لا تحتاج إليه. لقد عانوا صدمة كافية طوال سنة، ولم تخف من قول ذلك لـــه أو لأصدقائه.

ذهبت إلى غرفتها للعمل مجددا تلك الليلة، إذ توجب عليها المثول أمام المحكمة في صباح اليوم التالي. كانت متعبة ومنهكة، وأرادت الحصول على نوم جيد تلك الليلة.

كانت تغادر إلى المحكمة، في ظهر اليوم التالي، حين رن هاتفها الخلوي. إنها كارول وبدت هادئة ومقتضبة، فيما توقفت كارول للتحدث إليها على درج المحكمة.

"عليك الحضور إلى المنزل فوراً"، قالت بوضوح، وشعرت ليز بالتوتر في عمودها الفقري. كانت كارول هكذا فقط عند تعرض أحد الأولاد للأذى أو في حال وجود مشكلة خطيرة.

"ماذا حدث؟ هل تعرّض أحدٌ للأذى؟" عرفت قبل أن تخبرها كارول.

"إنه بيتر. أخذ إجازة اليوم من العمل، وكان بعض أصدقائه هنا". قاطعتها ليز فوراً بنبرة ثاقبة غير مألوفة لديها، لكن أعصابها لم تعد تحتمل كما في الماضي.

"ماذا حدث؟".

"لا نعرف بعد. كان يغوص وصدم رأسه، حسب ما أظن. سيارة الإسعاف هنا".

"هل ينزف؟" كل ما استطاعت التفكير به هو جاك فيما كان مستلقيا على أرض المكتب والدم في كل مكان. إذا كان هناك دم، يعني ذلك كارثة بالنسبة إليها.

"لا"، قالت كارول بهدوء لم تشعر به. لم تشأ أن تكون هي الشخص الذي يخبرها، لكنها عرفت أنها مجبرة على ذلك. "إنه فاقد الوعي". لم تملك الشجاعة للقول لها إنه كسر عنقه ربما. "ليسوا أكيدين بعد. سوف يأخذونه إلى مارين جنرال. يمكنك اللحاق به إلى هناك. أنا آسفة، ليز".

"هل الآخرون بخير؟". كانت تركض إلى السيارة فيما سألتها.

"لم يتعرض أحد آخر للأذى. فقط بيتر".

"هل سيكون على ما يرام؟".

لم يعرف أحد تماما. هناك مسعفون في كل مكان. واستطاعت ليز سماع الصفارات وهي تدوي فيما أخذوه حين طرحت السؤال.

"أظن ذلك. لا أعرف الكثير ليز. كنت أراقبهم... قلت لهم..." بدأت كارول تبكي حين قالت ذلك، وأدارت ليز سيارتها وأنهت المكالمة فيما خرجت

عن الرصيف وهي تصلي أن يكون بخير. يجب أن يكون بخير. لا يمكنهم عيش كارثة أخرى، أو خسارته معاذ الله. لا تستطيع. توجهت إلى المستشفى بأسرع ما يمكن من دون تجاوز الإشارات أو دهس المارة، وركنت السيارة في المرأب بعد فترة وجيزة من إدخال بيتر إلى غرفة الطوارئ. أخذوه مباشرة إلى قسم الصدمات، وأرشدوا ليز إليه فور وصولها إلى هناك.

كانت تركض في القاعات، وتبحث عنه، وما إن دخلت إلى قسم الصدمات حتى شاهدته. كان شاحباً ومبللاً، وكانوا يعطونه الأوكسجين ويعملون على إسعافه باضطراب شديد. كانوا مشغولين جداً للتحدث إليها، وشرحت لها ممرضة بسرعة ما كان يحدث. لقد تعرض لإصابة وخيمة في الرأس، مع كسر محتمل في عدة فقرات. سوف يجرون صوراً بالأشعة السينية لبيتر بأسرع ما يمكن وكانوا يغرزون الإبر فيه ويضعون أجهزة المراقبة عليه فيما راقبتهم ليز.

"هل سيكون على ما يرام؟"، سألت ليز من دون أن ترفع عينيها عن ابنها، وهي مغمورة بموجة من الذعر. بدا كأنه يموت، ولم تكن واثقة من أنه ليس كذلك.

"لا نعرف بعد"، قالت لها الممرضة بصدق. "سوف يتحدث إليك الطبيب ما إن يقيموا حالته".

أرادت ليز لمسه، والتحدث إليه، لكنها لم تستطع حتى الاقتراب منه. كل ما استطاعت فعله هو الوقوف هناك، والتعارك مع ذعرها. أحضروا آلة التصوير بالأشعة السينية، وخلعوا عنه ثوب السباحة، وكان يستلقي عارياً على الحمالة.

صوروا رأسه وعنقه بالأشعة السينية، وبدا أنهم يفحصون كل جزء فيه، فيما راقبتهم أمه. كانت تبكي حين نظرت إليه، وبدا أن دهراً مرّ قبل أن اقترب منها طبيب يرتدي الثوب الأخضر. كان يضع سمّاعة حول عنقه وبدا متجهماً حين شرح لها الوضع. كان طويلاً، وبدت عيناه الداكنتين حزينتين، لكن الشيب

عند صدغيه جعلها ترغب في التصديق بأنه عرف ما كان يفعله.

"كيف حاله؟" سألت وهي تبدو يائسة.

"ليست عظيمة في الوقت الحاضر. لسنا أكيدين بعد من مدى وخامة الإصابة، أو من ماهية المضاعفات. ثمة عدد كبير من الاحتمالات هنا. هناك الكثير من التورم الداخلي. سوف نجري تخطيطاً كهربائياً للدماغ وصورة طبقية خلال دقائق قليلة. وتعتمد الكثير من الأمور على مدى سرعة استفاقته. أظن أنه كان محظوظاً في عنقه. ظننت أنه مكسور حين جلبوه، لكني لا أظن أنه كذلك. سوف نعيد التصوير بالأشعة السينية خلال دقائق". لقد شاهد الكثير من الإصابات الناجمة عن حوادث في أحواض السباحة، ومعظمها لدى أولاد من عمره، في أواخر سنوات المراهقة، لعبوا بخشونة أو غاصوا من دون انتباه. لكن بدا أن هذا الفتى محظوظ. فلا يوجد شلل في أطرافه، وبدا أن لديه حركة جيدة حسب ما تبين لهم. يحتمل أنه يعاني من كسر طفيف، وهذا ما أكدته لهم صور الأشعة السينية بعد خمس دقائق. فقد أصيب بكسر طفيف في الفقرة العنقية الرابعة، لكنه لم يؤذِ عموده الفقري. عليهم التركيز الآن على إصابات رأسه.

بعد برهة، وقبل أن يأخذوه بعيداً، تمكنت من التمدد ولمسه. كل ما استطاعت قوله لـه هو "أحبك"، لكن بيتر ما زال فاقد الوعي ولم يستطع سماعها.

مضت ساعة تقريباً قبل أن يعود، وهو ما زال شاحباً. ولم يكن الطبيب الذي جاء للتحدث إليها مجدداً سعيداً. علمت أنه رئيس قسم الصدمات واسمه بيل وبستر.

"يعاني ابنك من ارتجاج في الدماغ سيدة سوثرلاند. والكثير من الورم. كل ما نستطيع فعله الآن هو الانتظار، وإذا أصبح الورم أسوأ، علينا إجراء عملية لاستئصاله".

"تعني جراحة في الدماغ؟" بدت مذعورة فيما أومأ هو برأسه. "هل

سيكون... هل..." لم تستطع لفظ الكلمات بسبب ذعرها.

"لا نعرف بعد. هناك الكثير من الاحتمالات هنا. سوف نبقيه هادئاً لفترة ثم نرى ما سيحدث".

"هل أستطيع الجلوس معه؟".

"طالما أنك لا تعيقين عملنا ولا تحركيه. نحتاج إليه هادئاً". تحدث إليها كما لو أنها العدو، وشعرت كأنها كذلك. ثمة قساوة عند الرجل، وافتقار إلى الحساسية، كرهتهما على الفور. لكنه كان مهتماً فقط في إنقاذ بيتر، وهذا ما رد إليه بعض الاعتبار.

"لن أعترض طريقكم"، قالت بهدوء.

أخبرها أين تستطيع الجلوس، وجلست على كرسي بالقرب من بيتر، وأمسكت يده بهدوء. هناك مرقاب للأوكسجين في أحد أصابعه، والعديد من الأجهزة المراقبة في كل مكان، لتعقب حركة قلبه وموجات دماغه. إنه مستقر على الأقل في الوقت الحاضر.

"أين كنت عندما حصل ذلك؟" سألها بطريقة اتهامية، وأرادت صفعه.

"في المحكمة. أنا محامية. كانت ربة منزلي عند الحوض معهم، لكني أظن أن الأمور خرجت عن السيطرة".

"هكذا أظن"، قال باقتضاب وذهب للتحدث مع ممرض وطبيب آخر. عاد مجدداً بعد بضع دقائق. "سوف نمهله ساعة أو اثنتين، ونأخذه إلى الطابق الأعلى لإجراء الجراحة"، قال بفظاظة، وأومأت هي برأسها. كانت تجلس على الكرسي، وتمسك بيد بيتر بأفضل ما يمكن.

"هل يستطيع سماعي إذا تحدثت إليه؟".

"هذا مستبعد"، قال وهو ينظر إليها مقطباً وجهه. كانت شاحبة بقدر ابنها، لكنها أيضاً حمراء الشعر وفاتحة البشرة. "هل أنت على ما يرام؟" سألها، وأومأت هي برأسها. "لا نملك الوقت لمعالجتك هنا إذا فقدت الوعي. إذا كان

هذا كثيراً جداً عليك، يمكنك الجلوس في غرفة الانتظار وسوف نناديك إذا حدث شيء ما".

"لن أذهب إلى أي مكان"، قالت بحزم. لقد عاشت ما حصل لجاك قبل ثمانية أشهر ولم تفقد الوعي حينها. كرهت الطريقة التي كان يتحدث فيها هذا الرجل إليها، لكن إحدى الممرضات قالت لها إنه الأفضل هنا، وأرادت تصديق ذلك. إلا أن طريقته مروعة فعلاً. لقد اعتاد أوضاع الحياة والموت، وإنقاذ الحياة، وكان كل تركيزه على ذلك وليس على أقربائه. فآخر شيء أراده هو القلق بشأن شخص آخر غير مريضه. ابتعد بسرعة مجدداً، لمناداة جراح أعصاب أراده أن يكون متوافراً في حال الحاجة إليه، وجاءت ممرضة لسؤالها إذا كانت تريد القهوة.

"لا شكراً. أنا بخير"، قالت بنعومة، لكن بدا واضحاً أنها ليست كذلك. بدت يائسة تماماً، وقلقة على ابنها مثلما فعلت قبلاً على زوجها. وكل ما عرفته هو أنها لا تستطيع خسارته هذه المرة. فهذا أكثر مما تستطيع تحمل التفكير فيه، وكلما فعلت ذلك، انحنت وتحدثت إلى بيتر بنعومة.

"هيا بيتر... استيقظ... تحدث إليّ... أنا أمك... افتح عينيك... تحدث إليّ... أنا الماما حبيبي... أحبك... استيقظ..." تحول ذلك إلى شعار رددته مراراً وتكراراً، وصلت أن يستطيع سماعها أينما كان، في سراديب اللاوعي البعيدة.

كانت الساعة الثانية والنصف بعد الظهر حينها، ولم يتغير أي شيء في الرابعة. عاد الطبيب وتحدث إليها مجدداً. سوف يعطون بيتر ساعة أخرى لاستعادة الوعي من تلقاء نفسه، ويعيدون تقييم الحالة عندها. أومأت برأسها فيما أصغت. لم يتحرك أبداً منذ دخوله إلى هنا، لكنها وافقت هي والطبيب على أن لونه أصبح أفضل قليلاً. إلا أن الطبيب لاحظ في الوقت نفسه أن لونها ليس كذلك، لكنه لم يقل أي شيء عن هذا. بدت خائفة. وأصبح ألطف قليلاً هذه المرة حين تحدث إليها، ولكن ليس كثيراً. سألها فقط إذا اتصلت بوالد الصبي،

وهزت رأسها، ولم تشرح لـــه أي شيء.

"يجدر بك فعل ذلك ربما"، قال بحذر. ثمة شيء في عينيها جعله يتردد. قد يكون طلاقاً سيئاً أو وضعاً محرجاً. "لم يسلم من الخطر بعد".

"مات والده قبل ثمانية أشهر"، قالت أخيراً. "ما من أحد آخر للاتصال به". لقد اتصلت بالمنزل وأخبرت الجميع أنه ما زال على قيد الحياة لكنها لن تتصل مجدداً إلى أن تحصل على أخبار جديدة بشأن حالته. بدت أكثر هدوءاً من قبل. كل ما استطاعت فعله الآن هو الصلاة ألا ينضم بيتر إلى والده. صلّت كي يتمكن الطبيب من الحؤول دون ذلك.

"انا آسف"، قال واختفى مجدداً، فيما نظرت إلى ابنها. ورغم أنها لم تشأ إخبار أي كان، بدأت تشعر أن الغرفة تدور ببطء حولها. هذا كثير جداً عليها، مريع جداً، مخيف جداً. لا تستطيع خسارته. لا تستطيع. لن تسمح لـــه بمغادرتهم. أنزلت رأسها قدر ما تستطيع، وشعرت بتحسن، ثم عادت لتتحدث بهدوء إلى بيتر. وكما لو أنه سمع صلواتها، تحرك ببطء شديد، وحاول برم رأسه، لكنهم وضعوا طوقاً حول عنقه بحيث لم يستطع. لم يفتح عيناه بعد. بدأت تتحدث إليه بصوت أعلى حينها، وتلح عليه ان يفتح عينيه ويتحدث إليها، أو يَرِفّ بعينيه إذا استطاع سماعها، أو يضغط على يدها، أو يحرك إصبع قدمه، أو أي شيء. لكن لم تصدر أية إشارة من بيتر، إلى أن أصدر أخيراً تأوهاً ناعماً. إلا أنه استحال القول ما إذا كان أصدر هذا الصوت من دون وعي أم أنه استجابة على ما كانت تقوله له. جاءت ممرضة بسرعة ما إن سمعته. تحققت من إشاراته الحيوية مجدداً، ونظرت إلى أجهزة المراقبة، وهرعت إلى الطبيب. لم تعرف ليز ما إذا كان ذلك علامة جيدة أم لا، لكنها استمرت في التحدث إليه، وتتوسل إليه أن يسمعها. وحين دخل الطبيب مجدداً، تأوه بيتر مجدداً، وفتح هذه المرة عينيه فيما وقفت هي قربه ونظرت إليه بأمل ورعب.

"أمممممممممممممممي..." قال بصوت عذاب طويل، لكنها عرفت ما

قاله، وكذلك فعل بيل وبستر. لقد قال "أمي" وإن بجهد كبير. انهمرت الدموع على وجنتيها فيما انحنت بالقرب منه وقالت لـــه كم تحبه. وحين ألقت نظرة سريعة على الطبيب، كان يبتسم، الأمر الذي أثار دهشتها.

"لقد نجحنا. تابعي التحدث إليه. أريد أن أجري لـــه بعض الاختبارات". أغلقت عينا بيتر مجدداً، لكنه فتحهما فيما استمرت بالتحدث إليه، وأصدر تأوهاً مريعاً هذه المرة وضغط على يدها على نحو ضئيل إلى حد بعيد. لكنه كان يتقدم ويتحسن بالمليمترات على الأقل.

"أوووووو"، قال وهو ينظر إليها مقطب الوجه. "أووووو"، قال مجدداً وتوجهت إلى الطبيب.

"إنه يتألم"، قالت بنعومة، وأومأ بيل وبستر برأسه.

"أراهن أنه كذلك. إنه يعاني من صداع قوي". كان يضع شيئاً في مصل بيتر فيما تحدث إليها، وسحب الممرض المزيد من الدم. وبعد دقائق قليلة، جاء جراح الأعصاب لرؤيته. "لقد نجحنا"، قال لـــه بيل وبستر وبدا متشجعاً. تشارك الدكتور وبستر آخر المعطيات معه، وأخبرا ليز أنهما لن يجريا الجراحة الآن. وقد لا يضطران أبداً لفعل ذلك في حال إحراز المزيد من التقدم. كانت الساعة السادسة حينها، ولم تترك بيتر ولو لبرهة. "سوف نراقبه نحن إذا أردت الذهاب لشرب فنجان قهوة". عرض عليها وبستر، لكنها هزت رأسها. لا تنوي مغادرة بيتر قبل أن تتحسن الأوضاع أكثر، مهما استغرق ذلك من وقت. لم تتناول أي شيء منذ الصباح، لكنها لا تستطيع الأكل إذا كانت متعبة.

مضت ساعة أخرى قبل أن يصدر بيتر صوتاً آخر، لكنه حين فعل هذه المرة، قال "ماما" مجدداً، وإنما بوضوح أكثر قليلاً. "يؤلم"، أضاف أخيراً بصوت بالكاد مسموع، لكنه رفع يده هذه المرة وضغط على يدها بقدر ما يستطيع. كان بالكاد أقوى من طفل. لم يريدوا إعطاءه أي شيء للألم تفادياً لعودته إلى الغيبوبة. "المنزل"، قال أخيراً، فيما راقبه الأطباء.

"تريد العودة إلى المنزل"، سأل بيل وبستر فيما نظر بيتر إليه، وأومأ بيتر برأسه قليلاً. "جيد. نريدك أن تعود إلى المنزل نحن أيضاً، لكنك ستتحدث إليّ قليلاً قبل أن تذهب إلى أي مكان. كيف تشعر بيتر؟". تحدث إلى مريضه بلطافة أكثر مما فعل لأم مريضه. لكنها كانت شاكرة الآن على ما يفعلونه لأجله.

"مريع"، أجاب بيتر على سؤاله. "مؤلم".

"ما الذي يؤلمك أكثر؟".

"الرأس".

"هل يؤلمك عنقك؟" أومأ برأسه مجدداً ثم جفل. بدا جلياً أن التحرك يؤلمه أكثر من أي شيء آخر، وهذا بدهي. "هل يؤلمك أي شيء آخر؟".

"لا... أمي...".

"أنا هنا، صغيري. لن أذهب إلى أي مكان".

"آسف.." قال وهو ينظر إليها، وهزت هي رأسها. ما من شيء للأسف عليه الآن. "غبي".

"نعم، جداً". أجاب الطبيب عنها. "أنت محظوظ لأن أطرافك الأربعة لم تصب بالشلل نتيجة شيء كهذا". ثم طلب منه أن يحرك ساقيه وذراعيه، ويديه وقدميه، وفعل بيتر ذلك، لكنه بالكاد استطاع الضغط على أصابع الطبيب. إلا أن وبستر وجراح الأعصاب سعدا بهذا التقدم. وفي التاسعة مساء، أخبرا ليز أنهم سينقلونه إلى غرفة العناية الفائقة لمراقبته عن كثب. "أظن أنه يمكنك العودة إلى المنزل والحصول إلى بعض الراحة. إنه يتقدم بثبات في الاتجاه الصحيح. يمكنك العودة في الصباح".

"هل أستطيع النوم هنا؟".

"إذا أردت فعلاً ذلك. عليه الخلود إلى النوم في النهاية. حتى أننا قد نعطيه شيئاً لينام إذا أحرز المزيد من التقدم. يمكنك الاستراحة، فقد كان يومك

شاقاً هنا". شعر بالأسى عليها على الرغم عنه. ففي الإجمال، لا يحب التعاطي كثيراً مع مرضاه، لكن بدا وكأن ليز خرجت للتو من العصارة. "هل لديك أولاد آخرون في المنزل؟" سألها وأومأت هي برأسها. "يجدر بك إذاً العودة إليهم. لا بد أنهم قلقون. كان في حالة سيئة جداً حين وصل إلى هنا. هل شاهدوا ما حصل؟".

"أظن ذلك. سوف أتصل وأبلغهم إنه أفضل". ما من شيء يمكن قوله لطمأنتهم حتى الآن.

"لماذا لا تعودين إلى المنزل قليلاً؟ سوف أتصل بك إذا حصل أي شيء"، بدا وبستر صارماً.

"هل ستكون هنا؟". لم تحبه، لكنها بدأت تثق فيه.

"طوال الليل وحتى ظهر غد. أعدك". ابتسم لها، وتفاجأت حين أدركت أنه لائق المظهر حين لا يعاملها بخشونة أو يقطب وجهه عند التحقق من أجهزة المراقبة والجداول البيانية.

"أكره تركه"، قالت بصدق.

"سيجديك ذلك نفعاً، وسنكون مشغولين بنقله بعد قليل. لا يمكنك البقاء هنا". كان ثمة طريقة في كلماته، ولم تستطع منع نفسها من الابتسام له. أخبرت بيتر بعدها أنها ستعود سريعاً، وأنها ستذهب إلى المنزل لرؤية بقية الأولاد.

"سوف أعود بأسرع ما يمكن. أعدك"، قالت لبيتر وابتسم.

"آسف، أمي"، قال مجدداً. "غبي فعلاً".

"أنت محظوظ حقاً. وأنا أحبك. هيا أسرع وتحسن".

"قولي لجايمي إني بخير"، قال بجهد ملحوظ، وإنما بتقدم واضح. كانت هذه أطول عبارة يلفظها منذ ان استيقظ وبدأ التحدث إليهم.

"سأفعل. أراك لاحقاً".

"أنا بخير". كان يحاول طمأنتها، وهذا دليل جيد. كان مدركاً ليس فقط لمحطيه، وإنما أيضاً لمضاعفات ما حصل. لم تستطع حتى تحمل التفكير ما كان سيحصل لو لم يخرج من الغيبوبة، أو أسوأ، لو لم يعش. لا يحتمل التفكير في ذلك.

"أتوقع رؤيتك تركض في القاعة حين أعود. حسناً؟" ضحك لها، وخرجت ببطء من القاعة بعدما قبّلته ولحق بها الطبيب.

"إنه ولد محظوظ جداً"، قال وهو يبدو متأثراً بها. لم تتلعثم لبرهة واحدة. "ظننت لوهلة أنه لن ينجو من دون جراحة، وحتماً ليس بهذه السرعة. إنه شاب وسليم، ومن يعلم، أنت من أحدث الفرق ربما بعدما تحدثت إليه هكذا".

"أياً كان، أحمد الله لأنه استفاق من غيبوبته". كانت ساقاها ضعيفتين حين فكرت في ذلك.

"سوف يبقى هنا لأسبوعين تقريباً، حسب ما أظن، ولذلك لا ترهقي نفسك دفعة واحدة. إذا أردت المجيء في الصباح، سيكون بخير".

"أفضل النوم هنا. لكني سأذهب إلى المنزل وأتحقق من بقية الأولاد ثم أعود بعد ساعتين".

"كم ولداً لديك؟" شعر بالفضول حيالها. لا يعرف من تكون أو ماذا تكون، لكن ثمة أمر واضح بالنسبة إليه وهو أنها ام رائعة وتحب ابنها بشدة.

"خمسة"، أجابته. "إنه البكر".

"أتركي رقمك عند مكتب الاستقبال. سوف أتصل بك إذا طرأ أي شيء. وإذا قررت البقاء بعد الوصول إلى المنزل، لا تشعري بالذنب حيال ذلك. قد يكون الأولاد الآخرون منزعجين فعلاً، خصوصاً إذا شاهدوا ما حدث. ما هو عمر ولدك الأصغر؟".

"عشرة. إنهم في العاشرة، والحادية عشرة، والثالثة عشرة والرابعة عشرة من العمر".

"لا بد أنك مشغولة جداً".

"إنهم أولاد طيبون"، قالت وأراد القول إن لديهم أم طيبة، لكنه لم يفعل. عاد بدل ذلك للتحقق من بيتر مجدداً، وغادرت هي. كانت الساعة قد تجاوزت التاسعة حين وصلت إلى المنزل، وما زال كل الأولاد مستيقظين. كانت الفتيات جالسات أمام مائدة المطبخ، يبكين، فيما كان جايمي جالساً في حضن كارول ويبدو مرهقاً وشاحباً. بدوا مثل الأيتام في الحرب، وقفزوا لحظة دخولها في الباب، محاولين قراءة وجهها، لكنها كانت تبتسم رغم أنها بدت متعبة ومرهقة.

"سيكون بخير. يعاني من ارتجاج قوي في الدماغ، وكسر في فقرة في عنقه، لكنه سيكون بخير الآن. إنه محظوظ جداً".

"هل نستطيع رؤيته؟" سألوا مع بعضهم مثل الكورس.

"ليس بعد"، قالت ليز، فيما وضعت كارول أمامها طبقاً من اللحم الباقي من العشاء، لكن ليز لم تستطع تناول أي شيء.

"متى يستطيع العودة إلى المنزل؟" سألت ميغان وهي تبدو قلقة.

"ليس قبل أسبوعين، أو ربما أطول. يعتمد ذلك على سرعة شفائه". أرادوا معرفة كل شيء، لكنها لم تخبرهم بالأشياء المروعة التي حصلت بعد الظهر. كل ما يحتاجون إلى معرفته هو أنه نجا. جلسوا معاً لمدة ساعة، وحين صعدوا إلى الطابق الأعلى، أخبرتها كارول عن مدى أسفها. شعرت أنها مسؤولة تماماً عما حدث.

"لا تكوني سخيفة"، قالت ليز وهي متعبة جداً للتحدث إليها، ناهيك عن تلطيف شعورها بالذنب. لكنها شعرت أنها تدين لها بتهدئتها. "لا يمكنك التحكم في كل شيء. كانوا خشنين جداً على ما يبدو. إنه محظوظ لأن ذلك لم يقتله أو يشله".

"أوه، يا إلهي"، قالت كارول فيما انهمرت الدموع على وجنتيها ومسحت أنفها. "هل سيكون فعلاً بخير؟".

"يظنون ذلك. لم يستعد الوعي إلا قبل ساعتين، لكنه يتحدث الآن. ظننت لوهلة هناك...". لم تستطع حتى قول ذلك، وأومأت كارول برأسها والدموع في عينيها. لقد فكرت في الشيء نفسه، وكلما طال أمد عودة ليز إلى المنزل، أو حين لم تتصل، كانت كارول واثقة من الأسوأ على وشك الحدوث. إلا أنهم نجوا. "سأعود الليلة. سأصعد وأوضب بعض الأغراض".

"لماذا لا تنامين هنا؟ تبدين مرهقة جداً، ليز. يمكنك الاستراحة إذا أردت أن تكوني معه غداً".

"هذا ما قاله الطبيب، لكني أريد أن أكون معه الليلة. في السابعة عشرة من عمره، لا بد أن هذا مخيف له، وهو يتألم كثيراً من الارتجاج الدماغي".

"ولد مسكين. يا لها من طريقة بائسة لإنهاء فصل الصيف. هل تظنين أنه يستطيع بدء المدرسة في سبتمبر (أيلول)؟".

"لا نعرف بعد". كانت المدرسة أقل مشاكله. لقد بدا كل شيء مرعباً خلال بعد الظهر. شعرت ليز وكأن قطاراً سريعاً صدمها حين فكرت في الأمر، وبدت أنها تعرضت لذلك فعلاً فيما انفطر قلب كارول عليها.

صعدت ليز ببطء إلى الطابق الأعلى، وذهبت لتقبيل جايمي قبلة المساء، لكنه كان نائماً، والفتيات في الأسرّة. بدا المنزل هادئاً على نحو غريب من دون بيتر، فيما دخلت إلى غرفتها وجلست على السرير. أرادت توضيب حقيبة، لكنها لم تستطع الحراك فجأة. كل ما استطاعت التفكير به هو ما كان قد حدث. وكل ما استطاعت فعله هو البكاء. كانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة حين وضبت حقيبتها أخيراً، وكانت الساعة منتصف الليل حين عادت إلى المستشفى لرؤيته. تأخرت لبضعة دقائق للاتصال بأمها التي أصيبت بالذعر حين أخبرتها ليز عن حادث بيتر. "يا إلهي، هل سيكون على ما يرام؟" سألت بصوت مخنوق، وطمأنتها ليز ووعدت أنها ستتصل بها حين يصبح بيتر أفضل.

كان بيتر مستيقظاً حين عادت ليز إلى المستشفى، ولا يزال يحرز تقدماً

جيداً. كان يتحدث بصورة عادية تقريباً إلى إحدى الممرضات حين دخلت ليز إلى غرفة العناية الفائقة.

"مرحبا أمي"، قال لحظة رآها. "كيف جايمي؟".

"إنه بخير. قال لك الجميع إنهم يحبونك. أرادوا المجيء لرؤيتك. قلت لهم أن ينتظروا قليلاً، وإلا لكانوا جاؤوا معي".

أعدت لها الممرضة سريراً في زاوية غرفة الانتظار، واستلقت عليه في الملابس التي ترتديها، ووضعت فوقها بطانية. وعدوها بأن يأتوا ويوقظوها إذا احتاج بيتر إليها، أو ساءت حالته مجدداً، لكنهم قالوا لها إنهم لا يظنون أنه توجد مشكلة. فأعضاؤه الحيوية جيدة، وكان يتقدم جيداً.

كانت على وشك الخلود إلى النوم حين شاهدت بيل وبستر يدخل إلى الغرفة، وجلست فجأة مذعورة، وخفق قلبها بقوة فيما نظرت إليه. لقد بدل ثوبه الأخضر بآخر رمادي. ليس هذا ثوباً جذاباً جداً.

"ماذا حدث؟".

"لا شيء. إنه بخير. لم أقصد إخافتك. أردت فقط أن أرى إذا كنت بحاجة إلى أي شيء... إلى شيء للنوم...". بدا متردداً، وأدركت كم هو مهتم وشعرت بالامتنان لما يقوم به لأجل بيتر، وما فعله أصلاً.

"أنا بخير. شكراً"، قالت وهي تستعيد أنفاسها ببطء. "وشكراً لك على كل ما قد فعلته. أظن أني سأتمكن من النوم". بدت متعبة جداً، لكن هذا لم يفاجئه فعلاً. فقد كان بعد الظهر متوتراً جداً.

"أنا مسرور لأنه يبلي حسناً". بدا وكأنه يقصد ذلك فعلاً.

"وأنا أيضاً. لست أكيد من أننا كنا لنحتمل ذلك لو لم يفعل".

"هل مرض زوجك لوقت طويل؟"، سأل. افترض لسبب ما أنه السرطان، لكنها هزت رأسها.

"تم قتله على يد زوج إحدى زبائننا صباح العيد". هزّ ذلك ذاكرته وأومأ برأسه. لمْ يستطع التفكير في ما يقوله لها، واستطاع التخمين كيف كان ذلك بالنسبة إليها.

"أنا آسف"، قال. "أذكر رؤية ذلك في الأخبار"، ثم أطفأ الضوء في غرفة الانتظار وتركها. كان من الصعب عدم الإعجاب بها. لا تزال قوية، ومنطقية، ومتماسكة، ولا تزال تعتني بأولادها وتعمل. عاد للتحقق من بيتر حينها، وابتسم حين نظر إليه. لقد كان بمثابة هدية إلى أمه تلك الليلة، وهي استحقت ذلك. أكثر مما استطاع بيل وبستر أن يتخيل. لكن ما عرفه الآن كان كافياً. الولد على ما يرام. وابتسم لنفسه فيما عادة إلى مكتبه لتوقيع بعض الأوراق. كان يحب الأيام التي تشبه هذا اليوم، الأيام التي تربح فيها بدل أن تخسر. والواقع أن مثل هذه الأيام هي التي جعله مسروراً لما قام به من أجل كائن بشري. لقد كان القدر عادلاً هذه المرة مع مريضه. جلس في كرسيه بعدها، وأغلق عينيه لدقيقة. ثم فتحهما مجدداً ووقع على بعض الأوراق المطلوبة منه. ما زالت أمامه ليلة طويلة، لكنه لم يقلق. لقد جرت الأمور على ما يرام هذه المرة، وهو مسرور.

الفصل السابع

نامت ليز لبضع ساعات في قاعة الانتظار حيث كان قد تركها بيل وبستر، وعادت مجدداً إلى قرب بيتر قبل أن يستيقظ. وحين استيقظ بيتر، عانى من صداع قوي وتذمر من الطوق والألم في الجهة الخلفية لعنقه.

جاء وبستر وتحقق من وضعه في السادسة صباحاً، مثلما فعل كل ساعة طوال الليل. لكن بدا كل شيء على ما يرام بالنسبة إليه. جاء الجراح لاحقاً في الصباح وبدا مسروراً لما رآه. أخبر ليز أن ابنها هو ولد محظوظ جداً.

ساعدت الممرضات على غسله، وبدأوا يعطونه الأطعمة السائلة. وفي بداية بعد الظهر، ذهبت إلى المنزل قليلاً. كان الآخرون لا يزالون قلقين بشأنه، وطرحت الفتيات مليون سؤال. لكن ما إن عادت إلى المنزل، أدركت ليز أن جايمي ليس في أي مكان. سألت كارول عنه، وقالت لها إنها لم تره منذ الفطور. وحين بحثت ليز في المنزل، وجدته جالساً بهدوء في غرفته.

"مرحبا، حبيبي. ماذا تفعل هنا وحدك؟". كانت قلقة بشأنه، وازداد قلقها حين التفت إليها ولاحظت التعاسة على وجهه. والواقع أن مجرد رؤيته هكذا جعلت قلبها ينفطر. ذهبت للجلوس قربه على الأرض وأخذت يده في يدها. "قال بيتر أن أرسل لك حبه. سوف يحاول العودة إلى المنزل سريعاً". لكن جايمي هزّ رأسه فيما انهمرت دمعتان ببطء على وجنتيه.

"لا، لن يفعل. لقد رحل مثل بابا. حلمت بهذا الليلة الماضية".

"أنظر إليّ"، قالت وهي تبرم وجهه بلطف نحوها وتنظر مباشرة في عينيه. "أنا لا أكذب عليك جايمي. سيكون بيتر على ما يرام. لقد آذى عنقه ولديه طوق حوله، ويعاني من صداع كبير كبير. لكنني أعدك بأنه سيعود". كان

هناك صمت طويل بينهما، فيما استكشف الولد عينيها.

"هل أستطيع رؤيته؟". ما زال يبدو مخيفاً قليلاً، مع الأنابيب في كل مكان، وأجهزة المراقبة التي تومض وتصفر، لكنها تساءلت ما إذا كان من الأفضل بالنسبة إلى جايمي أن يراه ويعرف أن شقيقه على قيد الحياة.

"إذا أردت ذلك فعلاً. هناك الكثير من الآلات حوله التي تصدر أصواتاً مضحكة، ولديه أنابيب في ذراعيه".

"أي نوع من الأنابيب؟"، بدا جايمي فضولياً وإنما أقل خوفاً.

"مثل القشات". كان هذا قريباً جداً.

"هل سيسمحون لي برؤيته؟". لا يسمح بدخول الأولاد إلى غرفة العناية الفائقة، لكنها قررت سؤال بيل وبستر وشرح الوضع له. قال لها إنه سيكون في الخدمة هذه الليلة، وكانت قد وعدت بيتر بأن تعود لقضاء الليل معه.

"سأسأل"، وعدته، ثم شدت الصغير برفق بين ذراعيها. "أحبك جايمي. سيكون كل شيء على ما يرام".

"هل تعدينني بأنه لن يذهب مثل بابا؟".

"أعدك"، قالت وهي تحبس دموعها. ما زال الأمر قاسياً جداً عليهم جميعاً، وليس فقط عليها.

"بشرف الكشاف؟"، سأل وهو يرفع إصبعه الصغرى إلى الأعلى، فأمسكتها بإصبعها هي.

"بشرف الكشاف. سأسأل عن زيارتك حين أرى الطبيب الليلة. لماذا لا نتصل ببيتر بعد الظهر بحيث تتمكن من التحدث معه؟" أشرقت عينا جايمي على ذلك.

"هل أستطيع؟".

"طبعاً"، وعدته وأدركت أن هذا سيريح شقيقاته أيضاً. نزل جايمي إلى الطابق الأسفل معها بعد ذلك، وجمعت الفتيات، واتصلت بالمستشفى وطلبت

قسم العناية الفائقة.

أحضروا الهاتف إلى بيتر، وبدا صوته خشناً وضعيفاً، ولكن طبيعي نسبياً على رغم ذلك. وعدهم بأن يعود إلى المنزل بأسرع ما يمكن وقال لشقيقاته أن يتصرّفن حسناً أثناء غيابه. ثم طلب من جايمي توخي الحذر في حوض السباحة، وقال لـــه إن ما فعله كان أخرق فعلاً، وعليه ألا يفعل أبداً شيئاً مثل هذا.

"أنا مشتاق إليكم"، قال وهو يبدو مثل ولد مجدداً، واستطاعت ليز سماع الدموع في صوته، فيما استعملت الهاتف الآخر. "سأعود إلى المنزل بأسرع ما يمكن".

"قالت أمي إنها ستسأل إذا كنت أستطيع القدوم لزيارتك"، قال جايمي بفخر وبدا بيتر مسروراً. تحدثت ليز حينها وأخبرت بيتر أنها ستعود بعد بضع ساعات. فإذا كان على ما يرام، تريد أن تتناول العشاء مع الأولاد.

"لا بأس، أمي. هلا أحضرت لي شيئاً لأتناوله؟".

"مثل ماذا؟" لا يزال يتناول الأطعمة السائلة، وكانوا يتحدثون عن بدء إعطاء الجيلو لــه بعد الظهر. لم يكن متحمساً كثيراً لذلك.

"تشيزبرغر". ضحكت أمه على الطلب.

"لا بد أنك تشعر بتحسن كبير". كان هذا مختلفاً جداً عن اليوم السابق حين كانت تتوسله ليفتح عينيه ويتحدث إليها فيما استلقى هناك في عالم آخر. "أظن أنه يجدر بك الانتظار يومين لذلك حبيبي".

"تصورت أنك ستقولين هذا". بدا خائب الأمل.

"سأراك لاحقاً".

عادت إلى الأولاد الآخرين حينها، وجلس جايمي في حضنها قليلاً، لكنه بدا أقل انزعاجاً مما كان قبلاً. فقد نفعه التحدث إلى بيتر. وبعدما ذهب للعب خارجاً، اتصلت بالمكتب. ما من شيء مهم يحصل حسب جان. نجحت في

تأجيل مرافعة أمام المحكمة وأعادت ترتيب بعض المواعيد للأسبوع التالي. لكنها أشارت إلى ليز مجدداً بأن كل شيء يقع على عاتقها الآن. فما من أحد لمساعدتها، ويعتمد الكل عليها. الأولاد، العمل، الكارثة التي كادت تحل ببيتر، والخراب الذي كان سينجم لو لم ينج. إنه عبء كبير جداً. وكانت تفكر في ذلك فيما عادت إلى المستشفى لرؤية بيتر تلك الليلة.

كان بيل وبستر قد عاد إلى الخدمة حينها، وابتسم حين رآها، لكنه بدا منهكاً واكتفى بالتلويح حين مرّت بقربه. مضت ساعة كاملة قبل أن يدخل إلى غرفة العناية الفائقة لرؤية بيتر والتحدث معها.

"كيف حال مريضنا النجم؟".

"طلب تشيزبرغر. وأظن أن هذا دليل جيد، أليس كذلك؟"، سألت فيما رفعت خصلة من شعرها الأحمر عن عينيها. كانت تدلك كتفيّ بيتر برفق، علماً أنه ما زال يتذمر من صداعه الكبير، لكنهم أعطوه دواء للألم ويبدو أنه نفع نوعاً ما.

"أظن أن التشيزبرغر هو دليل ممتاز. ما رأيك غداً، بيتر؟".

"حقاً؟" بدا بيتر متحمساً.

"اظن ذلك. سوف نبدأ بمعالجة عنقك خلال بضعة أيام، ويمكنك تناول ما تشاء إذا لم تمانع معدتك كثيراً". هذه أخبار جيدة بالنسبة إلى بيتر الذي كان قد كره الجيلو ورفض تناوله وكذلك الحساء الشفاف.

تحقق بيل وبستر من بضعة أمور في الجدول البياني الخاص ببيتر، ونظر بعناية إلى اجهزة المراقبة وسجل بعض الملاحظات قبل أن يغادر غرفة العناية الفائقة مجدداً. لحقت به ليز إلى الخارج. أرادت سؤاله عن إحضار جايمي للزيارة بعد ظهر اليوم التالي.

"أريد أن أطلب منك خدمة"، بدأت بحذر، فيما أصغى إليها. كان يرتدي الثوب الأزرق هذه المرة وبدا كأنه لم يمشط شعره منذ أيام. لكنه كان يعالج

صدمات في الرأس طوال فترة بعد الظهر بعد إصابة ثلاثة أولاد وخمسة راشدين. مات اثنان من الأولاد في المساء. كان هذا كئيباً وبشعاً، وكان من المريح، حتى بالنسبة إليه، رؤية بيتر يحرز تقدماً. "أعرف أنهم لا يسمحون بدخول الأولاد إلى غرفة العناية الفائقة"، بدأت وأومأ هو برأسه وبدا مستعجلاً قليلاً. فبرأيه، هناك أسباب جلية لعدم السماح للأولاد بدخول غرفة العناية الفائقة. فهي مصانع صغيرة للجراثيم ولا يستطيع مرضاه مقاومة الالتهابات. لكن ليز نظرت إليه بتعابير جادة. "لقد شهدنا الكثير من المآسي العام الماضي منذ أن مات والدهم". ما زالت تكره قول الكلمة، لكنها عرفت أنها مجبرة. "وابني الصغير قلق جداً على بيتر".

"كم عمره؟".

"عشرة"، ترددت وهي تنظر إليه وتتساءل كم يجدر بها إخباره، ثم قررت الاعتراف له. ومع ذلك، لقد أنقذ حياة بيتر. "إنه بطيء النمو. ولد قبل أوانه، وعانى من افتقار وخيم إلى الأوكسجين. وحين أعطوه الأوكسجين عند الولادة، سبب لـه ذلك بعض الضرر. هذا صعب جداً عليه، وقد شاهد ما حصل الأمس، ويظن أن بيتر قد لا يعود أبداً مثل والده. سيساعده كثيراً إذا استطاع رؤيته قريباً".

كان هناك صمت طويل فيما نظر بيل وبستر إليها، ثم أومأ برأسه. لقد عانت الكثير، هو واثق من ذلك، وكذلك فعل أولادها.

"ما الذي أستطيع فعله لمساعدتك؟"، سأل بلطافة. "لديك الكثير من المشاكل، أليس كذلك؟". إلا أن الطريقة التي قال بها ذلك جعلت عينيها تمتلئان بالدموع، والتفتت بعيداً لدقيقة لتهدئ نفسها قبل الإجابة. هذا ما كان قد حصل بعد موت جاك، حين كان الأشخاص لطفاء معها، فانهارت قواها وبدأت بالبكاء.

"أن تدعه يرى بيتر"، قالت بنعومة.

"حين تشائين. ماذا عن الآخرين؟ هل تقبلوا الأمر جيداً؟". لا شك في أن

العائلة تلقت صدمة قوية حين قتل والدهم، وأراد فعل شيء الآن للتخفيف من أعبائهم. جعله ذلك يدرك ما يعني شقيقهم بالنسبة إليهم وإلى أمهم. وشرح لـــه ما رآه في اليوم الفائت.

"أظن أن الفتيات يفهمن، لكن رؤيته ستطمئنهن حتماً. لكني لا أريد الضغط كثيراً. إلا أن الأمر مهم فعلاً بالنسبة إلى جايمي".

"أحضريه غداً".

"شكراً"، قالت وهي تشعر بالتأثر لما قاله لها، وليست واثقة من كيفية شكره.

عادت إلى بيتر حينها ومكثت معه إلى أن نام، ثم عادت لتنام هي أيضاً على الأريكة في غرفة الانتظار. كانت الغرفة مظلمة، لكنها ما زالت مستيقظة حين فتح بيل وبستر الباب ونظر إليها. لم يستطع أن يرى ما إذا كانت نائمة، وخشي إزعاجها. وقف يراقبها لبرهة طويلة قبل أن يتحدث.

"ليز؟" كانت هذه المرة الأولى التي يستعمل فيها اسمها، وجلست هي قلقة على بيتر مجدداً.

"هل من خطب؟" وضعت قدميها على السجادة وأبعدت عنها البطانية التي أعطتها إياها الممرضات.

"لا. كل شيء على ما يرام. أنا آسف. لم أشأ إخافتك. أردت فقط أن أرى إذا كنت على ما يرام... تساءلت إذا كنت تريدين فنجان شاي أو ما شابه". كان هذا منتصف الليل، ولم تكن القهوة اقتراحاً جيداً. إنه كان يعمل، لكن يُفترض أن تكون هي نائمة. "هل أيقظتك؟"، سألها في الظلمة، وهو يشعر بالذنب لأنه أزعجها. لكنه كان يفكر فيها وأراد التحدث.

"لا، كنت مستيقظة. لم يعد نومي كما كان قبلاً..." وقفت الكلمات، لكنهما فهما تماماً. "قد يجدي بعض الشاي نفعاً، أو الحساء أو أي شيء". كانت هناك آلة في القاعة، قرب مكتبه. كانت قد اشترت الحساء والشاي من هناك قبلاً،

لكن فيما انتعلت حذاءها ولحقت به في القاعة، قدم لها الشاي من وعاء في مكتبه.

جلست في كرسي، وهي غير مرتبة وشعرها أشعث، لكن بدا أنه لا يبالي. فقد بدا أسوأ منها هي، بعد العمل طوال الليل.

"في أي نوع من القانون أنت متخصصة؟"، سألها فيما رشف القهوة.

"القانون العائلي... الطلاق...".

أومأ برأسه علامة الفهم. "لدي خبرة بسيطة في ذلك، ولكن ليس لوقت طويل". بدا وكأن الذكرى ليست سارة، لكنه كشف عن ابتسامة صغيرة وحزينة.

"هل أنت مطلق؟"، سألته وأومأ هو برأسه. "أولاد؟".

"لا. ولا مرة. كنت لا أزال أتخصص حين تزوجنا وكانت هي تعمل كطبيبة مقيمة. نجح بعض الأشخاص في إنجاب الأولاد حينها، لكني رأيت أن ذلك أحمق. لم أشأ إنجاب الأولاد قبل أن أتمكن من قضاء بعض الوقت معهم، والاستمتاع بهم. تعرفين"، ابتسم. "كما ربما حين أصبح في الثمانين من العمر". كشف عن ابتسامة لطيفة، وكانت النظرة في عينيه أكثر لطافة مما ظنت في البداية. كرهته بشدة حين التقت به للمرة الأولى. بدا فظاً جداً، وقاسياً جداً، وغير مبالٍ البتة، لكنها أدركت الآن أن لديه المزيد من الأشياء المهمة في رأسه، مثل إنقاذ حياة الأشخاص، وكان هذا يتم أحياناً خلال ثوانٍ معدودة بسبب طبيعة عمله وعليه الحصول على معلومات من عائلات المرضى بأسرع ما يمكن. في اليوم السابق، بدا قاسياً وفظاً لها، وهو يبدو الآن لطيفاً.
"تطلقت قبل عشرة أعوام"، أخبرها حينها، وهو يفشي لها بمعلومات أكثر مما طلبت، لكنها من هذا النوع من الأشخاص. فزبائنها أخبروها دوماً أكثر مما تحتاج إلى معرفته، علماً أن هذا مفيد أحياناً. ووجدت أنها تريد معرفة المزيد عنه.

"من دون رغبة في الزواج مجدداً؟"، سألت باهتمام.

"قليلاً. ولا مرة. أظن أن المرة الأولى آلمتني. كان طلاقنا صعباً جداً. لقد أقامت علاقة غرامية مع رئيسي، الأمر الذي لم يناسبني جيداً. عرف جميع من هم في المستشفى بالأمر قبل أن أعرف أنا، وشعروا بالأسف عليّ. تزوجا في النهاية وأنجبا ثلاثة أولاد. توقفت عن الطب، فقد كان ذلك مجرد هواية بالنسبة إليها. كنا مختلفين جداً". هذا أقل ما يمكن قوله.

"أنا وزوجي مارسنا المحاماة معاً لثمانية عشر عاماً، وأمضينا وقتاً جيداً معاً. من الجميل تشارك العمل نفسه"، قالت ليز بهدوء، وهي تحاول عدم التفكير فيه كثيراً. كانت متعبة، وعاطفية، وعرفت أنها ستبكي بسهولة إذا طرح عليها جاك الأسئلة حول جاك. "لكي أكون صادقة، أحب قانون العائلة أكثر مني. لطالما أحببت الأشياء الإنسانية، والقضايا اليائسة، والدفاع عن حقوق المظلومين. لكنه كان يعرف تماماً أين يوجد المال، وكان محقاً لأن لدينا خمسة أولاد يجب التفكير فيهم".

"والآن؟ ما زلت تعملين في قانون الطلاق؟". أومأت برأسها. "لماذا؟ يمكنك فعل أي شيء تريدين".

"ليس تماماً"، ابتسمت. "ما زلت أربي الأولاد الخمسة، وأصبحوا أكبر وتكاليف ملابسهم أكبر من قبل. وكذلك تعليمهم. ففي أحد الأيام، سيكون أربعة منهم في الجامعة. جاك محق. القانون العائلي يدرّ المال، حتى لو أحبطني أحياناً. أثناء العمل في الطلاق، ترى الناس في أسوأ حالاتهم. يتحول ألطف الأشخاص إلى وحوش حين يكونون غاضبين من زوجاتهم. لكنني أشعر أنني أدين لزوجي بمتابعة العمل. لقد عمل بكدّ لإنجاحه، ولا أستطيع التوقف الآن". لقد أصبح هذا، والأولاد، والمنزل، والمسؤوليات وكل شيء على عاتقها الآن، وأدرك بيل ذلك.

"هل فكرت يوماً في ممارسة نوع آخر من القانون؟"، سأل وهو مفتون بها. كانت ذكية، ولطيفة، وأنيقة جداً. ثمة نعومة فيها أعجبته، وأثر فيه عشقها لابنها.

"أفكر أحياناً في فعل شيء آخر"، أجابته، "ولكن ليس غالباً. هل تفعل أنت ذلك؟" وجهت السؤال إليه، وسكب لنفسه المزيد من القهوة في فنجانه وهز رأسه.

"أبداً. أحب هذا. إن الأمر شبيه بالضغط المرتفع، إذ عليك اتخاذ قرارات سريعة ويجب أن تكون هذه القرارات صائبة. المخاطر كبيرة، ولا مجال أبداً للأخطاء. يجبرني ذلك على أن أعطي أفضل ما عندي على الدوام. أحب ذلك".

"يبدو ذلك مثل تسلق جبل إيفرست كل يوم، ولا بد أن الأمر مرهق أحياناً". كانت تفكر في بيتر في اليوم السابق وكيف كادوا أن يخسروه بسهولة. وكذلك الولدين الصغيرين اللذين خسرهما تلك الليلة.

"هذا مرهق غالباً"، أجاب بيل. "أكره الخسارة".

"وكذلك كان جاك"، قالت مبتسمة. "لست مولعة جداً بذلك، لكن بالنسبة إليه كان الأمر مثل إهانة شخصية إذا خسر مرافعة واحدة. كان عليه أن يفوز كل مرة، الأمر الذي كلفه حياته ربما. لقد قسى جداً على رجل فقد صوابه. كنت خائفة من ذلك... حذرته... لكنه لم يصدقني. أظن أن أحداً لم يستطع التكهن بما حدث. كان هذا جنوناً فعله زوج زبونتنا. لكنه كان معتوهاً. لقد قتل زوجته، ومن ثم زوجي، ثم أطلق النار على نفسه في مكتبنا". والواقع أن مجرد قول ذلك ذكّرها بالمشهد القاتم مجدداً وأغلقت عينيها لبرهة، فيما راقبها بيل.

"لا بد أن هذا كان كابوساً لك وللأولاد"، قال وهو يشعر بالأسف عليها.

"لا يزال كذلك أحياناً. سوف نحتاج إلى وقت طويل لتخطي ذلك، لكننا أصبحنا أفضل. كنا متزوجين طوال تسعة عشر عاماً، ولا يمكنك نسيان كل ذلك خلال بضعة أشهر. كنا سعيدين جداً لوقت طويل".

"كنت محظوظة"، قال بهدوء. لم يشعر أبداً بهذه الطريقة حيال أي كان،

ولا حتى خيال المرأة التي تزوجها، أو المرأتين اللتين عاش معهما بعد ذلك. ومنذ أعوام عدة، توقف عن البحث عن المرأة المثالية. كانت النساء يدخلن إلى حياته ويخرجن منها بين الحين والآخر، ولم يتعلق أبداً بأي منهن. لا يحتاج أو لا يريد أكثر من ذلك.

"كنا محظوظين جداً"، قالت ليز ثم وقفت وشكرته على الشاي. "أظن أنه من الأفضل أن أحاول النوم قليلاً قبل أن يستيقظ بيتر. سوف أحاول أن أذهب إلى المكتب في الصباح ومن ثم أعود بعد الظهر مع جايمي".

"سأكون هنا". ابتسم بيل لها وذكّرها بأنه يريد لقاء جايمي حين يأتي.

توجهت إلى الباب حينها، ونظرت إليه، مع نظرة أسى في عينيها. فكما قالت له، لم ينتهِ بعد كابوس خسارة جاك. "شكراً لأنك سمحت لي بالتحدث. هذا مفيد أحياناً".

"متى شئت، ليز". لكنه لم يفعل ذلك من أجلها فقط. لقد أحب التحدث إليها، وأحب الولد. شعر بالأسف على معاناتهما الكثير من المشاكل والكثير من الألم.

عادت إلى الأريكة في غرفة الانتظار، واستلقت مستيقظة لوقت طويل. كانت تفكر فيه وفي الحياة الوحيدة والمتطلبة التي يعيشها. ليست هذه حياة جميلة بالنسبة إليها، لكن حياتها هذه الأيام ليست جميلة أيضاً، باستثناء عملها والأولاد. خلدت إلى النوم أخيراً، وهي تحلم في جاك، وبدا كأنه يقول شيئاً لها. كان يؤشر إلى شيء ما ويحاول تحذيرها، وحين التفتت، شاهدت بيتر وهو يغوص من سطح عالٍ ويرتطم بالاسمنت. استفاقت مع شعور بالذعر ممزوجاً بالحزن المألوف. كانت تشعر دوماً بهذه اللحظة المريعة حين تستيقظ بعدما تتذكر أن شيئاً مريعاً حصل. ثم تذكرت أن جاك مات. ما زالت تكره الاستيقاظ في الصباح. وهذا ما جعل الخلود إلى النوم صعباً في الليل إذ تعرف أنها ستستيقظ وتواجه الحقيقة المرة مجدداً.

مشطت شعرها وغسلت وجهها ونظفت أسنانها، لكنها ما زالت تشعر

بالفوضى. كان بيتر مستيقظاً حين عادت إلى غرفة العناية الفائقة في الصباح. وكان يشكو أنه جائع وما من أحد لإطعامه. في النهاية، أعطوه وعاء من الشوفان، وكشف عن وجه مريع حين أطعمته إياه أمه.

"يييععععع!"، قال وهو يبدو في سن الخامسة بدل السابعة عشرة. "هذا مقرف!".

"كن ولداً جيداً وتناوله. هذا مفيد لك"، وبخته، لكنه أطبق أسنانه وبوّز شفتيه، وحين أنزلت الملعقة، راحت تضحك. "ماذا تريد أن تأكل بدل ذلك؟".

"أريد الوفْل". كان يشير إلى الوفْل الذي تحضره، وهي لم تصنعه أبداً مجدداً منذ الصباح الذي توفي فيه جاك. فهي لا تستطيع. وفهم الأولاد ذلك. فرغم أن هذا الكعك مفضل عند العائلة، لم يطلب أي من الأولاد أن تعده لهم. لكن بيتر قد نسي هذه المرة. "واللحم المقدد"، أضاف. "أكره الشوفان".

"أعرف ذلك. سوف يباشرون في إعطائك الطعام الحقيقي اليوم ربما. سوف أتحدث إلى الدكتور وبستر".

"أظن أنه معجب بك"، ابتسم بيتر لأمه.

"أنا معجبة به أيضاً. لقد أنقذ حياتك. إنها طريقة جيدة لنيل إعجابي".

"أقصد، معجب فعلاً بك. شاهدته يراقبك البارحة".

"أظن أنك كنت تهلوس. لكنك ظريف في أية حال حتى لو لم تأكل فطورك".

"ماذا لو سألك للخروج معه، هل تقبلين؟" طرح بيتر السؤال مع ابتسامة.

"لا تكن سخيفاً. إنه طبيبك، وليس روميو الثانوية. أظن أن الصدمة على رأسك أثرت في دماغك". كانت مسرورة، وإنما ليست مهتمة كثيراً في ما كان يقوله. بيل وبستر هو رجل لطيف، وتشاركا حديثاً لطيفاً الليلة الماضية، لكنه لا يعني أي شيء بالنسبة إلى أي منهما.

"هل تقبلين أمي؟" كان بيتر مصراً، واكتفت بالضحك عليه، وهي ترفض

أخذ السؤال على محمل الجد. لا حاجة لذلك. فما يقوله سخيف.

"لا، لن أقبل. لست مهتمة في الخروج أبداً. وهو ليس مهتماً في الخروج معي. لذا، توقف عن التخيلات وركز على صحتك".

ساعدت الممرضات في غسله، وذهبت إلى مكتبها في وقت لاحق من ذلك الصباح. أجلت جان القضايا بقدر ما تستطيع، ولحسن الحظ أن الأمور لم تكن مستعجلة جداً. إنه منتصف شهر أغسطس (آب)، ومعظم الأشخاص في عطلة حتى يوم العمال.

عادت إلى المنزل بعد الظهر لرؤية الأولاد وتناول الغداء معهم. تحدثت إلى بيتر على الهاتف مرات عدة بعد الظهر، وكان في مزاج جيد. جاء عدد من أصدقائه لرؤيته، وأحضروا لـه شيئاً ليأكله. لقد انفصل عن جسيكا في شهر يونيو (حزيران)، ولا توجد صديقة حالية في حياته لتقلق عليه، لكنه كان مسروراً برؤية أصدقائه. ووجدت ليز أخيراً بضع دقائق للاتصال بفيكتوريا وبأمها أيضاً. أخبرتهما عن الحادث بعدما حصل، وكان من الجيد طمأنتهما. وكالعادة، أصدرت والدتها بعض التكهنات المشؤومة بشأن التأثيرات اللاحقة المميتة، وسألتها فيكتوريا عما تستطيع فعله للمساعدة. لكن ما من شيء يستطيع أي كان فعله. كان من اللطيف فقط أن تسمع ليز صوتها وتخفف عنها قليلاً. وبعد الراحة الوجيزة، عادت إلى العمل على مكتبها.

بعد تناول العشاء في المنزل تلك الليلة، استحمت ليز وبدلت ملابسها، وطلبت من جايمي أن ينتعل حذاءه. كانت تأخذه لرؤية شقيقه. كانت قد طلبت من الفتيات الانتظار يوماً إضافياً، لأنها عرفت أن كلامهنّ وضحكهنّ والأسئلة والمضايقة المتعمدة سوف ترهق بيتر. لكن زيارة جايمي مهمة لجايمي بقدر ما هي لبيتر. عرفت أنه ما زال بحاجة للتأكد من أن بيتر بخير.

كان جايمي هادئاً في الطريق إلى المستشفى، ورأت أنه بدا قلقاً قليلاً فيما حدق خارج النافذة. ثم التفت إليها أخيراً حين وصلا إلى مرأب سيارات المستشفى ووجه إليها سؤالاً دقيقاً.

"هل سأخاف أمي؟" كان صريحاً، وما سأله أثر فيها، وكانت هي صريحة معه.

"قليلاً ربما. المستشفيات مخيفة قليلاً. هناك الكثير من الأشخاص والآلات والأصوات الغريبة. لكن بيتر لا يبدو خائفاً". كان وجه مصاباً بالرضوض، ولكن ليس كثيراً. "مظهره مضحك بسبب الطوق حول عنقه، فضلاً عن أنه في سرير يتحرك صعوداً ونزولاً إذا ضغطت على زر".

"هل سيعود إلى المنزل مجدداً؟".

"نعم، صغيري، قريباً جداً. قبل أن تبدأ المدرسة".

"بهذه السرعة؟" لم يكن جايمي مدركاً جيداً للوقت، وهو عرف ذلك.

"خلال أسبوعين"، شرحت له. "أو حتى قبل ذلك ربما. ثمة طبيب لطيف هناك يريد اللقاء بك. اسمه بيل".

"هل سيعطيني حقنة؟" بدا جايمي مذعوراً. بالنسبة إليه، ليست هذه مغامرة فقط، وإنما محنة، لكنه أراد اختراق النار لرؤية بيتر، أو فعل أي شيء ضروري.

"لا. لن يعطيك حقنة"، قالت أمه بهدوء.

"جيد. أنا أكره الحقن. هل أعطى بيتر حقنة؟". كان قلقاً على شقيقه.

"الكثير منها. لكن بيتر ولد كبير ولا يهتم". الشيء الوحيد الذي كرهه هو الجيلو والشوفان. أحضر لـه أصدقاؤه البيتزا بعد الظهر، وبدا سعيداً حين أخبرها بذلك. "هل يجدر بنا الدخول الآن؟". أومأ جايمي برأسه ووضع يده في يدها ودخلا عبر الباب الرئيسي. أمسك يدها بشدة، وشعرت أن راحة يده رطبة فيما استقلا المصعد للذهاب إلى غرفة العناية الفائقة. وجفل بوضوح حين خرجا من المصعد وشاهدا شخصاً على حمالة.

"هل هو ميت؟" سأل جايمي بهمسة مذعورة، وهو يقف بالقرب منها. كانت عينا الرجل مغلقتين وثمة ممرضة واقفة بقربه.

"إنه نائم فقط. إنه بخير. لن يحدث شيء سيء". أخذته بسرعة إلى القاعة صوب غرفة العناية الفائقة، وشاهدا بيتر لحظة دخلا. كان جالساً في السرير وصرخ مسروراً حين شاهد جايمي. ولحظة رآه جايمي، كشف عن ابتسامة عريضة جداً.

"مرحبا أيها الولد الكبير. تعال وقبلني!"، صرخ عالياً وركض جايمي إليه ثم توقف فجأة حين شاهد كل أجهزة المراقبة والآلات. خاف من الاقتراب كثيراً. "هيا"، شجعه بيتر، "مجرد خطوة واحدة أيضاً، وأنال منك". قام جايمي بالخطوة الأخيرة كما لو أنه يعبر جدولاً مليئاً بالأفاعي. لكن ما إن استطاع، أمسكه بيتر بقوة ودفعه إليه. كان يبتسم له، وانحنى فوقه لمعانقته وتقبليه. وحين اقتربت ليز، لاحظت أن جايمي كان مشرقاً. "اشتقت إليك أيها الصغير".

"اشتقت لك أنا أيضاً. ظننت أنك ميت"، قال جايمي ببساطة، "لكن أمي قالت إنك لست كذلك. لم أصدقها في البداية، ولهذا السبب أحضرتني إلى هنا لرؤيتك".

"رأيت أني لست ميتاً. لكنه كان تصرفاً أخرق، أي القفز في حوض السباحة بهذه الطريقة. من الأفضل ألا تفعل شيئاً غبياً مثلي، وإلا ستواجه مشكلة كبيرة معي. كيف الأمور في المنزل؟".

"مضجرة. تستمر الفتيات في إخبار الجميع في ما حدث لك. بكين جميعاً حين تم اصطحابك في سيارة الإسعاف. وأنا أيضاً"، قال وهو ينظر إلى شقيقه الأكبر بارتياح. هذا هو ما احتاج إليه. "هل أستطيع تحريك سريرك صعوداً ونزولاً؟""، سأل باهتمام، فيما نظر حوله. كان هناك أشخاص آخرون في غرفة العناية الفائقة، لكن الستائر منسدلة، ولا يستطيع أحد رؤيتهم.

"طبعاً". أظهر لـــه بيتر الأزرار وعلمه كيفية فعل ذلك، وجعل حين حركه جايمي صعوداً ثم نزولاً، وجعله من ثم في وضعية الجلوس.

"هل هذا مؤلم؟" كان جايمي مذهولاً بتحريك السرير.

"قليلاً"، اعترف بيتر.

"هل تريد أن تستلقي مجدداً؟".

"حسناً، سأقول لك متى تتوقف". كان بيتر يجيد دوماً كيفية إسعاد جايمي. وفيما كان جايمي مركزاً على تسطيح السرير مجدداً، دخل بيل وبستر، ونظر إلى المشهد باهتمام. ألقى نظرة سريعة على ليز، ثم نظر إلى ولديها. كان بيتر قد طلب منه للتو إفلات الزر، وشعر جايمي بالرضى لأنه أنجز عملاً جيداً. أراد فعل ذلك مجدداً، لكن بيتر طلب منه هذه المرة ألا يفعل. كان لا يزال يتألم أكثر مما يريد الاعتراف.

"مرحباً أيها الطبيب"، قال بيتر، وألقى جايمي نظرة سريعة على بيل مع القليل من الشك.

"هل ستخلد إلى النوم؟" سأل جايمي بتهذيب، وهو يحدق في الثوب الأخضر الذي كان يرتديه.

"لا. أنا أرتدي هذه الملابس في العمل، أليس هذا سخيفاً؟ بهذه الطريقة، أستطيع النوم متى أريد". كان يمزح، لكن جايمي نظر إليه بعينين كبيرتين وجادتين. على رغم شعر جايمي البني الداكن وشعر بيتر الأحمر، كان هناك شبه واضح بينهما. "عرفني على شقيقك"، قال لبيتر الذي عرف جايمي إلى الطبيب.

"لا أريد حقنة"، شرح جايمي، بحيث لا يحصل سوء تفاهم بينهما منذ البداية.

"ولا أنا أيضاً"، قال وهو يبقي مسافة محترمة، ولا يريد أن يزعج الصبي. عرف حدوده من أمه. "أعدك بألا أعطيك واحدة، إذا لم تعطيني واحدة أيضاً". ضحك جايمي فيما قال بيل ذلك.

"أعدك"، قال جايمي بصوت عال. ثم، ومن دون سبب معين، أعطى القليل من المعلومات عن نفسه، كما لو أنه يتوقع نوعاً من التبادل الاجتماعي،

"فزت بثلاث ميداليات في الألعاب الأولمبية الخاصة. أمي دربتني".

"بماذا شاركت؟" سأل بيل باهتمام كبير.

"القفز الطويل، وسباق الــ 91.5 متراً، والسباق الكيسي". ذكر المباريات بفخر، وابتسمت ليز فيما راقبته.

"لا بد أن أمك مدربة جيدة إذا فزت بكل هذا".

"هي كذلك. كنت أفوز فقط بالمرتبة الرابعة مع أبي. كان يصرخ أكثر من أمي. لكن أمي جعلتني أعمل بكد أكبر وأصمد أثناء التدريب".

"المثابرة تولد النجاح"، قال بيل لليز أكثر مما لجايمي وابتسمت هي له، وهي محرجة قليلاً لأن جايمي كشف عن مزاياها. "لا بد أن هذا كان ممتعاً جداً".

"فعلاً"، قال جايمي، وهو يبتسم، ثم التفت إلى شقيقه وسأله ما إذا كان يستطيع تشغيل السرير مجدداً. ورغم أن جايمي لم يكن سعيداً جداً بذلك، سمح لجايمي فعل ذلك فيما توجه بيل وليز إلى الخارج قليلاً للتحدث.

"كيف حاله؟" سألت ليز. ما زال بيتر يبدو متعباً جداً بالنسبة إليها، ولاحظت أنه يتألم من رأسه وعنقه.

"إنه بخير"، طمأنها بيل.."إنه مريضي النجم. ولدك الصغير رائع، ولا بد أنك فخورة به"، قال وهو يلقي نظرة سريعة على جايمي عبر نافذة غرفة العناية الفائقة.

"أنا كذلك". ثم ابتسمت لبيل. "شكراً لأنك سمحت لي بإحضاره. كان مذعوراً على بيتر. طمأنه هذا جداً. لم يكن سعيداً هكذا منذ يومين".

"يستطيع العودة في أي وقت، شرط ألا يعطيني حقنة". ابتسم لها بيل وضحكت هي فيما عادا إلى غرفة العناية الفائقة، وأنقذت ليز بيتر من جايمي الذي كان يعبث بالسرير.

"أظن أن الوقت قد حان للعودة إلى المنزل. يحتاج بيتر إلى بعض

الراحة، وكذلك أنت". نظرت إلى جايمي بوقار. "يقول الطبيب إنك تستطيع العودة سريعاً".

"أحضر بيتزا في المرة التالية"، أضاف بيتر وقبل جايمي قبلة الوداع بعد بضع دقائق. لوّح جايمي بيده من باب غرفة العناية الفائقة ثم توجه إلى المصعد مع أمه. كانا لا يزالان واقفين هناك حين رآهما بيل، وجاء لشكر جايمي على مجيئه.

"أحببت ذلك. كان جميلاً. ظننت أني سأخاف"، قال جايمي بصدق، وهذا جزء من سحره. فهو يقول دوماً ما يجول في خاطره. "أصدرت سيارة الإسعاف الكثير من الضجة حين أخذت بيتر بعيداً"، قال لــه جايمي وأومأ بيل برأسه.

"سيارات الإسعاف تفعل ذلك. لكن الجو هادئ هنا عادة. عد للزيارة مجدداً". ابتسم لــه وأومأ جايمي برأسه.

"سوف تأتي شقيقاتي غداً. إنهن يثرثرن كثيراً، وقد يتعب بيتر من ذلك". ضحك بيل عالياً على ذلك، ولم يجرؤ على الإضافة أن النساء يفعلن ذلك أحياناً. لا يعرف ليز جيداً كفاية لقول ذلك، وهو ليس واثقاً من بعد من حس الدعابة لديها، لكنه كان مسروراً بالتعليق الذي أصدره جايمي.

"سأحرص على ألا يزعجنه كثيراً. شكراً على إخباري". وصل المصعد حينها ولوّح جايمي بيده فيما أغلق الباب. سألها بيل بوضوح ما إذا كانت ستعود الليلة، لكنها قررت تمضية الليل في المنزل مع أولادها والعودة في الصباح لرؤية بيتر مجدداً. وشكرت بيل مجدداً على جعل زيارة جايمي سهلة وناجحة. كان مسروراً بالزيارة أثناء العودة إلى تيبورون، وقال ذلك.

"أعجبني سرير بيتر، والطبيب. إنه لطيف. وهو يكره الحقن أيضاً"، ذكّر أمه. "أظن أن بيتر يحبه".

"جميعنا نحبه"، وافقت ليز. "لقد أنقذ حياة شقيقك".

"إذاً أنا أحبه أيضاً". أخبر شقيقاته كل شيء عن زيارته لبيتر وعن السرير الذي يتحرك صعوداً ونزولاً، وعن الطبيب الذي يكره الحقن والذي أنقذ حياة بيتر. كانت مغامرة كبيرة بالنسبة إليه. نام في سرير أمه تلك الليلة، لكنه نام بسلام ولم يشاهد الكوابيس. على عكس أمه التي حلمت بجاك، وحادث بيتر، وبيل، وجايمي والفتيات. كانت ليلة مليئة بالقلق والحوادث والأشخاص. وشعرت كأنها كانت في عربة خيل طوال الليل حين استيقظت في الصباح.

"هل أنت متعبة، أمي؟" سألها جايمي حين أيقظها في الساعة السادسة.

"جداً"، قالت مع تأوه. كانت الأيام القليلة الماضية قاسية جداً عليها. كما أن الخوف من خسارة ابنها جعلها تشعر كما لو أنها تعرضت للضرب، وكانت فعلاً كذلك. كان هذا استعادة لما كانت قد شعرت به حين خسرت جاك، لكن النهاية كانت سعيدة على الأقل هذه المرة.

أعدت الفطور للأولاد، وذهبت إلى العمل، ومثلت أمام المحكمة، وعادت إلى المستشفى للقاء كارول والفتيات. بقي جايمي مع جارٍ لـــه لأن ليز لم تشأ تدليله بإفراط واليوم هو دور الفتيات. ضحكن وتحدثن وبكين، وتحققن من كل شيء، وأبلغنه الأخبار وأخبرنه عن قصصهن العاطفية وأصدقائهن، وأطلعنه على مدى سعادتهنّ لأنه بخير. لكن ليز أدركت أن جايمي كان محقاً. شعر بيتر بالإرهاق حين غادرن بعدَ ساعة، واحتاج إلى حقنة مضادة للألم. وحين خلد إلى النوم أخيراً، وقفت ليز مع بيل في قاعة الانتظار للتحدث.

"كان جايمي محقاً"، قالت وهي تبدو قلقة. "لقد أرهقته الفتيات".

"الفتيات هنّ دوماً هكذا"، قال مبتسماً، "لكني أظن أن هذا جيد له، القليل من طعم الحياة الحقيقية في غرفة العناية الفائقة. إنه بحاجة إلى ذلك". تحدثا بعدها عن موعد إعادته إلى المنزل، ورأى بيل أنهم يستطيعون إعادته إلى المنزل يوم العمال، أي بعد أقل من أسبوعين. أراد أن يتأكد من زوال كل الورم من دماغه، بحيث لا تحصل مضاعفات، وبدا هذا منطقياً بالنسبة إليها. لكن ذلك ذكّرها بأمر أرادت مناقشته مع الأولاد. الحفلة السنوية ليوم العمال.

لم يريدوا إقامتها هذه السنة، لكن بعدما حصل، والمأساة التي نجوا منها، رأت أن الوقت قد حان للاحتفال. كما أن الذهاب إلى بحيرة تاهو مستحيل الآن. فالوقت ما زال مبكراً جداً ليسافر بيتر.

"هل يستطيع العودة إلى المدرسة في الوقت المحدد؟" سألت وهي تبدو قلقة.

"تقريباً. قد يتأخر أسبوعاً واحداً. لا شيء مهم. لكنه لا يستطيع القيادة". وكانت ليز تخطط لأخذه في جولة على الكليات في شهر سبتمبر (أيلول). سوف يتأجل ذلك قليلاً أيضاً، إلى أن يصبح أقوى.

تحدثا عن تفاصيل شفائه لفترة، ثم دعاها إلى مكتبه لشرب فنجان قهوة قبل أن تغادر، فجلست في كرسي وهي تبدو مرهقة.

"يوم طويل؟" سأل، وهو يبدو ودوداً. عرف أن لديها الكثير من المسؤوليات، وكان متأثراً بحسن تدبرها للأمور، ومدى هدوئها، وكم هي محبة لأولادها.

"ليس أطول من يومك"، قالت بلطف.

"لا أملك خمسة أولاد، وواحداً في المستشفى". أو ولداً يعاني من التأخر ويحتاج بوضوح إلى عناية أكثر من الآخرين، من دون ذكر ثلاث فتيات مراهقات يطالبن بانتباهها. "حين أفكر في الأمر، لا أعرف كيف تتدبرين".

"ولا أنا أيضاً أحياناً. تفعل فقط ما هو مطلوب منك".

"وأنت؟"، سأل بهدوء وهو ينظر إليها عبر فنجان القهوة. "من يعتني بك، ليز؟".

"أنا. بيتر أحياناً. سكرتيرتي، مربية المنزل، أصدقائي. أنا محظوظة". كانت هذه طريقة غريبة للنظر إلى الأمور برأيه. بعد خسارة زوجها الذي اعتمدت عليه طوال عشرين عاماً. كانت تحاول فعل كل شيء بنفسها. وقد أعجب بها كثيراً لما كانت تفعله، وكان جلياً لـــه أنها تفعل ذلك جيداً.

"حين أنظر إليك، أشعر بالذنب للمسؤولية الصغيرة التي لديّ. لا أملك حتى سمكة ذهبية. أنا فقط. أظن أني أناني". مقارنة معها، شعر كأن لديه القليل من المسؤوليات.

"الأمر مختلف فقط. يملك كل واحد حاجات مختلفة، بيل. لا شك في أنك تعرف حاجاتك، وتحصل عليها بالطريقة التي تريدها". كان كبيراً كفاية لفعل شيء حيال ذلك، إذا لم يفعل. إنه في الخامسة والأربعين من العمر، حسب ما قال قبل بضعة أيام، وحياته تلائمه تماماً مثل حياتها. "كنت لأضيع لولا الأولاد".

"أستطيع ملاحظة السبب. إنهم مدهشون. وليس هذا صدفة. لقد بذلت الكثير من الجهد لذلك، وهذا واضح". تذكر ما كان قد قاله جايمي بشأن تدريبها لـــه للألعاب الأولمبية. ولم يكف عن التساؤل أين عثرت على الوقت.

"إنهم يستحقون ذلك، ويجعلونني سعيدة. بالمناسبة"، قالت وهي تضع فنجانها على الطاولة وتقف، "يجب أن أعود إلى المنزل قبل أن يتبرأوا مني. أراك غداً".

"أنا في إجازة لبضعة أيام، لكن بيتر سيكون بين أيد أمينة". أعطاها اسم الطبيب، وأخبرها متى سيعود. سوف يذهب إلى مندوكينو.

"استمتع"، قالت وهي تبتسم له. "أنت تستحق ذلك".

وتلك الليلة، حين عادت إلى المنزل، تحدثت إلى الأولاد بشأن حفلة يوم العمال، وتفاجأت حين لاحظت أن عواطفهم متضاربة حيال ذلك. رأى جايمي وميغان أنها فكرة جيدة، لكن راشيل وآني قالتا إن هذه خيانة لوالدهم إذا أقاموا الحفلة من دونه. كانت هذه العطلة المفضلة عند والدهم، فضلاً عن الرابع من يوليو (يوليو).

"من سيقوم بالشواء؟" سألت راشيل بتذمر.

"سوف نفعل جميعاً"، قالت ليز بهدوء. "نحن نقوم بالشواء طوال الوقت.

يستطيع بيتر المساعدة. أظن فقط أنه علينا الاحتفال لأنه بخير وما زال معنا". وحين شرحت الأمر بهذه الطريقة، وافقوا جميعاً. وفي نهاية الأسبوع، أصبحوا متحمسين جداً للأمر. سوف يدعون الأصدقاء، وستفعل ذلك ليز أيضاً. وضعوا قرابة ستين اسماً على اللائحة، وأصبحت ليز تتطلع شوقاً إلى ذلك. إنها المرة الأولى التي تجري فيها حفلة منذ موت جاك، لكن مضت ثمانية أشهر، وبدا الوقت معقولاً. وشعر بيتر بالحماس حين أخبروه بذلك.

وحين أصبح مستعداً للعودة إلى المنزل، قبل أربعة أيام من يوم العمال، كان قد قبل الدعوة أكثر من خمسين شخصاً. كانت تعدّ خطة إخراج بيتر من المستشفى وتحضر جدول علاجه مع بيل وبستر، حين فكرت في توجيه دعوة إليه. "إنه نوع من الاحتفال ببيتر"، شرحت له، "سيكون رائعاً لو استطعت المجيء. إنها حفلة غير رسمية. الجينز والكنزات الرياضية".

"هل أستطيع ارتداء بذلة المستشفى؟ لا أظن أني أملك شيئاً آخر. لا أملك الوقت أبداً للذهاب إلى أي مكان". لكنه بدا مسروراً بالدعوة، وأخبرها أنه سيحضر الحفلة إذا لم يكن في العمل.

"نحب أن تكون معنا". هناك الكثير من الأمور التي يريدون شكره عليها، وهذه طريقة جميلة لفعل ذلك. كانت قد أرسلت لـــه أيضاً هدية، وكان مسروراً لتلقي الهدية منها. لكن بدا فجأة أنه من الملائم وجوده هناك للاحتفال بعودة بيتر إلى المنزل. فلولاه، لما كان بيتر هناك على الإطلاق، وهذه فكرة لا يمكن تحملها.

ألح عليها بيل ألا تدع بيتر يفرط في حماسه. إنه شاب، وسوف يجهد نفسه حين يعود إلى المنزل إذ يرغب في رؤية أصدقائه والتجول معهم. لكن بيل رأى أنه سيكون على ما يرام، ولن يعاني من تأثيرات أخرى للحادث بعد إنهاء علاجه، وسيكون ذلك بحلول العيد القادم. "راقبيه جيداً لفترة"، قال لها وأومأت هي برأسها.

"سأفعل ذلك". لن يتمكن من القيادة قبل شهر أو شهرين، إلى أن ينزع

الطوق عن عنقه، وعرفت أنها ستكون قاسية جداً على بيتر، وسوف تؤدي دور السائق لوقت أكثر مما تملك. لكن كان يجب أن يفعل ذلك أحد، وفي معظم الأوقات، كانت كارول مشغولة مع الفتيات وجايمي. "سوف نتدبر أمرنا".

"إبقي على اتصال. واتصلي بي إذا واجه أية مشاكل".

في صباح اليوم الذي غادر فيه بيتر المستشفى، جاء بيل ليقول وداعاً لهما معاً، وصافح يد ليز بنظرة حنونة. كان واضحاً أنه سيشتاق إليها. لقد أمضت مقداراً كبيراً من الوقت في مكتبه، تشرب القهوة وتثرثر، وأصبحا مرتاحين مع بعضهما بعضاً. ذكّرته بحفلة يوم العمال، وقال لها إنه سيبذل ما بوسعه ليكون موجوداً.

"سيكون هناك، أمي"، أكّد لها بيتر في الطريق.

"ليس إذا كان لديه عمل"، قالت ببساطة، لكنها شعرت بالأسف على فراقه أيضاً. فبعد التجربة التي عاشوها وشفاء بيتر، أصبح مثل صديق الآن، وسوف تكون شاكرة لـــه إلى الأبد.

"سيكون هناك"، كرر بيتر باعتداد. "قلت لك إنه معجب بك".

"لا تكن سخيفاً"، قالت مع ابتسامة عريضة، وهي غير مبالية بما يقوله. إنه فقط طبيب بيتر.

"أراهن أنه سيأتي"، قال بيتر، وهو يصحح الطوق حول عنقه.

"لست محقاً"، قالت أمه وانزلقت بهدوء في زحمة السير. سواء جاء بيل وبستر إلى حفلة يوم العمال أم لا، أكدت لنفسها أن هذا غير مهم البتة. أقنعت نفسها بذلك، ولكن ليس بيتر، فيما ابتسم لها.

الفصل الثامن

كانت حفلة يوم العمال ناجحة جداً. جاء كل أصدقاء الأولاد، ومعظم أهلهم، وبعض الأشخاص الذين لم ترهم ليز منذ موت جاك. جاءت فيكتوريا وزوجها، وأحضرت معها التوائم. تولت ليز وبيتر عملية الشواء، وقد نجح بيتر في ذلك تماماً، على رغم الطوق حول عنقه. أما آني وراشيل وميغان فتولين الاهتمام بالضيوف. بدا أن الجميع قضوا وقتاً جيداً، وبعد نصف الساعة من بدء الحفلة، وصل بيل وبستر وبدا تائهاً قليلاً إلى أن شاهد جايمي.

"مرحبا، هل تذكرني؟" كان يرتدي سروال جينز وقميصاً طويل الأكمام، فيما شعره ممشط تماماً. ابتسم لـــه جايمي ما إن رآه.

"أذكرك. أنت لا تحب الحقن أيضاً"، قال جايمي مع ابتسامة.

"صحيح. كيف حال بيتر؟".

"جيد جداً، سوى أنه يصرخ عليّ حين أقفز فوقه".

"إنه محق، ولكن ليس في الصراخ، لكن عليك توخي الحذر معه. فعنقه مكسور نوعاً ما".

"أعرف. لهذا السبب يضع القلادة الكبيرة".

"أظن أنك تستطيع تسميته هكذا. أين أمك؟"، سأل بيل وهو يبتسم.

"هناك". أشّر إلى مكان الشواء، وأومأ بيل برأسه وراقبها وهي تعدّ الهامبرغر. كانت ترتدي مئزر الشواء فوق الجينز، وبرز شعرها الأحمر بين المجموعة، تماماً مثل شعر بيتر. ورغم أنها كانت منكبة على العمل، كانت تبتسم وبدت أنيقة جداً. أصبح شعرها طويلاً خلال فصل الصيف، وجعلته

ينسدل على كتفيها. وكما لو أنها شعرت بأن بيل يراقبها، التفتت وشاهدته. لوّحت لـــه بالملعقة، واقترب منها بهدوء، يليه جايمي. وحين وصل إلى هناك، لاحظ بيل أن بيتر كان واقفاً قربها، يضع ما أسماه جايمي "القلادة".

"كيف الحال؟" سأل الطبيب مريضه، وابتسم بيتر وتحدث إلى أمه بصوت خافت، وهو يدّعي تسليمها شيئاً ما.

"كسبت الرهان أمي".

"جاء لرؤيتك"، همست له، ثم التفتت لإلقاء التحية على بيل وقدمت لـــه كوباً من العصير. ابتسم لها وطلب منها كوب كولا بدل ذلك. كانت الأجواء حولهم سعيدة واحتفالية.

"تبدين محترفة جداً في هذا الشواء". ابتسم بيل لها ورشف كوب الكولا.

"تعلمت هذا من خبير".

"يبدو أن بيتر بخير"، قال وهو يلقي نظرة سريعة على مريضه. كان بيتر يستمتع مع أصدقائه، ويقلب الهامبرغر على رغم الطوق المزعج حول عنقه.

"يريد العودة إلى المدرسة في الأسبوع المقبل"، قالت وهي تبدو قلقة لبرهة.

"إذا رأيت أنه قادر على ذلك، دعيه يفعل. أنا أثق في حكمك".

"شكراً". سلّمت عملية الشواء إلى كارول وبيتر حينها، وساعدهما أحد الجيران، لكي تتمكن من التحدث مع بيل لبضع دقائق. جلسا في كرسيين فارغين وشربت الكولا. "كيف الأمور في المستشفى؟". بدا مضحكاً أن تكون هنا معه، بعيداً عن المخاوف التي تشاركاها بشأن بيتر. أصبحا الآن وحدهما، مثل شخصين عاديين، وشعرت فجأة بالخجل معه.

"الأمور في المستشفى مزدحمة قليلاً. وسوف تصبح أسوأ قبل أن تتحسن في نهاية الأسبوع. فأيام الأعياد قاتلة فعلاً. حوادث السير، جروح الألعاب النارية، محاولات الانتحار. من المذهل ما يستطيع الناس فعله حين يتوقفون

عن العمل لبضعة أيام، خصوصاً عند وجود عجلة القيادة بين أيديهم".

"من الجيد أنك استطعت أخذ فرصة للمجيء".

"لم آخذ فرصة. أنا في الخدمة. لديّ جهاز الاتصال معي، لكني تصورت أنهم يستطيعون العيش من دوني لبرهة. كلفت الطبيب المناوب بالمهمة. إنه جيد، ولن يتصل إلا إذا اضطر لذلك. ماذا عنك، ليز؟ كيف العطلة معك؟ لا يمكن أن تكون سهلة".

"هذه العطلة أفضل مما توقعت. كانت البداية قاسية جداً، أعياداً متتالية، أعياد ميلاد الأولاد، الرابع من يوليو (تموز)، لكن يوم العمال هو عطلة جميلة. رأيت أن هذا سيكون ممتعاً للأولاد". وبدا أن الجميع يقضون وقتاً جيداً، ولا سيما أولادها. بدوا سعداء لوجود أصدقائهم حولهم، وهذه المرة الأولى التي تقيم فيها العائلة حفلة منذ العيد الماضي.

"كنت أحب الأعياد حين كنت صغيراً. أما اليوم فهي مجرد أيام عمل". بدت حياته وحيدة بالنسبة إليها، لكنه بدا راضياً عنها بهذه الطريقة. لاحظت أنه كان موجوداً في المستشفى باستمرار حين كان بيتر هناك، ومن اللطيف فعلاً أن يحضر حفلتها. "ماذا تفعلين في وقت الفراغ حين لا تعملين أو تطاردين الأولاد؟" نظر إليها باهتمام فيما سألها، وضحكت هي عند الإجابة.

"ماذا بقي غير ذلك؟ هل تقصد أن هناك حياة بعد العمل والأولاد؟ لست أكيدة من أني أذكر كيف يكون ذلك".

"يجب تذكيرك ربما"، قال لها بصورة عفوية. "متى ذهبت إلى السينما لآخر مرة؟".

"همم..." فكرت في الأمر وهزت رأسها. كان يصعب التصديق كم مضى وقت طويل على ذلك. لقد أوصلت الأولاد إلى السينما في ميل فالي وأحضرتهم منها، لكنها لم تذهب هي بنفسها منذ أشهر عدة. "أظن أن آخر مرة ذهبت فيها إلى السينما كان يوم عيد الأضحى". مع جاك طبعاً. ذهبا، مثلما

فعلا دوماً، بعدما استقرّ الجميع بعد العشاء. كان هذا تقليداً بالنسبة إليهما.

"يمكننا الذهاب إلى السينما ربما في وقت ما"، قال بأمل، فيما أطلق جهاز اتصاله صفارة ونظر إليه ليعرف من المتصل. أبلغه الجهاز بأنها حالة طارئة وأخرج الهاتف الخلوي من جيبه واتصل بالمستشفى. أصغى بدقة، وأخبرهم بما يجب فعله، ثم التفت إلى ليز وهو خائب الأمل. "لديهم حالة خطرة بين أيديهم، ليز. تعرض ولدان لحادث في الرأس. من الأفضل أن أعود. كنت آمل تناول هامبرغر وقضاء المزيد من الوقت. عليك التعويض لي".

"ماذا لو تأخذ قطعة همبرغر معك؟" سألت فيما أوصلته إلى البوابة في الفناء الخلفي. كان الشواء يجري في مكان مجاور، وطلبت من بيتر أن يلف لـــه واحدة في ورقة ألمنيوم، وسلمتها إلى بيل فيما أوصلته إلى سيارته. كان يملك سيارة مرسيدس قديمة عمرها أكثر من عشرة أعوام. لديه أسلوب أنيق، رغم أنه يصعب قول ذلك عند رؤيته يتجول في المستشفى في الثوب الأخضر. أما هنا، فقد ارتدى سروال جينز جديداً، وحذاء ملمعاً، وكان شعره ممشطاً على نحو مثالي، علماً أنه لم يكن هكذا أبداً طوال المرات التي رأته فيها.

"شكراً على الهامبرغر"، ابتسم. "سأتصل بك من أجل السينما. في الأسبوع المقبل ربما؟".

"أود ذلك"، قالت وهي تشعر بالخجل مجدداً، وأحست فجأة أنها شابة جداً. مضت سنوات منذ أن دعاها رجل إلى السينما. لكنه رجل لطيف ومحترم، وهو محق. فهي تحتاج إلى الخروج أكثر.

علّقت فيكتوريا على ظهور بيل الوجيز حين توقفت ليز لبرهة للتحدث إليها بعدما غادر.

"إنه ظريف"، قالت فيكتوريا مع ابتسامة خبيثة، "وهو معجب بك".

"هذا ما يقوله بيتر أيضاً"، ابتسمت ليز، ثم بدت جادة مجدداً. "إنه رائع في عمله".

"هل طلب منك الخروج معه؟"، سألتها صديقتها بصراحة، وهي تبدو متفائلة.

"لا تكوني سخيفة، فيك. نحن مجرد صديقين". لكن الحقيقة أنه دعاها للخروج رغم أن ليز تفاجأت بعدم رغبتها في الاعتراف لها بذلك. لا يعني هذا أي شيء. مجرد فيلم سينما. ولن يذهبا ربما إليه أبداً في النهاية. قالت ليز لنفسها إن الأمر لا يستحق الذكر أمام فيكتوريا، ثم توجهت للتحقق من بقية ضيوفها.

استمرت الحفلة لساعات، وكانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة حين عاد آخر الضيوف إلى منازلهم. كان الطعام جيداً، والمدعوون لطفاء وسعداء. لقد قضوا جميعاً وقتاً جيداً، وفيما ساعدها الأولاد في التنظيف ونقل المشروب إلى الداخل، شعرت بالسرور لأنها فعلت ذلك. كانت تساعد كارول في تشغيل غسالة الصحون حين رن الهاتف، وألقت نظرة سريعة على الهاتف متفاجئة. لقد تجاوزت الساعة منتصف الليل، ولم تستطع أن تتخيل من قد يتصل بهم.

أجابت على الهاتف، متسائلة ما إذا كان أحد الضيوف قد نسي شيئاً، وتفاجأت لسماعها صوتاً مألوفاً. إنه بيل، يتصل لشكرها على الحفلة.

"فكرت في أنك لا تزالين مستيقظة. هل غادر الجميع؟".

"قبل بضع دقائق فقط. توقيتك مثالي. كيف كانت حالة الطوارئ؟".

تنهد قبل الإجابة، لأنه لا يحب التحدث عن ذلك. هناك بعض الأوضاع التي تكون أفضل من غيرها. "خسرنا أحد الولدين، لكن الآخر بخير. تحدث الأمور بهذه الطريقة أحياناً". لكنه بدا وكأنه يتأثر بشدة كلما مات أحد.

"لا أعرف كيف تفعل ذلك"، قالت بهدوء.

"هذا ما أفعله". وكان واضحاً أنه يحبه، خصوصاً حين يحدث فرقاً، وهذه هي الحال معظم الأوقات. "إذاً متى سنذهب إلى السينما؟". لم يعطها الوقت للإجابة أو التفكير في المسألة. "ماذا عن الغد؟ لديّ إجازة في الليل، ولست في

الخدمة. هذه فرصة نادرة، صدقيني. من الأفضل أن نستفيد منها حين نستطيع. ما رأيك في البيتزا وفيلم سينما؟".

"هذا أفضل عرض تلقيته طوال الليل... طوال السنة"، ابتسمت. "يبدو جيداً جداً لي".

"أنا أيضاً. سأمر لأخذك في السابعة".

"أراك حينها إذاً، بيل. وشكراً لك. أتمنى أن تقضي ليلة هادئة هناك".

"وأنت أيضاً"، قال بهدوء. تذكر كيف تواجه المشاكل في الخلود إلى النوم.

كانت لا تزال تبتسم لنفسها حين أقفلت السماعة، ودخل بيتر إلى المطبخ. نظر إليها، ثم رفع حاجباً فيما وجه إليها السؤال.

"ومن كان هذا؟".

"لا أحد مهم"، قالت بغموض. لكن بيتر كان يحدق فيها مع نظرة تركيز. لم يصدقها، وعرف فجأة وابتسم لها فيما ضايقها.

"كان بيل وبستر، أليس كذلك أمي؟ أخبريني الحقيقة. كان هو... صح؟".

"نعم، ربما". بدت خجولة قليلاً.

"قلت لك إنه معجب بك! هذا مذهل!".

"ما المذهل؟" سألت ميغان فيما انضمت إليهم في المطبخ. كانت كارول تملأ غسالة الصحون حينها، فيما ذهب الأولاد الأصغر سناً إلى السرير قبل دقائق قليلة من رحيل الضيوف.

"طبيبي معجب بأمي"، قال بيتر بسرور واضح. إني أحبه.

"أي طبيب؟" بدت ميغان متفاجئة بما قاله شقيقها.

"الذي أنقذ حياتي، أيتها الغبية. من آخر؟".

"ماذا تعني بأنه معجب بأمي. ماذا يفترض أن يعني ذلك؟".

"يعني أنه اتصل بها".

"للخروج معها؟" بدت مذعورة فيما ألقت نظرة سريعة على بيتر وأمها، ووجه إليها بيتر سؤالاً آخر.

"لا أعرف. هل طلب منك الخروج معه، أمي؟". بدا مسروراً جداً، لكن ميغان لم تكن كذلك.

"نوعاً ما"، اعترفت، وبدت ميغان غاضبة. "سوف نذهب إلى السينما غداً". لا جدوى من إخفاء الأمر عنهم لأنهم سيرونه حين يأتي لاصطحابها في أية حال. بالإضافة إلى ذلك، لا تملك أي شيء لإخفائه. كان رجلاً لطيفاً، وهو طبيب بيتر. إنهما مجرد صديقين، وكانت واثقة من أنه لا يملك شيئاً في رأسه سوى ما اقترحه، أي البيتزا والفيلم. "ليس الأمر مهماً. فكرت في أن هذا ممتع"، قالت باعتذار، فيما استمرت ميغان في التحديق فيها.

"هذا مقرف. ماذا عن أبي؟".

"ماذا عن أبي؟" سأل بيتر أخته. "لقد رحل. أما أمي فلا. لا تستطيع الجلوس هنا والاعتناء بنا إلى الأبد".

"لمَ لا؟" لم تفهم ميغان قصده، ولم يعجبها أبداً ما رأته من الموضوع. فبرأيها، لا تملك أمها أي سبب للخروج مع الرجال. "لا تحتاج أمي إلى الخروج"، قالت لبيتر وأمها على حد سواء. "لديها نحن".

"هذا هو المهم تماماً. إنها تحتاج إلى أكثر من ذلك في حياتها. ومع ذلك، كان لديها بابا"، قال بيتر وهو يبدو صارماً.

"هذا مختلف"، قالت ميغان بعناد.

"لا، ليس كذلك"، أصرّ بيتر، فيما وقفت أمهما بعيداً لكنها ذهلت بتضارب الآراء. كانت ميغان مصرة على أنه لا يجدر بها الخروج مع الرجال، وكان

بيتر واضحاً بأنها تحتاج إلى أكثر من العمل والأولاد في حياتها، ولهذا السبب دعاها بيل وبستر للخروج. لقد قال الشيء نفسه مثل بيتر. لكن كان واضحاً أن ميغان شعرت بالخطر من فكرة وجود رجل في حياة أمها من دون أن يكون والدها.

"ماذا سيقول البابا برأيك بشأن خروجك، أمي؟" سألت أمها مباشرة.

"أظنه سيقول إن الوقت قد حان"، قال بيتر ببساطة. "لقد مضت تسعة أشهر تقريباً، ولديها الحق. حين توفيت والدة آندي مارتن العام الماضي، تزوج والده ثانية خلال خمسة أشهر. أما أمي فلم تنظر حتى إلى رجل آخر منذ أن توفي أبي"، قال بيتر، لكن ميغان بدت أكثر قلقاً.

"هل ستتزوجين من الطبيب؟".

"لا، ميغان"، قالت ليز بهدوء. "لن أتزوج من أي كان. سوف أتناول البيتزا وأشاهد فيلم سينما. هذا غير مؤذٍ البتة". لكن من المثير الإدراك ردة الفعل القوية التي كشفها الأولاد حيال ذلك، سواء كانت مع أو ضد. جعلها ذلك تفكر في نفسها فيما صعدت السلم بهدوء متوجهة إلى غرفة نومها. ما الخطب؟ هل هذا جنون أو أمر غير ملائم؟ هل ما زال الوقت باكراً لـــ "الخروج"؟ لكنها لم تكن على موعد مع بيل، وسوف يخرجان فقط للسينما والعشاء، ولا تريد حتماً أن تتزوج من أي كان، مثلما اتهمتها ميغان. لا تستطيع أن تتخيل الزواج من أي كان بعد جاك. لقد كان الزوج المثالي بالنسبة إليها، وهي واثقة من أحداً لن يكون مثله. إنها مجرد ليلة في الخارج، وبيل مجرد صديق. لكن ميغان كانت لا تزال على موقفها العدائي حين جاء بيل لاصطحاب أمها في مساء اليوم التالي في تمام الساعة السابعة. حدقت ميغان فيه، وصعدت السلم بأكبر جلبة ممكنة بعدما سمحت لـــه بالدخول. لم توجه لـــه أية كلمة، أو تعرفه عليها، واعتذرت ليز على كونها بهذه الفظاظة، لكن جايمي عوّض عن ذلك حين نزل إلى الطابق الأسفل مع ابتسامة عريضة لإلقاء التحية على بيل. كان سعيداً برؤيته. وابتسم بيل وتحدث معه قبل أن يغادرا للعشاء.

"هل استمتعت في الحفلة الليلة الماضية؟". ربت بيل على الشعر الحريري الداكن فيما سأله.

"كانت ممتعة"، أومأ جايمي برأسه. "تناولت الكثير من الهوت دوغ وأصبت بألم في المعدة. لكن الحفلة كانت ممتعة قبل ذلك".

"ظننت ذلك أيضاً"، وافق بيل ثم تظاهر بالقلق. "لن تعطيني حقنة، أليس كذلك جايمي؟". ضحك الولد على المزحة، ثم سأله بيل ما إذا طيَّر يوماً طائرة ورقية، واعترف جايمي بأنه لم يفعل. "عليك أن تأتي لاستعمال طائرتي الورقية يوماً ما"، قال ممازحاً. "لدي واحدة جميلة جداً. إنها طائرة قديمة الطراز صنعتها بنفسي، وهي تطير جيداً. سوف نأخذها إلى الشاطئ يوماً ما ونطيّرها".

"أحب ذلك"، قال جايمي بعينين واسعتين ونظرة اهتمام.

نزلت راشيل وآني لإلقاء التحية عليه حينها، لكن ميغان لم تظهر أبداً مجدداً. كانت تحبس نفسها في غرفتها وتشعر بالغضب على أمها. أما بيتر فكان في الخارج، بعد أن جاء أصدقاؤه لاصطحابه لأنه لا يستطيع القيادة. طلب بيل إبلاغه تحياته حين غادرا. وعده جايمي بأن يخبر بيتر ذلك حين يعود.

"إنهم أولاد رائعون"، قال بإعجاب. "لا أعرف كيف تفعلين ذلك".

"بسهولة"، ابتسمت وهي تدخل إلى سيارة المرسيدس المريحة. "أحبهم كثيراً".

"تجعلين الأمر يبدو أكثر سهولة مما هو. لا أتخيل أني أستطيع فعل ذلك"، قال وكأنه يفكر في عملية زرع كبد أو عملية قلب مفتوح. جعل الأمر يبدو مؤلماً وصعباً، وقاتلاً ربما. لطالما كانت الأبوة شيئاً غامضاً بالنسبة إليه.

"لا تتخيل نفسك تفعل ماذا؟"، سألت، فيما أدار السيارة وأرجعها إلى الخلف.

"الزواج وإنجاب الأولاد. تجعلين الأمر يبدو من دون عناء، لكني أعرف أنه في الحقيقة ليس كذلك. يجب أن تكوني جيدة في ذلك. إنه نوع من الفن. وهو أكثر صعوبة من ممارسة الطب، حسب ما أعلم".

"تتعلم الأمر مع الوقت. إنهم يعلمونك".

"ليس الأمر بهذه البساطة، ليز، وأنت تعرفين ذلك. يتصرف معظم المراهقين مثل المنحرفين ويدمنون على المشروبات المفضلة أو على شيء مشابه. أنت محظوظة لأن لديك خمسة أولاد هكذا"، وأدرج جايمي في الثناء تماماً مثلها هي. إنه ولد رائع، وعلى رغم تحدياته، احتاج إلى القليل من الانتباه والرعاية فقط أكثر من البقية. كان عليها مراقبته للتأكد من ألا يؤذي نفسه أو يفعل شيئاً خطيراً أو يضيع.

"أظن أن لديك بعض الأفكار المضحكة بشأن الأولاد"، قالت وهما في الطريق. "ليسوا جميعاً مجرمين، أنت تعرف ذلك".

"لا، لكن معظمهم كذلك، وأمهاتهم أسوأ"، قال ببساطة وضحكت هي.

"هل يجدر بي الخروج الآن من السيارة قبل أن تكتشف الحقيقة عني، أو تثق بي خلال العشاء؟".

"تعرفين ما الذي أقصده"، قال مصراً. "ما هو عدد الزيجات التي تنجح، تنجح فعلاً؟"، سأل بصراحة، وهو يبدو مثل متشائم حقيقي، وعازب متزمت.

"لقد نجح زواجي"، قالت ببساطة. "كنا سعيدين جداً لوقت طويل".

"حسناً، معظم الأشخاص ليسوا كذلك، وأنت تعرفين هذا"، قال وهو يحاول إقناعها.

"لا، أنت محق. معظم الأشخاص ليسوا سعداء، لكن بعضهم سعيد".

"القليل جداً"، قال فيما وصلا إلى المطعم، ونظرت إليه بحذر حين جلسا على المائدة.

"من أين حصلت على هذه الآراء المذهلة بشأن الزواج، بيل؟ هل كان

الأمر سيئاً إلى هذه الدرجة؟".

"أسوأ. حين انتهى الزواج، كنا نكره بعضنا البعض. لم أشاهدها منذ ذلك الحين، ولا أريد ذلك. وقد تقفل السماعة في وجهي إذا اتصلت بها. الأمر بهذا السوء. ولا أظن أننا كنا استثناء". كان واضحاً أنه مؤمن في ما يقوله، رغم أن ليز لم تكن كذلك.

"أظن أنك كنت استثناء"، قالت بهدوء.

"لو كنا كذلك، لتوقف عملك". ضحكت على هذا، وطلب البيتزا بالفطر والفلفل مع الزيتون عليها. بدا هذا النوع جيداً لهما، وحين وصلت البيتزاء، كانت لذيذة. راحا يأكلان، وأكلا نصف الكمية فقط حين قررا أنهما شبعا وقدمت لهما النادلة القهوة.

تحدثا عن الكثير من الأشياء، الطب، القانون، السنوات التي قضاها في نيويورك أثناء دراسته الطب، وكم أحب ذلك، وتحدثت هي عن ذهابها إلى أوروبا مع جاك وعشقها لذلك، ولا سيما مدينة البندقية. تناولا الكثير من المواضيع، لكنها بقيت متأثرة بما قاله عن الزواج والأولاد. كان يملك بلا شك آراء قوية حول الموضوع. وشعرت بالأسف عليه. لقد حرم نفسه من حياة أحبتها هي. لم تكن لتتخلى عن سنوات زواجها مقابل أي شيء، وليس طبعاً أولادها. عرفت أن حياتها ستكون فارغة من دونهم، مثلما هي حياته هو. فكل ما اهتم به فعلاً هو عمله، والأشخاص الذين اهتم بهم وعمل معهم. هذا كثير، لكنه ليس كافياً لحياة كاملة برأيها. لكنهما لم يتطرقا إلى الموضوع مجدداً. انتقل حديثهما بدل ذلك إلى الأفلام.

لديه أذواق انتقائية جداً. فهو أحبّ الأفلام الأجنبية والأفلام الفنية، وكذلك بعض الأفلام التجارية. اعترفت أنها أحبت الأفلام التي شاهدتها مع أولادها، علماً أنها كلها أفلام تجارية، فيما تنضوي أفلام بيتر تحت لواء الحركة والأحداث الديناميكية. واعتادت على أن تحب الذهاب معهم. ذكرها ذلك بعدد المرات الضئيلة التي خرجت فيها مع أولادها بعد وفاة جاك. إنها دائماً معهم

في المنزل، لكنها لم تخرج معهم إلا نادراً، ووعدت نفسها بصمت بأن تخرج معهم في المستقبل. لقد أعادها بيل إلى الحياة مجدداً، وبعد الفيلم الذي شاهداه تلك الليلة، وعدت نفسها بأن تأخذ الأولاد قريباً. لقد مضى وقت طويل منذ أن فعلوا شيئاً كهذا معاً، وقد حان الوقت الآن.

دعته لتناول العصير حين وصلا إلى المنزل، لكنه قال إن عليه النهوض باكراً في صباح اليوم التالي. عليه أن يكون في المستشفى في تمام الساعة السادسة، وتأثرت لبقائه لهذا الوقت المتأخر معها. لقد تجاوزت الساعة الحادية عشرة ليلاً، وسوف يكون متعباً في الصباح. اعتذرت لـــه على ذلك وابتسم هو.

"أظن أنك تستحقين هذا". تفاجأت بكلماته لكنها شعرت بالسرور لأنه قالها. قضت وقتاً جيداً معه. شكرته، ووعدها بأن يتصل بها مجدداً سريعاً، وتوجهت هي إلى الداخل فيما ابتعد في سيارته. كان بيتر وميغان لا يزالان مستيقظين، ولاحظت أنه قبل أن تغلق الباب أصبحت أمام استجواب.

"هل قبّلك؟"، سألتها ميغان بطريقة اتهامية، مع نبرة توحي بعدم الموافقة والاشمئزاز.

"طبعاً لا. بالكاد أعرفه".

"لن يكون هذا جميلاً في الموعد الأول"، قال بيتر بحكمة، وضحكت أمه.

"أنا آسفة لتخييب آمالكم أيها الأولاد. نحن مجرد صديقين. أظن أنه حريص جداً على عدم التورط. إنه يهتم أكثر في عمله. وأنا أهتم أكثر بكم. لا داعي أبداً للقلق ميغان"، قالت بصرامة.

"أراهن أنه سيقبلك في المرة المقبلة"، قال بيتر مع نظرة سرور.

"لن تفوز بالرهان"، قالت له. "بالإضافة إلى ذلك، من قال لك إنه ستكون هناك مرة مقبلة؟ لقد سئم ربما ولن يتصل بي".

"أشك في ذلك"، قالت ميغان بتجهم. شعرت أن كارثة على وشك أن

تضربهم، وتتمثل في بيل وبستر.

"شكراً على الثقة، ميغان. لن أبدد وقتي في القلق على ذلك. بالإضافة إلى ذلك، لديّ محاكمة في الأسبوع المقبل، وعليّ العمل عليها".

"جيد. يمكنك البقاء في المنزل معنا. لست بحاجة إلى رجل، أمي".

"طالما أنتم معي، أليس كذلك ميغان؟". لكن عليها الاعتراف بأن الخروج مع بيل كان لطيفاً، وكذلك التحدث عن أمور ناضجة والتعرف إليه. هناك إعجاب متبادل ومخفي بينهما. لا يريدان أي شيء من بعضهما البعض. إنهما معجبان ببعضهما بعضاً، وقضيا وقتاً جيداً. وحتى لو لم تسمع عنه أبداً مجدداً، قالت ليز لنفسها، كان من الجيد الخروج معه، والإحساس بأنها امرأة وليس فقط أماً. من الجميل التواجد مع شخص يريدها أن تقضي وقتاً جيداً، وهو مهتم في التحدث والإصغاء إليها.

أرسلت ميغان وبيتر إلى السرير حينها، وذهبت إلى سريرها. كان جايمي في سريرها ينتظرها. ما زال ينام معها أحياناً، وكان من الجيد وجوده في السرير معها. حين استلقت بالقرب من ولدها، تساءلت ما إذا كانت ميغان محقة وما إذا كانت لا تحتاج إلى رجل. لكنها لم تكن مقتنعة جداً. لقد مضت تسعة أشهر تقريباً على استلقائها قرب جاك وممارستها الحب معه. بدا ذلك مثل دهر بالنسبة إليها الآن، ولا تملك في الوقت الحاضر على الأقل أية رغبة في تغيير ذلك. فبرأيها، لقد انتهى هذا الجزء من حياتها إلى الأبد.

وحين خلد إلى النوم تلك الليلة، كان بيل وبستر يفكر فيها وكم كانت ممتعة. لم يكن واثقاً من نتيجة ذلك، لكن لا شك في أنه معجب بها.

الفصل التاسع

اتصل بيل بها مجدداً في وقت لاحق من الأسبوع ودعاها إلى المسرح هذه المرة. ذهبا إلى المدينة، وتناولا العشاء هناك، وبعدئذ شرب كوب كولا، وتحدثا قليلاً عن المسرح والكتب، وأخبرته عن قضية صعبة تعمل عليها، تتضمن مسألة وصاية وطفلة تشك في أنها تتعرض لسوء المعاملة. أحالت الأهل إلى خدمات حماية الطفل، واكتشف هؤلاء أنها محقة. شكل ذلك معضلة أخلاقية بالنسبة إليها، وتمنت لو أنها تستطيع الدفاع عن الطفلة بدل الأهل.

"لماذا لا تستطيعين؟" سألها ببساطة. بدا الأمر بسيطاً جداً بالنسبة إليه، لكنه ليس كذلك بالنسبة إليها.

"الأمر أكثر تعقيداً من هذا. يجب أن يتم تعييني من قبل المحكمة لتمثيل الطفلة، وهذا لم يحصل. أنا أعتبر غير موضوعية لأني أمثل الوالد. وهم على حق. ستكون مصالحي متضاربة إذا مثلت الطفلة، رغم أني أفضل تمثيلها أكثر من والدها".

"واجهت مثل هذه القضية حيث جاءت فتاة إلى غرفة العناية الفائقة وقالوا إنها تعرضت للضرب على يد أحد الجيران. أرادوا رفع دعوى ضده وأخبروا قصة مقنعة جداً. شعرت بغضب كبير. لكن تبين أن الوالد هو الذي ضرب الطفلة، وكان قد أذى دماغها حين وصلت إليّ. لم يعد بوسعنا فعل الكثير. أبعدوا الفتاة عن أهلها، بعد خروجها من المستشفى، لكنها توسلت القاضي لكي تعود إليهم. خشيت أن يقتلها والدها. تم وضعها في الرعاية البديلة لبضعة أشهر، ثم عادت الفتاة إلى أهلها".

"وماذا حدث بعدها؟". لقد أثار انتباهها.

"لا أعرف. فقدت أثرهم، وبدا هذا سيئاً جداً. عملي فوري جداً ودقيق جداً، بحيث أفقد الناس ما إن يصبحوا بخير. هذه طبيعة العمل في الطوارئ والعناية الفائقة. تبذلين ما بوسعك في اللحظة الفورية، ثم يختفون من حياتك".

"ألا تفتقد العلاقة الطويلة الأمد مع مرضاك؟".

"ليس تماماً. أظن أن هذا جزء من سبب حبي للمهنة. لست مضطراً إلى القلق بشأن حل مشاكل ليست من اختصاصي أو لا يمكن حلها. الأمر أكثر بساطة بهذه الطريقة". إنه بوضوح شخص لا يريد العلاقات الطويلة الأمد من أي نوع. لكنها أعجبت به على رغم ذلك. وبين الحين والآخر، حين قال أشياء مثل هذه، شعرت بالأسف عليه. فحياته وفلسفته تتناقضان تماماً مع حياتها وفلسفتها. كان كل شيء في حياتها طويل الأمد وعميقاً. وكان هناك زبائن يبقون على اتصال معها لسنوات بعد طلاقهم. إنه مجرد اختلاف في الأسلوب، ولا شك في أنها وبيل وبستر مختلفان جداً. لكن كان واضحاً أيضاً أنهما معجبان ببعضهما بعضاً.

كان الوقت متأخراً مجدداً حين غادر تلك الليلة. جلس وتحدث إليها حتى الواحدة فجراً تقريباً، وشعر بالأسف حين غادر لأنه لا يستطيع البقاء أكثر للتحدث إليها. ولكن توجب عليهما النهوض باكراً في اليوم التالي. كان عليها الذهاب إلى المحكمة، وهو لديه خدمة في قسم الصدمات في السابعة صباحاً.

كشف بيتر عن نظرة ماكرة حين سألها عند الفطور في اليوم التالي ما إذا كسب رهانه.

"لا، لقد خسرت هذه المرة"، ابتسمت وضحكت.

"تقصدين أنه لم يقبلك، أمي؟" بدا بيتر خائباً وكشفت ميغان عن وجه غاضب.

"أنت مقرف"، قالت لـــه باتهام. "إلى جانب من أنت؟".

"إلى جانب أمي"، قال بوضوح، ثم التفت مجدداً إلى أمه. "هل ستقولين

الحقيقة إذا فعل، أو ستكذبين لمجرد كسب الرهان؟". كان يحب مضايقتها، وضحكت هي فيما أعدّت الكعك المقلي.

"بيتر! يا لهذه الوقاحة. لدي كرامة أكثر من الكذب للفوز برهان". أعطته طبق الكعك المقلي وسكبت القطر فوقه.

"أظن أنك تكذبين، أمي"، اتهمها بيتر.

"لا أكذب. قلت لك. نحن مجرد صديقين، وانا أحب هذا".

"دعي الأمر بهذه الطريقة، أمي"، أضافت راشيل. رأي من مصدر آخر. نظرت ليز إلى ابنتها الصغرى باهتمام.

"متى أصبحت مهتمة في ذلك؟".

"يقول بيتر إنه معجب بك، وتقول ميغ إنك ستتزوجينه". يمكن القول نوعاً ما إنها متكلفة نسبة إلى فتاة في الحادية عشرة من عمرها. سوف تصبح في الثانية عشرة، ولكن ليس بعد. فقد أصبحت في الحادية عشرة حين توفي والدها، وتماماً مثلهم جميعاً، نضجت كثيراً خلال العام الماضي، مثلما فعلت أمهم.

"دعوني أطمئنكم جميعاً"، قالت بابتسامة عريضة، فيما أنهوا فطورهم. "مجرد عشاءين لا يشكلان ارتباطاً".

"ما زال الوقت مبكراً حتى تخرجي"، أضافت آني، وهي تنظر إليها بصرامة.

"ومتى تظنين أن الوقت يصبح ملائماً؟" سألت أمها باهتمام.

"أبداً"، أجابت ميغان نيابة عن شقيقتها الصغرى.

"مجانين"، قال بيتر فيما نهض عن مائدة الفطور. "تستطيع أمي أن تفعل ما تشاء. وسوف يرى أبي أن هذا جيد. لكان والدي يخرج الآن مع امرأة أخرى لو حصل الحادث مع أمي"، وأدركت فيما أصغت إلى ذلك أن الأمر كاد أن يحصل فعلاً. رأت أن تعليق بيتر مثير فيما توجهت إلى العمل. هل كان

جاك ليواعد امرأة أخرى لو ماتت هي؟ لم تفكر أبداً في ذلك، لكنها شكت في أنه قد يفعل. لديه موقف سليم تجاه الحياة، والكثير من حب الحياة ليدفن نفسه في خزانة ويندبها. بيتر محق. كان جاك يواعد امرأة أخرى ربما. جعلها ذلك تشعر بتحسن بشأن رؤية بيل وبستر.

اتصل بها في المكتب ذلك اليوم، وسألها الخروج معه مجدداً إلى السينما في نهاية الأسبوع التالية. بدا أنهما يلتقيان كثيراً فجأة، ولم تمانع هي. إنها تستمتع بصحبته.

وهذه المرة، حين جاء لاصطحابها إلى الخارج، سمح لـــه جايمي بالدخول وأطلعه على آخر المستجدات.

"تظن شقيقاتي أنه لا يجدر بك اصطحاب أمي إلى الخارج. لكن بيتر يرى أن هذا جيد، وأنا كذلك. الصبيان يحبانك والفتيات لا". لخص لـــه الموضوع بطريقة لطيفة، وضحك بيل بصوت عالٍ وذكر لها الأمر في طريقهما إلى مطعم فرنسي صغير في سوساليتو.

"هل ينزعجن فعلاً لأننا نتواعد؟" سألها باهتمام.

"هل نحن كذلك؟"، سألت ليز بسهولة. "ظننت أننا مجرد صديقين".

"هل هذا ما تريدينه ليز؟"، سألها بلطافة. وصلا إلى المطعم حينها، وركن السيارة في المرأب والتفت للنظر إليها. كان قلقاً لسماع جوابها على السؤال.

"لست أكيدة مما أريده"، قالت بصدق. "أمضي وقتاً جيداً معك. وما يحصل لطيفاً". هذا هو شعوره أيضاً، لكنه بدأ يشعر حيالها بأكثر مما توقع. في البداية، كان يرضى بأن يكون صديقها، لكنه لم يعد الآن واثقاً. بدأ يفكر في أنه يريد المزيد منها. لكنهما لم يلحا على الموضوع أكثر، فيما دخلا إلى المطعم وبقيا بعيداً عن المواضيع الثقيلة لبقية السهرة.

لكن هذه المرة، حين اصطحبها إلى المنزل، ربح بيتر الرهان، إذا كان

لا يزال قائماً. فقبل أن يرافقها بيل إلى المنزل، شدها برفق بين ذراعيه، وقبلها مع نظرة رقيقة في عينيه. بدت مذهولة قليلاً في البداية، ثم استرخت بين ذراعيه، وقبلته، لكنها بدت حزينة بعد ذلك وشعر هو بالقلق.

"هل أنت بخير ليز؟"، همس لها.

"أظن ذلك"، قالت بنعومة. فلجزء من الثانية، جعلتها القبلة تتذكر جاك، وشعرت كأنها تخدعه نوعاً ما. إنها لا تتوق لرجل، ولا تبحث عن واحد، لكن بيل وبستر دخل إلى حياتها، وعليها الآن التأقلم مع مشاعرها حياله وحيال زوجها الميت. "لم أتوقع ذلك"، قالت وهي تنظر إليه وأومأ هو برأسه.

"ولا أنا أيضاً. لكن حدث ذلك. أنت امرأة مذهلة".

"لا، لست كذلك"، ابتسمت لـــه فيما وقفا خارجاً. من الجميل التواجد في الخارج في الهواء الطلق، وليس على مسمع من أولادها. كانت ستشعر بعدم الارتياح إذا أدركوا ما حصل. وكما لو أنهما أرادا تعزيز ما شعرا به تلك الليلة، قبلها مجدداً، وأعادت لـــه القبلة هذه المرة بحرارة أكبر. كان نفسها منقطعاً حين توقفا وقلقة قليلاً.

"ماذا نفعل؟"، سألت فيما وقفا تحت نجوم ليلة سبتمبر (أيلول) وابتسم لها.

"أظن أننا نقبل بعضنا"، قال ببساطة. لكن الأمر أكثر من ذلك. ليس مجرد فضول تافه، أو توق جسمين وحيدين، وإنما هو الانجذاب الواضح الذي يحصل أحياناً بين رجل وامرأة، التقاء العقلين وكذلك الشفتين. كان هناك العديد من الأشياء التي يحبانها في بعضهما بعضاً، على رغم موافقتهما بأنهما مختلفان جداً. إنه أحب العلاقات العابرة من كل الأنواع، فيما كل شيء في حياتها مرتكز على الاستمرارية، الزواج، الأولاد، المهنة، وحتى موظفتيها تعملان لديها منذ أعوام. ما من شيء مؤقت في حياتها، وعرف ذلك عنها. كان تحدياً بالنسبة إليه أن يكون مختلفاً. لكنه ليس واثقاً الآن ما إذا أراد أن يكون مؤقتاً في حياتها. إنها تجربة جديدة بالنسبة إليه، لكنها ليست المرأة التي

ينجذب إليها عادة. "دعينا نتمهل في ذلك"، قال لها، "وعدم التفكير في الأمر كثيراً. فلنرَ ماذا سيحصل". أومأت برأسها، غير واثقة مما تقوله له، أو ما إذا كان يجب أن يحصل شيء آخر.

لكن حين دخلت إلى المنزل مجدداً، ورحل هو، شعرت بالذنب على ما فعلته. شعرت كأنها خانت زوجها. لكنه رحل، قالت لنفسها، ولن يعود أبداً. لكن لمَ الشعور إذاً بهذه الغرابة عند تقبيل بيل، وهذا الذنب، وفي الوقت نفسه، هذه الإثارة؟ شعرت بالعصبية حين فكرت في الأمر، واستلقت مستيقظة لوقت طويل تلك الليلة، تفكر فيه وفي جاك، وتتساءل عما تفعله.

في صباح اليوم التالي، حين استيقظت، وهي متعبة من ليلة طويلة خالية من النوم، قالت لنفسها إنه عليهما العودة إلى صداقتهما السهلة، من دون إضافة التعقيدات إليها. شعرت بالتحسن حين قررت ذلك، إلى أن اتصل بها في العاشرة صباحاً.

"كنت أفكر فيك، وفكرت في أن أتصل لأرى كيف حالك"، قال بلطافة.

"أنا آسفة بشأن الليلة الماضية"، قالت ببساطة.

"أنت آسفة على ماذا؟"، سأل وهو يبدو هادئاً على نحو غريب وسعيداً قليلاً. "من المؤسف فقط أننا لم نقبل بعضنا مجدداً. كان هذا رائعاً، بالنسبة إليّ".

"هذا ما كنت أخشاه، بيل... أنا غير مستعدة...".

"أفهمك. ما من أحد مستعجل. ليس هذا سباقاً. ليس علينا "الوصول" إلى أي مكان. نحن هنا لبعضنا البعض". كانت هذه طريقة لطيفة لشرح الأمر، وشعرت بالامتنان لأنه لم يلح عليها. جعلها تشعر بالسخافة لأنها قلقت.

"ما رأيك في أن آتي وأحضر العشاء لك وللأولاد يوم السبت؟ لدي إجازة ليلية، وأنا طاهٍ ماهر. ما رأيك؟" عرفت أنه يجدر بها رفض ذلك، لكنها تفاجأت حين وجدت أنها لا تريد ذلك. وأي ضرر قد ينجم إذا سمحت لـه

بالطهو لهم؟

"حسناً. سأساعدك".

"سوف أحضر اللوازم. هل من شيء خاص يحبه الأولاد؟".

"إنهم يأكلون أي شيء. الدجاج، السمك، اللحم، البيتزا، المعكرونة. ذوقهم سهل".

"سوف أفكر في شيء".

"سيكون جايمي متحمساً". وسوف تكره الفتيات ذلك، لكنها لم تقل هذا. إنها فرصة جيدة لتشجيعهنّ على الاعتياد عليه. يمكن أن يلاحظن كم هو لطيف، أو هل هو كذلك؟ هل الفتيات محقات في القول إن الوضع خطير؟ تكره التفكير في ذلك. أرادت أن تكون صديقته، وأحبت تقبليه. لكن هل يفترض أن يكون أكثر من ذلك؟ لم ترَ أي سبب لذلك. يستطيعان ربما الاستمرار في التقبيل. لن تدع الأمور حتماً تتعدى ذلك، من أجلها هي وليس من أجل أولادها.

وصل في السادسة من مساء السبت، كما وعد، مع ثلاثة أكياس من اللوازم. قال إنه سيعدّ لهم الدجاج الغربي المقلي، والفوشار، والبطاطا المشوية. كما أحضر معه بعض ألواح البوظة. وفيما جال في مطبخها، لم يسمح لها بمساعدته.

"استرخي أنت"، قال لها. أعطاها كوباً من العصير، وصب واحداً لنفسه، وباشر في إعداد عشاء ممتاز لهم. حتى الفتيات تفاجأن وسررن عند الأكل، رغم أن ميغان بقيت ترفض التحدث إليه. لكن جايمي ثرثر معه خلال الوجبة، وكذلك فعل بيتر، وانضمت في النهاية راشيل وآني إلى المحادثة. تحدثوا عن المدارس، والكليات بالنسبة إلى بيتر. لقد حدد موعداً للقيام بجولته على الكليات مع ليز، في بداية شهر أكتوبر (تشرين الأول)، وأعطاه بيل النصائح الممكنة. فعلى رغم اعتباره بيركلي ممتعة، شعر أن ستانفورد وUCLA يشكلان خيارين

أفضل بالنسبة إليه، لمجموعة منوعة من الأسباب. وكانوا ما زالوا يناقشون الموضوع في نهاية الوجبة حين قام كل من راشيل وآني وجايمي وليز بتنظيف الطاولة. كان بيتر منهمكاً تماماً في المحادثة مع بيل، وصعدت ميغان إلى الطابق الأعلى من دون شكره على العشاء، فغضبت ليز عليها. لكن بعدئذ طلب بيل من ليز ألا تضغط عليها.

"سوف تعتاد عليّ. امنحيها الوقت. لا داعي للعجلة". استمر في قول أشياء كهذه، الأمر الذي جعل ليز عصبية قليلاً. لماذا يجدر بهما إعطاءها الوقت؟ لا شك في أنه لن ينتظر طويلاً لذلك. لكنه لم يكن يلمّح إلى هذا.

قبّلها مجدداً تلك الليلة، بعدما ذهب كل الأولاد إلى السرير، وشعرت بالعصبية لتقبيله في منزلها. أصبح الأمر حميماً جداً، ومألوفاً قليلاً. وكان لطيفاً جداً مع أولادها. لقد توافرت كل أسس العلاقة الرومنسية الحقيقية. فقد رحل جاك منذ تسعة أشهر، وبدأت تشعر كأنها تسير في حقل ألغام قد ينفجر في أي وقت. كانت ميغان مستعدة للهجوم، والفتاتان الأخرتان غير واثقتين. والأهم من كل شيء أنه توجب على ليز مواجهة عواطفها هي، ومخاوفها بشأن بيل، وميله إلى الارتباطات المؤقتة، باعترافه هو، وإحساسها بالوفاء تجاه جاك، الأمر الذي فرض الكثير من التحديات على مشاعرها تجاه بيل وبيتر.

شعرت على هذا النحو طوال شهريّ سبتمبر (أيلول) وأكتوبر (تشرين الأول). وشعرت بالارتياح حين غادرت في عطلة نهاية أسبوع للقيام بجولة على الجامعات مع بيتر. لكن على رغم ذلك، كان بيل يتصل كل يوم، حتى أنه اتصل بها في الفندق في لوس أنجلس حيث كانت تقيم. تفاجأت لسماع صوته، لكنها كانت تبتسم حين أقفلت السماعة، ولم يعلّق بيتر هذه المرة. لم يشأ قول أي شيء يفسد التوازن الدقيق في علاقتهما الرومنسية، لأنه أحبه وأراد أن تنجح العلاقة بينهما. وعرف من الأشياء القليلة التي قالتها كيف كانت تشعر أمه بالتناقض.

حين عادا، انتظرت بضعة أيام قبل أن ترى بيل، ثم تناولت معه وجبة

همبرغر سريعة في الكافيتريا ليلة كان بيل في الخدمة في المستشفى. لكن بيل كان تواقاً إلى رؤيتها. تعرفت إليها كل الممرضات، وجاء بعضهنّ للقول مرحبا، مثلما فعل الطبيب المناوب، وطلب منها الجميع إبلاغ التحيات إلى بيتر.

"الجميع يحبك، ليز". تركت انطباعاً إيجابياً لدى الجميع بسبب تفانيها أمام بيتر. فالأهل ليسوا كلهم منتبهين مثلها هي، لا بل إن القليل منهم هم كذلك. وكانت تنتبه إلى بيل أيضاً، وتطرح عليه دوماً أسئلة حول عمله، وتقلق عليه وعلى التحديات والضغوط التي يواجهها يومياً. وحين يكون معها، يدرك دوماً كم تهتم به. لكنها كانت ترفض الاعتراف بذلك لنفسها. فما زال الأمر ينطوي على مضاعفات كثيرة.

لم تكن صدفة حين وقفت في الأسبوع التالي، صباح يوم سبت بعدما عادا من لوس أنجلس، أمام خزانة جاك ونظرت بهدوء إلى السترات التي لا تزال معلقة هناك. بدت عديمة الحياة الآن، وحزينة، وشعرت بالاكتئاب عند رؤيتها. لم تعد تحملها إلى صدرها، او تربت عليها، مثلما كانت تفعل قبلاً، أو تحاول تخيله وهي تتشبث بها. لقد مضت أشهر عدة منذ ان حملت ستراته على وجهها لشمها. وحين نظرت إليها الآن، عرفت ما يجدر بها فعله، من أجلها هي. لا علاقة لذلك ببيل، قالت لنفسها. لقد مضت عشرة أشهر على موت جاك، وأصبحت مستعدة. أخذت السترات الواحدة تلو الأخرى من الخزانة، وطوتها في كومة مرتبة. كانت تريد تقديمها لبيتر، لكنه طويل جداً وصغير جداً لارتدائها، وكان يستحسن التخلص منها بدل رؤية شخص آخر يرتديها.

احتاجت إلى ساعتين لإفراغ الأدراج والخزانة، حين دخلت ميغان إلى غرفتها وشاهدت ما تفعله. بدأت ميغان تبكي، وشعرت ليز لبرهة أنها قتلته. وقفت ميغان هناك تحدق في كومات ثيابه المرتبة على الأرض وبكت بقوة، وفيما نظرت إليها ليز، بدأت تبكي على أولادها، وعليه، وعلى نفسها. لكن مهما فعلت الآن، لقد خسروه إلى الأبد. لن يعود أبداً، ولا يحتاج إلى الثياب

بعد الآن. من الأفضل التخلص من أشيائه، قالت لنفسها، لكن حين رأت حزن ميغان على ذلك، تساءلت ما إذا كانت محقة.

"لماذا تفعلين ذلك الآن؟ إنه بسببه، أليس كذلك؟" عرفت كلاهما أنها تقصد بيل، وهزت ليز رأسها، فيما وقفتا أمام الخزانة تبكيان.

"لقد حان الوقت، ميغ... عليّ فعل ذلك... يؤلمني كثيراً أن أراها هنا"، قالت ليز فيما بكت وتمددت صوب ابنتها، لكن ميغان ابتعدت وركضت إلى غرفتها، وأغلقت الباب بقوة، ولحقتها ليز بعد دقائق قليلة. لكن ميغان لم تشأ التحدث إليها، وعادت ليز إلى غرفتها لوضع ثياب جاك في الصناديق. مرّ بيتر قرب غرفتها وشاهد ما كانت تفعله، فتوقف ونظر إليها، ثم عرض عليها بهدوء المساعدة.

"سوف أفعل ذلك نيابة عنك أمي. لست مضطرة لفعل ذلك".

"أريد هذا"، قالت بحزن. كانت هذه آخر ذكرى تركها خلفه، فضلاً عن جوائزه، وصوره الفوتوغرافية، وبعض المذكرات، وطبعاً أولادهما.

ساعدها بيتر في إخراج كل شيء إلى السيارة، وكما لو أنهم أحسوا أن نقطة التحول جاءت، ظهر الأولاد الواحد تلو الآخر وراقبوها. كانت هناك نظرة خسارة واضحة في عيونهم، وفي النهاية، خرجت ميغان من غرفتها ونظرت إلى أمها. كان واضحاً أن الأمر ليس سهلاً على ليز أيضاً، ثم وبحركة دعم صامتة لها، رفع كل واحد من الأولاد شيئاً، صندوقاً، كيساً، معطفاً، وحمله إلى السيارة. كان هذا آخر وداع لوالدهم. وفي النهاية، جاءت ميغان وهي تحمل آخر صندوق بين يديها.

"أنا آسفة، أمي"، همست عبر دموعها، والتفت ليز وتشبثت بها، شاكرة الله على الرابط بينهما.

"أحبك، ميغ". بكت الأم وابنتها فيما تشبثتا ببعضهما البعض، وكان الآخرون يبكون أيضاً حين امتلأت السيارة.

"أحبك أيضاً أمي"، قالت ميغان بلطف، وجاء الآخرون لمعانقتها.

سوف تأخذ الثياب إلى جمعية خيرية محلية، وعرض بيتر إيصالها.

"أنا بخير. أستطيع فعل ذلك وحدي"، طمأنته. أصبح يضع طوقاً صغيراً حول العنق حينها، وعاود القيادة مجدداً، وأصرّ على إيصالها. إنها منزعجة جداً لقيادة السيارة، وهي عرفت ذلك. خرجا معاً ببطء من طريق المركبات، فيما السيارة مليئة بكومات عالية من أغراض والدهم، وراقبهما الآخرون.

عادا بعد نصف ساعة، وبدت ليز حزينة جداً. وحين عادت إلى غرفتها بعد الظهر، وشاهدت الخزانة فارغة، انفطر قلبها وتذكرت ما كان موجوداً هنا، لكنها شعرت بحرية أكبر. كانت قد احتاجت إلى وقت طويل، لكنها عرفت أنها كانت محقة في الانتظار إلى أن تصبح مستعدة، على رغم النصائح اللامتناهية التي تلقتها بشأن التخلص من ثياب جاك.

جلست في غرفتها لوقت طويل، تحدق خارج النافذة، تفكر فيه. وحين اتصل بيل في وقت متأخر من بعد الظهر، لاحظ من صوتها أن شيئاً ما كان قد حدث.

"هل انت بخير؟". بدا قلقاً.

"نوعاً ما". أخبرته ما فعلته ذلك اليوم، وكم كان الأمر صعباً، وشعر بألم في قلبه حين أصغى إليها. فخلال الشهرين الماضيين، اعتاد على الاهتمام بها كثيراً.

"أنا آسف، ليز". عرف أن هذه إشارة من نوع ما، رمزاً لحقيقة تخليها ببطء عن الماضي والقول آخر وداع لزوجها. سوف يكون دوماً جزءاً منها، وأولادهما هم الإرث الذي تركه، لكنها كانت تفقد قبضتها على حقيقته ووجوده اليومي. "هل أستطيع فعل أي شيء؟".

"لا"، قالت بحزن. عرف كلاهما أن هذا حزن خاص، ولحظة منعزلة.

"أردت سؤالك إذا كنت تودين الخروج الليلة، لكن الفكرة ليست ممتازة

ربما". وافقت معه، وقال إنه سيتصل بها في الصباح. وفي النهاية، اتصل بها في وقت متأخر تلك الليلة، ليرى كيف أصبحت. بدت حزينة، وإنما أفضل قليلاً، وأمضت أمسية هادئة مع أولادها. لقد هدأوا جميعاً بعد حزن الصباح. وبقيت ليز وحدها مع ذكرياتها وإحساسها بالخسارة. وبدا أن الآخرون توصلوا إلى استيعاب ذلك قبلها هي.

حين اتصل في اليوم التالي، بدت أنها عادت إلى طبيعتها مجدداً، وسرّ حين وافقت على رؤيته تلك الليلة. بدت أكثر هدوءاً من المعتاد، وأكثر سيطرة على نفسها. لكن بعدما تحدثا لبرهة، عادت تضحك مجدداً، وبدت معنوياتها أفضل.

قاما بنزهة طويلة وهادئة، وأمسكا بأيدي بعضهما بعضاً، وحين قبّلها هذه المرة، عرفا كلاهما أن الأمر مختلف، أصبحت مستعدة لمواجهة المستقبل، والتخلي عن الماضي، والتقدم إلى الأمام.

"أحبك ليز"، قال فيما أمسكها بالقرب منه وشمت رائحة عطره التي باتت مألوفة الآن. إنه مختلف جداً عن جاك من نواحٍ عدة، وهي تهتم لأجله، لكنها لم تستطع قول الكلمات. ليس بعد. وربما أبداً.

"أعرف"، كان كل ما قالته، ولم يتوقع أكثر منها. كان هذا كافياً الآن بالنسبة إليهما.

الفصل العاشر

بمناسبة حفلة التنكر، عرف كلاهما أن العلاقة جدية. لم يتوصل أي منهما إلى تسوية نهائية، أو يتصور ما تعنيه العلاقة لمستقبلهما، لكن كان واضحاً أن بيل مغرم بها. ورغم أنها لم تعترف لــه بعد، عرفت أنها مغرمة به. إنها معضلة بالنسبة إليها، لأنها لا تعرف ما يجب فعله حيال ذلك أو يجب قوله للأولاد. كانت قد أخبرت فيكتوريا عن الأمر أكثر من مرة، وكانت نصيحتها الوحيدة بالتمهل وترك الأمور تأخذ مجراها، الأمر الذي بدا منطقياً بالنسبة ليز، وهذا ما اعتقدته هي أيضاً. عرفت أنه مع مرور الوقت، سوف يعرفان كلاهما شعورهما حيال بعضهما بعضاً، وما يجب فعله.

جاء بيل إلى المنزل وأخذا راشيل وجايمي للعب. قالت آني وميغان إنهما كبيرتان جداً على ذلك وبقيتا في المنزل لتوزيع الحلوى على الباب مع كارول. كان بيتر في منزل صديقته الجديدة، يوزع الحلوى هناك.

وفي وقت متأخر من تلك الليلة، حين أصبح الأولاد في السرير، نظر إليها بيل بهدوء وسألها ما إذا كانت تقبل الذهاب معه لعطلة نهاية الأسبوع. ترددت لوقت طويل، وخاف فجأة من أن يكون دمّر كل شيء، لكنهما كانا يتواعدان منذ شهرين، وأصبح حبهما أقوى وأقوى. عرف أنه لم يسئ فهم شعورها حياله، وكانت مشاعره هو واضحة، على الأقل بالنسبة إليه. وشعر مجدداً كأنه ولد حين قالت بهدوء إنها ستذهب معه إلى نابا فالي في عطلة نهاية الأسبوع التالية. وافقا على عدم إخبار الأولاد، وقال لها إنه سيتولى أمر الحجوزات. أراد أن يأخذها إلى الأوبرج دو سولاي، لأنه المكان الأكثر رومنسية الذي استطاع التفكير فيه لأول عطلة نهاية أسبوع معها.

مرّ بيل لاصطحابها في وقت متأخر من بعد ظهر يوم الجمعة، علماً أنه كان يعمل منذ الليلة الفائتة، لكنه كان سعيداً ومتحمساً بحيث لم يشعر بالتعب. وأعدت ليز الكثير من الخطط لأولادها في عطلة نهاية الأسبوع لإبقائهم مشغولين. قالت لهم إنها ستذهب إلى صديقة من جامعة الحقوق، وتدبرت الوقت مع بيل لكي يأتي ويصطحبها حين يكون الجميع خارجاً. وحدها كارول عرفت إلى أين كانت ذاهبة فعلاً. وكان بيل مسروراً بتواضعها وتكتمها، لكنه عرف أيضاً أن هذه الطريقة أسهل لهما معاً. لا حاجة إلى إزعاج الأولاد. رغم أن بيتر وجايمي قد يسرّان بذهابهما معاً، فإن الفتيات لن يفعلن ذلك حتماً. لا تزال هناك الكثير من المقاومة بينهنّ نتيجة ما فعلته ميغان. لقد أصبحت لطيفة معه الآن، ولكن ليس أكثر من ذلك، وما من سبب لتأجيج مقاومتها أكثر.

كانت المناظر الطبيعية جميلة طوال الطريق، واكتست أوراق الأشجار بمجموعة من الألوان النحاسية، فيما العشب ما زال أخضر، كما هي الحال دوماً في الشتاء. إنه دمج غريب بين الشرق والغرب، بين ألوان الخريف في نيوإنغلند والأخضر الدائم في كاليفورنيا. ثرثرا طوال الطريق إلى سانت هيلينا. كانت ليز هادئة بين الحين والآخر، ولم يشأ سؤالها عما تفكر فيه. عرف أن وجودها معه هو تعديل مهم بالنسبة إليها، وكانت قد قالت لــه أكثر من مرة إنها تشعر في بعض الأوقات أنها تخون جاك. عرف بطريقة ما أن عطلة نهاية الأسبوع هذه لن تكون سهلة عليها. وفيما تقدما في السيارة، ألقت ليز نظرة سريعة على خاتم الزواج الذي ما زالت تضعه.

وصلا إلى غرفة الفندق قرابة موعد العشاء، وتأثرت ليز حين لاحظت مدى فخامتها. لقد بذل ما بوسعه لتدليلها وجعلها سعيدة. وكادت أن تنقطع أنفاسها عند رؤية منظر الوادي المتمدد إلى ما لا نهاية أمامها. دخلت إلى الحمام لتغيير ثيابها وخرجت في فستان أسود جديد للعشاء.

تناولا العشاء في مطعم الفندق، ثم ذهبا للجلوس أمام الموقد في قاعة الاستقبال، فيما كانت امرأة تغني على البيانو. شعرا كلاهما بالارتياح

والاسترخاء فيما شعرا برغبة في العودة ببطء إلى غرفتهما. أمسكا بأيدي بعضهما بعضاً، وما إن دخلا إلى الغرفة، حتى غمرهما الشغف تجاه بعضهما بعضاً. كانت النار لا تزال تحترق في الموقد، والأضواء خافتة جداً، وأشعل بيل الشموع على طاولة القهوة، فيما جلسا على الأريكة، وذراعاهما متشابكتان، ولكن النار داخلهما كانت أقوى من تلك التي في الموقدة. من الرائع وجودهما هنا وحدهما، ولديهما حرية القيام بما يريدان. وفجأة التقت ألسنة ناريهما مشكّلة حريقاً كبيراً لم ينطفىء إلاّ بعد ساعات.

"أحبك كثيراً ليز...".

"أنا أحبك أيضاً..."، همست له. كانت هذه المرة الأولى التي تقول لــه هذه الكلمات، لكنها صدرت منها هذه المرة بسهولة نسبياً، تماماً مثل الذي سابقاً. ونسيت فجأة كل الحزن والوحدة والخوف، كما لو أنها كانت تلف نفسها في شرنقة ولم تعد الآن بحاجة إلى حمايتها. لم تعد بحاجة إلى حمايته، فلا مكان للاختباء، ولا شيء لإخفائه عنه. استلقيا بعد ذلك راضيين فيما ابتسمت له، على رغم وجود مرارة وحنين في عينيها. وعرف أن الماضي والذكريات ما زالت تدغدغ قلبها. من المستحيل أن تكون الأمور غير ذلك، وهما يعرفان هذا تماماً.

"هل أنت بخير؟" سألها برفق، قلقاً عليها، وآسفاً لأنها لا تزال تبدو حزينة جداً. لكن مهما رأى في عينيها، كانت تبتسم له.

"أنا بخير... أفضل من ذلك... لقد جعلتني سعيدة جداً".

كان هذا صحيحاً، على الأقل في الوقت الحاضر.

لاحظ وجود دموع في عينيها. من الصعب عدم التفكير في جاك في مثل هذه الأوقات، فيما سلمت نفسها لرجل آخر. إنها خطوة أخرى تبعدها عنه، خطوة أجلتها لأطول وقت ممكن، لكنها أرادت الآن القيام بها. كان هذا مثل المشي عبر جسر للانتقال من حياة إلى أخرى. لكنها شعرت بالأمان مع بيل،

وتستطيع إخباره بأي شيء. لن يزعجها او يغضب منها لأنها اعترفت لـــه أن الأمر لم يكن سهلاً عليها.

استلقيا جنباً إلى جنب في السرير لوقت طويل، يتحدثان عن أمور، واعترف لها أنه لم يحب يوماً امرأة مثلما أحبها. استلقت هي بسلام قربه، مستمتعة بوجودها معه، محاولة إجبار نفسها على عدم التفكير في جاك. لكن من الصعب عدم التفكير فيه، وأحس بيل بمشاعرها.

ومع نهاية عطلة الأسبوع، أصبحت تفكر أقل في جاك، وأكثر في بيل وكل ما تتشاركه معه. قاما بنزهات طويلة، وتحدثا عن مجموعة منوعة من الأمور، عن عملهما، وأولادها، وأحلامهما. تجنبا التحدث عن الماضي قدر الإمكان. وفي صباح يوم الأحد، فيما جلسا على الأريكة في غرفتهما، ينظران إلى نابا فالي، انتقل حديثهما ببطء نحو المستقبل.

كان يرتدي كنزة رياضية وسروال جينز، فيما كانت ترتدي هي ثوب استحمام دافئ في صباح نوفمبر (تشرين الثاني) البارد. كان النهار دافئاً، ومن الممتع الجلوس هنا، والاستمتاع بالشمس، وقراءة الصحيفة. ألقت ليز نظرة سريعة عليه وسلمته الصفحة الرياضية فيما كان يبتسم لها.

"لماذا تبدو سعيداً جداً أيها الدكتور وبستر؟". ابتسمت لـــه فيما أخذ الصحيفة منها.

"أنت. هذا". أشّر إلى الوادي. كانت عطلة نهاية الأسبوع بمثابة شهر عسل بالنسبة إليهما، وأصبحت لـــه الآن في بعض النواحي المهمة. بدأ جاك ينسحب ببطء خلفها. ورغم أن جزءاً منها ما زال يريد التشبث به، وسيفعل ذلك على الدوام، عرفت انه عليها المضي قدماً. وكان بيل شريكاً رائعاً لها.
"ماذا سنفعل في علاقتنا؟" سألها برفق.

"ماذا يعني ذلك؟" بدت قلقة فجأة فيما قال ذلك. إنها الكلمات التي ليست مستعدة بعد لسماعها، وهو عرف ذلك لكنه لم يستطع كبت نفسه. فالأمر يجول في باله منذ أن بدأ يواعدها. "ليس علينا فعل أي شيء"، قالت وهي تبدو

عصبية.

"لكن من الجميل لو نفعل. هل لا يزال الوقت مبكراً للتحدث عن ذلك، كانت النار داخلهما لا تزال متأججة، وقد التقت في عدة حرائق في اليوم الفائت، ومساءً أمام الموقد، وأيضاً هذا الصباح. إنهما ينسجمان بطريقة مذهلة مع بعضهما بعضاً، ويصعب التصديق أنهما لم يتواعدا أبداً قبل نهاية هذا الأسبوع. بدا كل شيء فيهما منسجماً ومتناغماً، وهذا هو تماماً ما أراداه واحتاجا إليه. كان يصعب تجاهل ذلك. "لم أظن أبداً أني سأقول هذا لك"، تابع، وهو يشعر فجأة بالشباب والغرابة، لكنه كان مغرماً جداً بها ولا يريد أن يفقدها. "لكني أظن أنه علينا الزواج في النهاية". أصيبت بالصدمة حين قال فعلاً ذلك. لم تتوقعه أبداً أن يقول هذا، لأن هذا بعيد عن شخصيته.

"ظننت أنك لا تؤمن في الزواج". بدت وكأنها تريد سماع الكلمات مجدداً، ولاحظ أنها كانت خائفة مما قاله.

"لم أكن إلى أن التقيت بك. أظن أنه لهذا السبب، تمنيت دوماً في مكان ما في قلبي، أن يتحقق ذلك يوماً، ولا أريد تبديد فرصي مع شخص لا أتفق معه، مثل زوجتي الأولى. كدنا نبيد بعضنا البعض". لكن هذه العلاقة مثالية، على الأقل في نظره. وهي تستطيع تخيل نفسها وهي تعيش معه لوقت طويل، وربما للأبد، لكنها غير مستعدة بعد لقول ذلك. ما زال الوقت باكراً بالنسبة إليها، وما تزال ذكريات جاك حية. لم تمضِ سنة واحدة بعد، رغم أن الوقت أصبح وشيكاً. "لا أريد إفساد أي شيء بالتحدث عن هذا الأمر بهذه السرعة، ليز، لكني أردتك أن تعلمي أن هذا هو الاتجاه الذي أسعى إليه". لم تكن امرأة يسهل خداعها، وهناك أولادها الذين يجب التفكير فيهم. لقد فكر فيهم كثيراً، وعرف أنه يستطيع التوصل إلى حبهم. لقد أصبح يحب جايمي، ولديه رابط قوي مع بيتر. وتصور أن الفتيات سيتفقن معه في النهاية. لم يواجه أبداً مشكلة في الفوز بقلوب النساء والأولاد، حين كان يريد ذلك، وهذه هي الحال هذه المرة.

"لا أعرف ما أقول". لديها صديقات خرجن مع رجال لسنوات طويلة، ولم يأخذوا العلاقة أبداً على محمل الجد أو يقترحوا عليهنّ الزواج. أما هي فقد أمضت أول عطلة نهاية أسبوع معه، وهو يتحدث الآن عن المستقبل. "لقد مضى أحد عشر شهراً على موت جاك. ليس هذا وقتاً طويلاً جداً. أحتاج إلى الوقت للتكيف والوقوف على قدميّ مجدداً، وكذلك هم الأولاد".

"أعرف. لست مستعجلاً. وأنا أعرف كم ذكرى السنة مهمة بالنسبة إليك". كانت تتحدث عن الأمر كثيراً، خصوصاً وأنه حدث مهم تحترمه كثيراً، وكذلك هم أولادها. وعليه احترام الأمر معها". "كنت أتمنى لو نستطيع التطرق إلى الحديث مجدداً في يناير (كانون الثاني)، بعد انتهاء الأعياد، لأعرف كيف هو شعورك. أتمنى لو أنه في عيد العشاق...". انفطر قلبها فيما خفت صوته. كان عيد العشاق يعني كثيراً بالنسبة إليها وإلى جاك. لكن أموراً عديدة حصلت، وقد رحلت الان، باستثناء أولادها.

"إنه بعد ثلاثة أشهر"، قالت بصوت مذعور. لكن اقتراحه عنى أيضاً الكثير بالنسبة إليها.

"يكون مضى ستة أشهر على تعارفنا. إنه وقت سريع، وإنما محترم. هناك العديد من الأشخاص الذين يتعارفون لفترات أقصر ويعيشون الآن زيجات سعيدة". عرفت أن هذا صحيح، لكنها وجاك قد عرفا بعضهما لوقت طويل. ولم تكن مستعدة لما قاله بيل لها. لم تكن معارضة له، لكنها تحتاج إلى الوقت للتفكير في الأمر. نظر إليها حينها، وعبّر بعينيه عن كل ما شعر به حيالها. "سوف أفعل ما تريدينه، ليز. أريدك فقط أن تعلمي كم أحبك".

"انا أحبك أيضاً كثيراً، وأشعر اني محظوظة جداً. هناك بعض الأشخاص غير المحظوظين هكذا. لقد أنعم عليّ الله مرتين، لكني ما زلت بحاجة إلى بعض الوقت لاستيعاب ما حصل".

"أعرف ذلك. لست مستعجلاً. لكني أظن أن ما أريد معرفته هو ما إذا كنت ترغبين في المستقبل نفسه مثلي".

"أظن ذلك"، ابتسمت بخجل، ثم أخذت نفساً عميقاً ودعت عواطفها تسيطر عليها لبرهة. "أحتاج فقط إلى بعض الوقت. دعنا نتحدث عن الأمر بعد العيد القادم". أرادت إحياء ذكرى السنة، من أجل جاك، وأجلها هي، وأجل الأولاد.

"هذا كل ما أردت معرفته"، قال بلطافة، وأخذ يدها عبر الطاولة. "أحبك. لن أذهب إلى أي مكان. لدينا كل الوقت لترتيب ذلك. طالما أن هذا ما نريده معاً، لا داعي للعجلة". كان منطقياً ولطيفاً وحنوناً، ولا يمكنها طلب المزيد من أي رجل، وليست واثقة حتى ما إذا كان جاك متفهماً هكذا. كان قليل الصبر وعنيداً، وغير راغب في الإذعان لرغباتها. وفي أغلب الأحيان، كان جاك هو الذي يحدد سرعتهما واتجاههما. لذا، كانت العلاقة اكثر تبادلاً مع بيل، وهي أحبت ذلك.

عادا ببطء إلى تيبورون بعد الظهر، وكان الأولاد في المنزل حين وصلا. لاحظت أن ميغان رفعت حاجبها حين خرجت من سيارة بيل، لكنها لم تتفوه بأي شيء قبل وقت متأخر من المساء، حين دخل الأولاد الأصغر للنوم وكان بيتر منهمكاً في إعداد فروضه في غرفته.

"لماذا كنت في سيارة بيل؟" واجهتها ميغان أخيراً في غرفة نومها تلك الليلة. "هل أمضيت نهاية الأسبوع معه؟" ترددت ليز لبرهة، ثم أومأت برأسها. إذا كانت ستتزوج به في النهاية، وهذا هو الاتجاه الذي يسيران نحوه على ما يبدو نتيجة ما تحدثا به في نهاية الأسبوع، أرادت أن تكون صادقة مع ابنتها.

"نعم. ذهبنا إلى نابا فالي".

"أمي!"، صرخت ميغان في وجهها. "هذا مقرف".

"لماذا؟ إنه يهتم بي كثيراً، وأنا أهتم به، وما من خطب في ذلك، ميغ. لن نؤذي أحداً. أظن أننا نحب بعضنا بعضاً". لكن الجرعة كانت قوية على ابنتها.

"ماذا عن بابا؟" ظهرت الدموع في عينيها حين قالت ذلك.

"لقد رحل البابا، ميغ. أحببته من كل قلبي، وسأفعل ذلك على الدوام. ليس

الأمر مشابهاً. إنه مختلف، بالنسبة إليّ، وبالنسبة إلينا جميعاً. لكني لا أريد أن أبقى وحيدة لبقية حياتي. لديّ الحق في شخص في حياتي". تحدثت إلى ابنتها بلطف قدر الإمكان، لكنها احتاجت إلى قول ذلك.

"هذا مقرف!"، قالت ميغان، وهي غاضبة على أمها. "لم تمر سنة على وفاة البابا. لم أعرف أبداً أنك عاهرة أمي". كانت عيناها تتقدان غضباً ووقفت ليز غاضبة حين قالت ابنتها ذلك. لم تصفعها أبداً من قبل، ولم تنوِ الشروع في ذلك الآن، لكنها لن تسمح لها بأن تتصرف هكذا.

"لا تتحدثي إليّ بهذه الطريقة. والآن، اذهبي إلى غرفتك حتى تصبحي مهذبة. إذا أردت التحدث عن هذا الأمر معي، يمكنك فعل ذلك، ولكن لا يمكنك التقليل من احترامي".

"لا أملك أي سبب لاحترامك!" قالت ميغان بصوت عالٍ من باب الغرفة، وأغلقت الباب بقوة، وهرعت إلى غرفة بيتر وأخبرته بما حدث. لكن بدل التعاطف معها، وبخها وطلب منها الاعتذار من أمها. "إلى جانب من أنت؟".

"إلى جانبها"، قال بحزم. "لقد فعلت كل شيء لنا، وأحبت البابا تماماً مثلنا نحن. لكنها الآن وحيدة، ولا يوجد أحد لمساعدتها أو الاعتناء بها. إنها تعمل بكدّ من أجلنا ولإبقاء مكتب البابا مفتوحاً. بالإضافة إلى ذلك، بيل رجل لطيف وأنا أحبه. فإذا أردت أنْ تعرفي إلى جانب من أنا أقف، فإني أقف إلى جانبها. لا تطلبي مني التعاطف معك إذا كنت تتصرفين بوقاحة مع أمي، ميغ".

"أنت أحمق"، صرخت في وجهه فيما تلألأت الدموع في عينيها. "بالإضافة إلى ذلك، لديها نحن، ولا تحتاج إلى رجل للنوم معه".

"لا تستطيع النوم مع جايمي لبقية حياتها. ماذا يحدث حين نذهب إلى الجامعة؟ سوف أذهب في السنة المقبلة، وأنت بعد سنتين. ثم ماذا؟ هل يفترض بها أن تجلس هنا وتنتظر عودتـــنا من المدرسة حتى تستعيد الحياة مجدداً؟ ليس لديها حياة من دون البابا، ميغ. أنظري إليها. كل ما تفعله هو العمل

والاهتمام بنا. إنها تستحق أفضل من ذلك، وأنت تعرفين هذا".

"ليس بعد"، قالت ميغان، وهي غاضبة جداً على ما قاله، فيما جلست على سريره وبدأت تبكي. "الوقت مبكر جداً. لست مستعدة". جلس قربها ووضع ذراعيه حولها. لقد كبر كثيراً خلال السنة الماضية، وحتى أكثر بعد تعرضه للحادث، وجميعهم عرف ذلك. "أنا أفتقد بابا"، انتحبت، وهي تبدو مثل جايمي.

"وأنا أيضاً"، قال بيتر وهو يحبس دموعه. فمهما كبر، أو كيفما كان حساساً، ما زال يشتاق إليه. "لكن سواء كان بيل هنا أم لا، لن يغير ذلك شيئاً. لا شيء. علينا القبول بما حصل".

"لا أريد ذلك"، انتحبت، وهي تلطخ قميصه القطني بالماسكارا. "أريده أن يعود". ما من شيء يستطيع قوله لها، ولذلك اكتفى بالإمساك بها حين بكت، وفكرا كلاهما في والدهما.

وأخيراً، تحدث إليها بيتر قليلاً حين هدأت، وذهبت ميغان واعتذرت من أمها. وقفت بغرابة في باب الغرفة، بعدما فتحته منْ دون الطرق عليه.

"لا أحبه، لكني آسفة على ما قلته لك". كان هذا أفضل ما تستطيع قوله، وأخذت أمها الاعتذار بتعبير جاد.

"أنا آسفة لأنك غير سعيدة، ميغ. أعرف أن هذا ليس سهلاً".

"لا تعرفين ما يعني ذلك بالنسبة إلينا. تملكينه الآن"، قالت بنبرة اتهامية، وتنهدت ليز فيما نظرت إليها.

"إن التواجد مع بيل لا يعني أني لا أشتاق إلى بابا. يجعلني ذلك أشتاق إليه أكثر أحياناً. ليس هذا سهلاً على أي منا. وأنا أعرف كم الأمر صعب عليكم جميعاً". لقد أصبحوا أفضل حالاً، وإنما ببطء.

"هل تحبينه فعلاً، ماما؟" لا تزال ميغان مذعورة مما قالته أمها، وتمنت لو أنها لم تسمع الكلمات أبداً.

"أظن ذلك"، قالت ليز بصدق. "أحتاج إلى الوقت للتأكد. إنه رجل لطيف. هذا كل ما أعرفه الآن. ما زال لدي الكثير لتوضيحه بشأن البابا".

"يبدو وكأنك تريدين نسيانه"، قالت ميغان بحزن.

"لا أستطيع أبداً نسيانه، ميغ. مهما فعلت، وأينما ذهبت... أحببته لنصف حياتي وكان لدينا أنتم... لكن الأمور حصلت. ليس هذا عدلاً، لأي منا. لكن علينا الآن الاستفادة من الوضع الحالي، والمضي قدماً، بالطريقة التي أرداها لنا".

"تقولين ذلك لتجعلي نفسك أفضل حالاً".

"لا. أنا أقول ذلك لأني أؤمن به".

هزت ميغان رأسها حينها، وعادت إلى غرفتها. لقد قالت لها أمها الكثير من الأمور الواجب التفكير فيها، ولا تريد حتى مشاركة ذلك مع شقيقتيها. وبعدما غادرت ميغان الغرفة، ذهبت ليز بهدوء إلى علبة المجوهرات التي احتفظت بها في خزانتها، وخلعت خاتم الزواج الذي وضعه جاك في إصبعها، وشعرت كما لو أنها كانت تخلع قلبها فيما فعلت ذلك. لكنها عرفت أن الوقت قد حان. لاحظ بيتر ذلك في صباح اليوم التالي، لكنه لم يقل أي شيء لأمه أو للآخرين، رغم أنه شعر بالحزن لذلك.

لكن خلال الأسبوعين التاليين، كلما جاء بيل لاصطحاب ليز، كانت ميغان تتصرف باحترام أكبر معه. لم تقل لـــه الكثير، لكنها لم تكن فظة معه أيضاً، وشعرت ليز بالامتنان لذلك. هذا أفضل ما تستطيع تمنيه في الوقت الحاضر، أما جايمي وبيتر فكانا لا يزالان المفضلين لديه بين الأولاد.

كانت ليز تمضي الكثير من الوقت مع بيل، وذهبا إلى شقته ومارسا الحب حين أتيح لـــه بعض الوقت وكان في إجازة من العمل. أمضيا الوقت أحياناً معاً حين كان في دوام العمل، بحيث اضطر إلى القفز عن السرير للإجابة على الهاتف، لكن ليز لم تعارض أبداً. إنها تحترم عمله كثيراً، أكثر

مما تحترم عملها هذه الأيام. كانت قد أخبرته أكثر من مرة أن ممارستها للقانون العائلي يسبب لها الاكتئاب. يبدو أنها لم تعد تستمتع بما كانت تقوم به. كان الأمر ممتعاً مع جاك، لكنه لم يعد كذلك الآن. بدا تافهاً وعديم الجدوى. والشيء الوحيد الذي أحبته هذه الأيام هو توفير ترتيبات جيدة لرعاية أولاد الأشخاص.

"أنا أخسر حماسي ربما"، قالت لـــه ذات يوم حين التقيا في كافيتريا المستشفى لتناول سندويش. كانت للتو في المحكمة وغضبت على أحد زبائنها الذي تصرف مثل الوحش مع زوجته في المحكمة أمام القاضي. حاولت التخلي عن القضية، لكنها لم تفعل. "لم أعد أستمتع حتى بالذهاب إلى المحكمة".

"أنت تحتاجين ربما إلى الراحة". أخذت إجازة لمدة أسبوعين فقط خلال العام الماضي، وعملت في عطلات نهاية الأسبوع وفي الليالي، وهي تتولى عبئاً مزدوجاً.

"يجدر بي الذهاب ربما إلى مدرسة التجميل والحصول على وظيفة في مؤسسة تجارية. قد يكون هذا أكثر فائدة".

"لا تكوني قاسية جداً على نفسك"، ابتسم لها، لكنها بقيت غير سعيدة.

"أحب جاك العمل في القانون العائلي، وكان مولعاً به أكثر مني أنا. كنت أجيده فقط بسبب العمل معه. لكني لا أعرف الآن..." كانت واحدة من أفضل محامي الطلاق في المنطقة، ويصعب التصديق أنها لا تحب مهنتها. لكان زبائنها أصيبوا بالذهول لو سمعوا ما قالته. كانت دائماً مليئة بالطاقة، والأفكار المبدعة، والاقتراحات البناءة. لكنها شعرت في الآونة الأخيرة أن طاقتها قد نفدت. لم تعد تستمتع بالمهنة أبداً، وهي غير سعيدة. لكنها شعرت أنها تدين بذلك لجاك.

سألت بيل عما سيفعله يوم العيد. تحدثا عن الأمر قبلاً، ولم يكن واثقاً ما إذا كان لديه عمل. لكنه وجد للتو أن لديه إجازة ذلك اليوم ولن يكون في الخدمة. كان يستطيع فعل ما يريد، لكنه لم يخطط لأي شيء لأنه كان يتوقع

العمل خلال العطلة.

"لماذا لا تمضي العيد معنا؟"، قالت ليز بسهولة. لقد اعتاد الأولاد عليه، وقد تكون هذه طريقة جيدة للم شمل الجميع خلال العيد. إنهم يحبون العيد، أو على الأقل كانوا يفعلون ذلك، حين كان والدهم حياً. وعرفت ليز أن الأمر سيكون مختلفاً هذه السنة، بالنسبة إليهم جميعاً وإليها أيضاً. وفي محاولة لتخفيف التوتر السائد، أقنعت أمهما بعدم المجيء.

لكنها لم تكن مستعدة لردة فعل الأولاد حين أخبرتهم أن بيل سينضم إليهم. انفجرت ميغان غضباً، مثلما كان متوقعاً، فيما قالت راشيل وآني إنه ليس جزءاً من العائلة ولا ينتمي إلى هنا. حتى جايمي بدا مذهولاً قليلاً. تحدثت إلى بيتر بشأن الطلب من بيل ألا يأتي، لكنه رأى أن هذا تصرف حقير، وظن في النهاية أن حضوره سيكون لطيفاً. وفي النهاية، لم تخبر بيل أي شيء عن ردة فعلهم. أملت فقط في أن يهدأوا وتكون معنوياتهم جيدة يوم الحفلة. لكنها أدركت يوم العيد أن تفاؤلها لم يكن مرتكزاً على أسس سليمة. فحين رن جرس الباب ووصل، كانت لا تزال الفتيات الثلاث غاضبات جداً عليها.

دخل بيل وهو يرتدي سترة تويد، وسروالاً رمادياً وربطة عنق حمراء، فيما ارتدت ليز بذلة من المخمل البني. ارتدى الأولاد جميعاً ثياباً مرتبة، وكان بيتر يرتدي البذلة نفسها التي ارتداها يوم دفن والده، فيما ارتدى جايمي السروال الرمادي والسترة الرسمية. كانوا مجموعة أنيقة، وفيما سكبت ليز كوباً من العصير المفضّل لبيل، شعرت فجأة بالسرور لانضمامه إليهم. أدركت فجأة كم ستكون المائدة فارغة بالنسبة إليهم جميعاً من دون والدهم. ولكان تحول الأمر إلى ذكرى مؤلمة أخرى بشأنه، فيما توجب عليهم بهذه الطريقة التحدث إلى بيل وإلى بعضهم البعض.

جلسوا أمام المائدة في الساعة الخامسة، مثلما يفعلون دوماً، وصلت ليز فيما أحنوا رؤوسهم. شكرت الله على النعم العديدة التي يتشاركونها، والأشخاص الموجودين أمام المائدة، والأشخاص الغائبين، ولا سيما جاك. كان

هناك صمت طويل بعدما قالت ذلك، ونظرت ميغان تحديداً إلى بيل وبستر. ثم توجهت إلى المطبخ مع بيتر لإحضار الديك الرومي.

كان بيتر جالساً على رأس المائدة، مما ذكّر الجميع مجدداً بأن الأمور أصبحت مختلفة، كما أن الوجه الجديد الجالس قرب ليز عزز هذه الحقيقة أكثر فأكثر.

كان الديك الرومي مذهلاً، وقد حضرته ليز بطريقة ممتازة. ذهبت كارول في إجازة خلال نهاية الأسبوع، وقد ساعدتها الفتيات في إعداد الحشوة، علماً أن راشيل خصوصاً أحبت الطهو كثيراً. وقد ساعدهنّ جايمي. لكن حين حاول بيتر تقطيع اللحم إلى شرائح، أثبت أنه غير ماهر البتة، ولم تكن ليز يوماً ماهرة في تقطيع الشرائح. توجه بيل إلى رأس المائدة مع ابتسامة.

"دعني أساعدك بنيّ"، قال بطريقة ودودة. أحب المشهد العائلي حول المائدة. لقد مضت أعوام طويلة لم يحتفل بالعيد. فهو كان يعمل على الدوام. لكن الكلمات التي اختارها اخترقت قلب ميغان مثل السيف، وتحدثت بصوت خافت وإنما كافٍ ليسمعها بيل.

"إنه ليس ابنك"، قالت بصوت محموم. بدا بيل متفاجئاً وألقى نظرة سريعة على ليز ثم التفت إلى ميغان.

"أنا آسف، ميغان. لم أقصد إهانة أحد". حدث صمت طويل بعدها فيما قطّع الديك الرومي إلى شرائح، وقد أجاد فعل ذلك. وفيما سلّمت ليز الأطباق للجميع، راحت تثرثر قليلاً للتعويض عن الموقف الحرج. لكن حين جلس بيل مجدداً، كان الجميع قد هدأ.

كانت المائدة أكثر هدوءاً من عادتها هذه السنة. إنه أول عيد لهم من دون والدهم، وكان الجميع مدركاً لحزن العيد الآتي.

سألهم بيل ما إذا كانوا قد أنجزوا التسوق للعيد، وبدا الجميع حزيناً عند سماع السؤال. ليسوا مجموعة تسهل تسليتها، لكن جايمي جعلهم يضحكون أخيراً على شيء قاله، وابتسمت آني وذكّرتهم بالسنة التي أوقع فيها والدهم

الديك الرومي على الأرض بينما كان يقطعه إلى شرائح، ولم يخبر أحد الماما آنذاك. لم تعرف أبداً أن الديك الرومي انبطح على الأرض قبل أن تقدمه.

ضحك بيل معهم، وصبّت لـــه ليز كوباً آخر من العصير المفضّل. وحين أخذوا الأطباق إلى المطبخ وأحضروا الفطائر، قالت راشيل بصوت عال إنه أفرط في تناول الطعام، وسمعها بيل.

"لا بأس راشيل. ليس لدي خدمة اليوم"، قال بابتسامة دافئة، لكنها لم تجب، وتابع هو الحديث مع جايمي. لا شك في أن بيل ليس منذهلاً. كان يتحدث مع جايمي عن كرة القدم.

"كان أبي يكره كرة القدم"، أضافت ميغان إهانة أخرى. كانت تهينه، وأدرك الجميع ذلك.

"أنا آسف لسماع ذلك، ميغ. إنها رياضة رائعة. كنت ألعبها في الجامعة".

"قال أبي إن الأغبياء والمغفلين يلعبون كرة القدم"، أضافت حينها، وهي تتجاوز الحدود، فأسرعت أمها إلى توقيفها.

"ميغان، هذا يكفي!".

"نعم هذا يكفي أمي". رمت محرمتها ووقفت فيما تلألأت الدموع في عينيها. "لماذا يجدر به أن يكون هنا معنا؟ ليس والدنا. إنه صديقك فقط".

بدا بقية الأولاد مذهولين، وكانت ليز ترتجف حين أجابت. "بيل هو صديقنا، واليوم يوم عيد. هذا هو مغزى العيد. انضمام الأصدقاء حول المائدة لشكر الله وضم الأيدي علامة الصداقة".

"هل هذا ما تفعلينه معه؟ ضم الأيدي؟ أراهن أنك تفعلين أكثر من ذلك، وأراهن أن والدي يكرهك على ذلك"، قالت ثم صعدت السلم بسرعة متوجهة إلى غرفتها وأغلقت الباب بسرعة، فيما انحنى بيتر واعتذر عنها. لكن راشيل وآني غادرتا المائدة أيضاً، فيما قطع جايمي لنفسه شريحة من فطيرة التفاح فيما لم يكن أحد ينظر إليه. الفطيرة لذيذة جداً لتفويتها، وما من شخص آخر

يفكر في الأكل.

"الكثير بالنسبة إلى عطلة عائلية"، قال بيل مع نظرة حزينة، فيما نظرت إليه ليز خائبة الأمل. أدركت الآن أنها كانت طموحة جداً في دعوته، وأن انضمامه إلى العائلة لن يكون سهلاً مثلما أمل. في الواقع، أصبحت تفهم كل شيء الآن، وسيكون الأمر كابوساً.

"سوف أصعد وأتحدث إليها"، قال بيتر، وهو يبدو محرجاً أمامهم جميعاً وأمام بيل. "أنا آسف بشأن أخواتي".

"لا تقلق لذلك. أنا أفهم". لكنه في الواقع، لم يفعل. بدا متوتراً وحزيناً حين ألقى نظرة خاطفة على ليز التي مسحت عينيها بمحرمتها.

"أظن أن الأمر قاسٍ عليهم أكثر مما ظننت".

"لم تكن هذه حفلة مسلية بالنسبة إلي، ليز"، قال بفظاظة. "أخشى أني لا أجيد أداء دور المتطفل كثيراً. إنهم يتصرفون كأني مجرم خطير، أو كأني قتلت والدهم". لقد تحطم كبرياؤه، وتعرضت مشاعره لصفعة قوية على أيدي أولادها، وهو يحملها كل المسؤولية. كان الجميع غاضباً عليها. بيل، وثلاثة من أولادها. وحده جايمي بدا غير مهتم فيما استمر في الأكل. لم يبقَ أحد على الطاولة.

"عليك أن تفهم كم هذا صعب بالنسبة إليهم. إنه أول عيد لهم من دون والدهم".

"أعرف ذلك، ليز. لكن هذه ليست غلطتي". رفع صوته عليها فيما قال ذلك، ونظر إليه جايمي بذعر.

"لم يقل أحد هذا، لكنك هنا وهو لا. هذه كلها غلطتي. لم يكن يجدر بي دعوتك ربما"، قالت ليز، وهي ما زالت تبكي، فيما راقبهما جايمي بصمت.

"وماذا عن السنة القادمة؟ سوف أحرص على حجز خدمتي في المستشفى لمدة 72 ساعة خلال العيد. من الواضح أني لست محط ترحيب هنا، على

الأقل ليس قبل أن يغادر أولادك المنزل". كان مغموراً بالغضب.

"هل ستأتي لعيد الأضحى في السنة القادمة؟" سأل جايمي باهتمام.

"كنت أنوي فعل ذلك، لكني لست واثقاً الآن". وبخ الولد ثم كره نفسه لفعل ذلك. تمدد ولمس يد جايمي، وأخفض صوته مجدداً كي لا يخيفه. "أنا آسف... أنا فقط غاضب".

"كانت ميغان فظة مع أمي"، قال جايمي. "وكذلك آني. ألا تحبانك؟" بدا حزيناً على صديقه، ولاحظت ليز التوتر في فم بيل حين أجاب.

"اظن لا. أظن أن هذه هي المشكلة، أليس كذلك؟". وجه السؤال إلى ليز التي أرادت طمأنته. "أظن أني شخص غير مرحب فيه هنا، وأنا أهزأ من نفسي إذا ظننت أن الأمر سيكون مختلفاً يوماً. فكما قالت ميغان بوضوح في بداية الوجبة، أنا لست والدهم، ولن أكون أبداً".

"لا يتوقع أحد منك أن تكون كذلك"، قالت ليز بأهدأ صوت ممكن. "كل ما عليك هو أن تكون صديقهم. لا يتوقع أحد منك أن تحل محل جاك". قالت بنعومة، وهي تحبس دموعها، فيما حدق هو فيها.

"أنا أفعل ذلك ربما، ليز. هذه هي المشكلة. كنت أوهم نفسي ربما بأني أستطيع أن أكون مهماً بالنسبة إليكِ، وإليهم، وليس مجرد متطفل. ما الذي قالته ميغان "غبي ومغفل"؟".

"كانت تحاول استفزازك". إنها مخلصة لأولادها، وله هو أيضاً. إنه وضع محير بالنسبة إليها.

"حسناً، نجحت تماماً"، وقف ووضع محرمته جانباً على الطاولة. "أظن أنه يجدر بي منحكم جميعاً بعض الراحة، ولنفسي أيضاً. أظن أن الوقت قد حان لكي أعود إلى العمل".

"ظننت أنك لا تعمل اليوم"، قالت وهي تبدو مرتبكة وغاضبة. قال لها إنه في إجازة يوم العيد، ولهذا السبب بدأت كل هذه القصة.

"أظن أني سأعود في أية حال. أعرف على الأقل ما الذي أفعله هناك. أظن أن المشاهد العائلية، وخصوصاً في الأعياد، لا تلائمني كثيراً". في الواقع، كان يبلي حسناً، لكن الأمواج وقفت ضده، وعرف ذلك. كان وضعاً صعباً منذ البداية. نظر إلى ليز من حيث كان يقف، ولم يتحرك أي منهما، لكنها عرفت أن شيئاً مريعاً كان يحصل، وخشيا قوله. "شكراً على العشاء ليز. سوف اتصل بك". ومن دون كلمة أخرى، خرج من الباب الرئيسي وأغلقه بقوة وراءه، فيما جلست هي تحدق فيه.

نظر إليها جايمي حينها، بعد أن أنهى فطيرته، وعلّق على الوضع. "نسي أن يقول لي وداعاً. هل هو غاضب مني؟".

"لا، حبيبي. إنه غاضب مني. كانت شقيقاتك قاسيات جداً معه".

"هل ستضربينهن؟". ابتسمت على السؤال. لم تفعل ذلك أبداً، ولا تنوي البدء الآن، لكن الاقتراح مغرٍ بلا شك.

"لا. لكن يجدر بأحد فعل ذلك".

"سوف يضع عمّي الفحم في جواربهن"، قال جايمي بنظرة حزينة، وابتسمت ليز بحزن. فمجرد التفكير في العيد يجعلها ترتعد. إنه ذكرى موت جاك، وأدركت أنه يستحيل عليها إشراك بيل في ما يريدون القيام به. فالعيد علمها درساً مؤلماً.

نظفت هي وجايمي بقية الطاولة، ثم صعدت إلى الطابق الأعلى للتحدث إلى بناتها. كان بيتر يجلس معهنّ جميعاً، وبدا بوضوح أن ميغان كانت تبكي.

"أكرهه!"، قالت لأمها، لكن ليز بقيت هادئة على رغم الفوضى التي كانت قد سببتها. عرفت عواقب ذلك.

"لا أظن أنك تفعلين ذلك، ميغ. لماذا الكره؟ إنه رجل لطيف، حتى لو كان يلعب كرة القدم في الجامعة. وما تكرهينه بالفعل هو أن والدك رحل. وأنا أفعل ذلك أيضاً. لكننا لا نستطيع فعل أي شيء حيال ذلك. وهذه ليست غلطة

بيل. لم يكن يجدر بي دعوته للانضمام إلينا اليوم، وأنا آسفة".

لمس بيتر ذراعها بابتسامة رقيقة. إنه معجب بها كثيراً. فهي دوماً صريحة معهم، وهو يعرف كم تحبهم. لقد ضحت لأجله بكل الطرق الممكنة بعد حادثه هذا الصيف. وشعر بالأسف عليها لأن مناسبة العيد كانت كارثة حقيقية، ولأن بيل كان كبش المحرقة عند ميغان. فتماماً مثل ليز، فهم تماماً السبب من وراء ذلك. أفضل مما فعل بيل. برأيه، أفرط بيل في ردة فعله، وقال ذلك لأمه حين جاء إلى غرفتها.

"لست واثقة من أني أستطيع لومه. لقد قسى عليه الأولاد بشدة، وهو غير معتاد على ذلك. ليس لديه أولاد، وليس متزوجاً منذ وقت طويل. أظن أن مشاعره تؤلمه. يشعر وكأنه لا يستطيع ان يكون بمستوى والدك".

"إمنحيه الوقت"، ابتسم بيتر. "سوف يعتادون عليه"، قال بأمل.

"أتمنى ذلك".

استلقت على سريرها في الظلام لبرهة، في بذلتها المخملية البنية، بعد أن خلعت حذاءها، وهي تفكر في جاك، وبيل، وأولادها. إنه وضع معقد، ولديها حزنها ومشاعرها الواجب التغلب عليهما. بالكاد تستطيع التفكير في مشاكلها لأنها مشغولة دوماً في مشاكل الآخرين. وفيما استلقت هناك، بدأت تبكي فيما فكرت في زوجها وكم اشتاقت إليه. لقد ترك فراغاً كبيراً وراءه، وبدا أحياناً أنه لا مجال أبداً للتعويض عن هذا الفراغ. إنها أحبت بيل، ولكن ليس كما أحبت زوجها. على الأقل ليس بعد، لكنها ظنت أنها قد تفعل ذلك يوماً. سيكون الأمر مختلفاً دوماً لأنهما شخصان مختلفان.

رن الهاتف فيما كانت لا تزال مستلقية هناك في الظلمة، ومدّت يدها للإجابة عليه من دون تشغيل الضوء. إنه بيل، وبدا مكتئباً. لم يكن أفضل حالاً مما حين رحل. لا بل إنه بدا أسوأ قليلاً، لكنه قال إن لديه بعض الأمور التي يريد قولها لها.

"ماذا؟" سألت، فيما أغمضت عينيها، وهي ما زالت تفتقد جاك، وتشعر بالحزن على ما حصل. شعرت كأنه توجّب عليها تسلق جبل إفرست، وهي تتسلق منذ أحد عشر شهراً.

"أنا آسف ليز. لا أستطيع فعل ذلك. فكرت في الأمر، ولا أعرف ما الذي حدث لي. أظن أني أصبت بالجنون لبرهة. التقيتك ووقعت في غرامك، وبدت عائلتك متماسكة جداً ظاهرياً، وكنت أنت غير منيعة، فوقعت في نوع من الفخ. لكن ليس هذا ما أريده، وأريد الخروج الآن". فتحت عينيها فجأة وحدقت في الظلمة فيما أصغت إليه.

"ما الذي تقوله لي؟". لكنها عرفت. لقد أوضح الأمر، ولا تريد سماع ذلك.

"أقول إني ارتكبت خطأ، وانتهى الأمر. أحبك، وأولادك رائعون. لكني لا أستطيع فعل ذلك. لقد منحتنا ميغان معروفاً كبيراً اليوم. كنا احتجنا ربما إلى أشهر أو سنوات لملاحظـة ذلك بوضوح. لقـد انكشفت الأمور عندي بعـد خروجي. رحت أركض إلى أن اتضحت الصورة أمامي. كنت مجنوناً لفترة، لكني الآن لست كذلك... ليز... أنا آسف... لكن الأمر انتهى". لم تستطع حتى العثور على الكلمات الواجب قولها له. استلقت هناك وهي تشعر أن أحداً ضربها في الصدر. أصبحت عاجزة عن الكلام. وكل ما استطاعت التفكير فيه هو موجات الذعر التي أصابتها حين مات جاك. وها هي الآن تخسر بيل. بالكاد كان لديها الوقت حتى تعتاد عليه، وتدخله إلى قلبها، لكنه أصبح متربعاً هناك رغم ذلك، وها هو الآن يخرج نفسه. لقد انتهى الأمر. لقد خسرته بضربة واحدة. شكراً لك ميغان.

"ألا تريد التفكير في ذلك لفترة؟" حاولت أن تكون منطقية معه، مثلما تفعل مع أولادها. "أنت مذعور ومشاعرك مجروحة. سوف يعتادون عليك، أنت تعرف ذلك. إنهم يحتاجون فقط إلى الوقت".

"لا جدوى، ليز. ليس هذا ما أريده. أرى ذلك بوضوح الآن. علينا أن

نكون شاكرين". لكنها لم تكن كذلك. إنها محطمة. "سوف أتصل بك بعد بضعة أيام لأرى كيف حالك. أنا آسف. أنا فعلاً كذلك. لكن يجب أن تكون الأمور هكذا. أنا أكيد". كيف عرف؟ وماذا عرف؟ كانت اثنتان من بناتها فظتين معه، لكنهما مجرد ولدين وهما تشتاقان إلى والدهما.

"لماذا لا تهدأ ونتحدث عن الأمر لاحقاً؟".

"ما من شيء للتحدث عنه". بدا مذعوراً.

"أريد التوقف، ليز. قلت لك. انتهى الأمر. عليك أن تفهمي ذلك". لماذا؟ لماذا يجدر بها أن تفهم السلوك السيء عند الآخرين؟ لماذا يجدر بها الاعتذار منه ومن أولادها؟ لماذا يفترض أن تكون هي الخاسرة كل مرة؟ لقد خسروا هم أيضاً، لكنها خسرت أكثر منهم جميعاً.

"أحبك"، قالت بوضوح فيما بدأت الدموع تنهمر.

"سوف تتخطين ذلك. وأنا أيضاً. لا أحتاج إلى طلاق آخر، ولا تحتاجين أنت إلى صداع آخر. عانيت ما يكفي معي. قولي للأولاد أن يرتاحوا لأن المغفل خرج من حياتهم. يمكنهم الاحتفال الآن". بدا قاسياً وغاضباً ومثل ولد رديء الطبع، لكنها لا تستطيع تهدئته.

"جايمي يحبك، وكذلك بيتر. ماذا يفترض بي أن أقول لهما؟".

"أننا ارتكبنا خطأ، وأدركنا ذلك قبل فوات الأوان. سوف يرتاحان، ونحن كذلك يوماً ما. سوف أقفل الخط الآن، ليز. لم يعد هناك شيء لقوله. وداعاً". قال ذلك بنبرة حازمة حبست أنفاسها، وأقفل السماعة قبل أن تستطيع الإجابة.

استلقت وهي تمسك السماعة في يدها في الظلمة، وراحتْ تبكي بعدما وضعتها في مكانها. لا تستطيع أن تصدق ما حصل. كان غافلاً عن الحقيقة، وانتهى الأمر. ويبدو أن صفة "غافل" هي الأساسية هنا. أرادت هزّه. لكنها لم تكن حتى غاضبة عليه. إنها محطمة. وهذه المرة، حين بكت بقوة تلك الليلة، كان ذلك على بيل وليس على زوجها.

الفصل الحادي عشر

سيطرت ليز على نفسها خلال الأيام القليلة التالية، وبعد حادثة عيد الأضحى، لم تتفوه بأي شيء لأي كان عن خروج بيل من حياتها بعد عيد الأضحى، ولا حتى لفيكتوريا حين تحدثتا على الهاتف، وليس خصوصاً لأمها التي كانت لتقول الكثير عن ذلك. كانت قد أخبرتها أمها قبلاً أن دعوته لحفلة العيد هو خطأ كبير. وظنت ليز أنها تغار فقط لأنها لم توجه إليها الدعوة، رغم أنهما تحدثا عن مجيئها للعيد القادم.

لكن بعد العيد، بدت ليز مستاءة كما لم تكن منذ أشهر. كانت حزينة ومتعبة، ومهتاجة مع أولادها. في البداية، ظنت كارول وجان أن سبب ذلك هو الأعياد القادمة والذكريات الناجمة عنها. لكن جان هي التي فهمت في النهاية ما حصل. لقد توقف بيل عن الاتصال.

"هل تشاجرتما أنتما الاثنان؟"، سألت بحذر شديد حين عادت ليز من المحكمة بعد عطلة العيد.

نظرت إليها ليز بتعابير حزينة، وظهرت هالات سوداء تحت عينيها. لقد فقدت بعض الوزن خلال الأيام القليلة الماضية، وأصبحت تنام ساعات أقل. "لقد تخلى عني. عامله الأولاد بحقارة يوم العيد، أو على الأقل فعلت ذلك ميغان وآني. وكان هذا كثيراً بالنسبة إليه. كانتا فظتين على نحو لا يصدق، لكن من الواضح أن هذا كل ما احتاج إليه لإقناع نفسه بأن كل ذلك كان غلطة كبيرة، وأن علاقتنا الرومنسية هي نتيجة جنون مؤقت. قبل أسبوعين، طلب مني الزواج به. لكننا لم ننجح أبداً يوم عيد الأضحى".

"إنه مصاب بالذعر ربما"، قالت جان بحذر. لم تشاهد ليز بهذا السوء منذ

أشهر، وهذا ما أثار قلقها. بدت غير سعيدة البتة، ولم تكن الأمور جيدة معها اليوم في المحكمة. لقد خسرت المرافعة، مما زاد من اكتئابها على ما يبدو. لكن المشكلة الحقيقية كانت بيل وليس المرافعة. "سوف يعود، ليز. دعيه يهدأ لبضعة أيام".

"لا أظن ذلك. أظن أنه مصر على ذلك". وكانت واثقة من هذا حين اتصلت به في نهاية الأسبوع، ولم يعاود الاتصال بها. كرهت نفسها على ذلك وأرسلت لـــه رسالة عبر الجهاز المجيب. اتصل بها أخيراً، بعد بضع ساعات، وقال لها إنه كان مشغولاً في حالة طارئة، لكن صوته كان بعيداً وبارداً جداً.

"أردت أن أتأكد من أنك على ما يرام"، قالت وهي تحاول أن تبدو مرحة. لكن بدا واضحاً أنه ليس مهتماً في متابعة المحادثة.

"أنا بخير، ليز. شكراً على الاتصال. اسمعي. أنا آسف لكني مشغول".

"إتصل بي بين الحين والآخر". كرهت نفسها لأنها بدت مثيرة للشفقة، لكنه كان صريحاً جداً معها.

"لا أظن أنها فكرة جيدة الآن. نحتاج إلى شفاء جروحنا وتخطي ما حصل".

"ماذا حصل؟" سألت، وهي تلح عليه، وكان واضحاً أن ذلك لم يعجبه.

"تعرفين ما حصل. عدت إلى صوابي. أنا لا ألائم عائلتك، ليز، ولا أريد حتى المحاولة. أنت امرأة رائعة وأنا أحبك، لكن الأمر لن ينجح أبداً. بالنسبة إلي على الأقل. عليك أن تعثري على شخص آخر حين تعتادين أنت والأولاد على رحيل جاك، وقد يستغرق ذلك فترة". لكنها لم تكن تفكر في جاك خلال الأسبوع الماضي، وإنما في بيل. وللمرة الأولى منذ أحد عشر شهراً، بدا جاك بعيداً جداً، وكان الألم الذي سببه لها بيل حين رحل أكثر قوة وأكثر تأثيراً.

"إذا كنا نحب فعلاً بعضنا البعض، يمكننا إنجاح العلاقة. لماذا لا نحاول؟".

"لسبب واحد منطقي"، قال بفظاظة. "لا أريد ذلك. لا أريد الزواج، أو الاعتناء بالأولاد، ولا سيما أولاد شخص آخر لا يرغبون في وجودي. لقد أوضحوا الأمر تماماً وفهمت الرسالة".

"سوف يتكيفون مع الوقت". كانت تتوسل إليه وتتمنى لو أنها لا تفعل ذلك. هذا مخزٍ لكنها لا تبالي. لقد أصبحت تعرف الآن كم تحبه. ويبدو أنه قد فات الأوان الآن. لم يعطِها حتى فرصة لمحاولة إصلاح الأمور.

"قد يتكيفون، ليز، لكني لن أفعل. بالأضافة، لا أريد ذلك. أعثري على رجل آخر". هذا كلام قاسٍ عليها، لكنه أوضح الرسالة.

"أنا أحبك. ليست هذه وصفة عامة، أيها الطبيب".

"لا أستطيع مساعدتك"، قال ببرودة. "وعليّ العودة إلى قسم الطوارئ لأن لدي ولداً في الخامسة من عمره تم استئصال قصبته الهوائية وهو ينتظرني. عيد رائع، ليز". كان فظاً، وأرادت أن تكرهه على ذلك، لكنها لم تفعل. لم تملك الطاقة لتكرهه. شعرت وكأن شخصاً قضى عليها ليلة العيد. هو فعل ذلك.

عادت إلى المنزل بعد الظهر، وهي تشعر بالحزن والهزيمة، ولم يتحسن مزاجها حين نظر إليها جايمي عبر بسكويت العيد الذي كان يعدّه مع كارول وسألها أين هو بيل. إنه سؤال مهم. لا تعرف ما تقول له. رحل؟ انتهى؟ لم يعد يحبنا؟ كان يصعب العثور على الجواب الصحيح.

"إنه... مشغول، جايمي. لا يملك الوقت لرؤيتنا الآن".

"هل مات؟" سأل جايمي بتعبير قلق. فبرأيه، الأشخاص الذين يختفون مثل والدهم هم من الموتى الآن.

"لا، لم يمت. لكنه لا يريد رؤيتنا لبعض الوقت".

"هل هو غاضب مني؟".

"لا، حبيبي. ليس كذلك".

"قال إنه سيطيّر طائرته معي، ولم يفعل ذلك أبداً. الطائرة التي صنعها بنفسه".

"يجدر بك ربما الطلب من عمّي أن يحضر لك واحدة هذه السنة"، قالت وهي تشعر بالإنهاك. ليس هناك الكثير الممكن قوله له. لقد خرج بيل وبستر من حياتهم ولا يوجد الكثير الممكن فعله حيال ذلك. حتى التوسل لن يفلح في إعادته، وهي تعرف ذلك. ليس الالتماس أو التملق أو المنطق أو الحب. لقد حاولت كل شيء استطاعت التفكير فيه بعد ظهر اليوم أثناء التحدث على الهاتف، والشيء الوحيد الذي اتضح لها هو أنه لا يريدها. لا جدل في ذلك. لديه الحق في اتخاذ هذا القرار.

"لن يكون الأمر نفسه إذا أحضر لي عمّي طائرة ورقية"، قال جايمي بحزن. "فالطائرة الورقية الخاصة ببيل مميزة لأنه صنعها بنفسه".

"يمكننا ربما صنع واحدة بأنفسنا"، قالت وهي تحبس دموعها. إذا استطاعت تدريبه لمباراة القفز الطويل، تستطيع ربما تعلم كيفية إعداد طائرة ورقية. لكن ما هو الشيء الآخر الذي كان يفترض بها فعله من أجلهم؟ كم كان يجدر بها التعلم؟ ما هو عدد الأشخاص الذي كان يفترض أن تكون عليه لكل واحد منهم لأن شخصاً مجنوناً قتل جاك، وقرر بيل وبستر التخلي عنها في نوبة غضب؟ ولماذا كان يجدر بها دوماً لململة الأجزاء المبعثرة؟ أصبح هذا السؤال يطاردها بقوة.

ذهبت كارول لجلب الفتيات من المدرسة بعد فترة قصيرة من ذلك، وما إن دخلن، أبلغهنّ جايمي الأخبار التي نقلتها إليه أمه. "لا يريد بيل رؤيتنا بعد الآن".

"جيد"، قالت ميغان بصوت عالٍ، ثم شعرت بالقليل من الذنب فيما ألقت نظرة سريعة على أمها. لاحظت أن أمها غير سعيدة البتة.

"ليس هذا شيئاً لطيفاً لتقوليه، ميغ"، قالت ليز بهدوء، وبدت حزينة جداً

بحيث قالت ميغان إنها آسفة.

"أنا لا أحبه"، أضافت.

"بالكاد تعرفينه"، قالت ليز وأومأت ميغان برأسها. ثم صعدت الفتيات إلى الطابق الأعلى لإنجاز فروضهن. ما زال أمامهن ثلاثة أسابيع فقط قبل عطلة العيد. لكن أجواء العيد لم تكن موجودة في المنزل، وانفطر قلب ليز حين وضعت الزينة.

قررت ألا تضع الأضواء خارج المنزل هذه السنة، او في الأشجار مثلما كان يفعل جاك. اكتفوا بوضع الزينة داخل المنزل، واصطحبت أولادها قبل أسبوعين من العيد لشراء زينة العيد، لكن أياً منهم لم يكن متحمساً.

لم تسمع عن بيل منذ أسبوعين، وظنت أنها لن تسمع البتة عنه مجدداً. لقد اتخذ قراره وأراد الالتزام به. واعترفت أخيراً بالأمر لفيكتوريا التي شعرت بالأسف الشديد عليها وعرضت عليها دعوتها إلى الغداء، لكن ليز لم ترغب حتى في رؤيتها.

ومع اقتراب العيد، بدا المنزل بأكلمه حزيناً. فقد كانوا جميعاً غارقين ببطء في بحر من الاكتئاب. لقد مضى عام تقريباً على موت جاك، وبدا فجأة كأن الأمر حصل البارحة. تحدث الأولاد عنه باستمرار. وشعرت ليز كأنها تتقلب بين حزنها على خسارة بيل وذكريات زوجها الميت. كانت تمكث في غرفتها معظم الوقت، ولم تدعُ الأصدقاء للقدوم. رفضت كل الدعوات الموجهة إليها لحضور حفلات العيد. حتى إنها قررت الطلب من أمها عدم المجيء، وقالت لها إنها تريد أن تكون وحدها مع أولادها. ورغم أن أمها بدت مستاءة، قالت إنها تفهم ذلك. ودعت صديقة أخرى أرملة للقدوم وقضاء العيد معها.

والواقع أن الأشياء الوحيدة التي ذكّرت ليز والأولاد بالعيد كانت الزينة، وحلوى العيد، وكل ما فعلته هو الدعاء لكي تنتهي عطلة الأعياد بسرعة.

فكرت في اصطحابهم للتزلج في فترة العيد، لكنهم ليسوا في مزاج ملائم

لذلك، وقرروا البقاء في المنزل، فيما غرقوا ببطء في بحر الذكريات المؤلمة التي غمرتهم.

كانت تجلس في مكتبها في الأسبوع الذي سبق العيد حين اتصلت زبونة وهي منقطعة الأنفاس وسألتها ما إذا كانت تستطيع القدوم لزيارتها. كانت ليز تملك بعض الوقت الحر بعد ظهر ذلك اليوم، وحددت لها موعداً. وما سمعته حين جاءت المرأة لم يعجبها البتة. فزوج المرأة كان يعرض حياة ابنه البالغ من العمر ست سنوات للخطر. فقد كان يأخذه معه على دراجته النارية على الطريق السريع من دون وضع خوذة له، ويحلق معه في المروحية، رغم أنه حصل على الرخصة قبل فترة وجيزة فقط، ويدعه يذهب على دراجته الهوائية إلى المدرسة، وسط زحمة السير، ومن دون خوذة. أرادت الزبونة أن تمنع الأب من رؤية ابنه، والأهم من ذلك، أرادت تجميد أعماله. لكن ما إن قالت ذلك، حتى شعرت ليز بإحساس مألوف وهزت رأسها بقوة.

"لن نفعل ذلك به"، قالت من دون التردد لبرهة. "سوف أطلب وساطة، وسوف نحضر لــه لائحة من الأمور التي لا يستطيع فعلها مع ابنه. لكننا لن نأخذه إلى المحكمة، ولن نلاحق أعماله". قالت هذا بحماس شديد بحيث نظرت الزبونة إليها بارتياب.

"لم لا؟". فكرت لبرهة في أن زوجها اشتراها.

"لأن الثمن باهظ جداً"، قالت ليز ببساطة. لقد خسرت 4.5 كلغ خلال الأسابيع الثلاثة الماضية، وبدت متعبة وشاحبة، لكنها في الوقت نفسه حازمة وصارمة بحيث أصغت إليها المرأة. "كان لدي مثل هذه القضية قبلاً، من دون وجود طفل. لكن الطريقة الوحيدة الممكنة للفت انتباه الرجل كانت بتجميد أصوله وأعماله".

"هل نجح الأمر؟" سألت المرأة بأمل. فالعرض جيد جداً بالنسبة إليها، ولكن ليس بالنسبة إلى ليز.

"لا. لقد قتل زوجته، نفسه وزوجي السنة الماضية يوم العيد. إذا قسوت

جداً على زوجك، قد يؤذيك أو يؤذي ابنك. وأنا لن أكون شريكة في ذلك". كان هناك صمت طويل بينهما فيما أومأت المرأة برأسها.

"أنا آسفة".

"شكراً لك، وأنا أيضاً. والآن سوف نفعل هذا". أعدتا لائحة من النشاطات الخطرة التي لا يسمح لــه بالقيام بها، واتصلت ليز بالوسيط المعين من قبل المحكمة فيما جلست المرأة هناك. لكن مكتب الوساطة مزدحم جداً، وأول موعد استطاعت الحصول عليه كان في الحادي عشر من يناير (كانون الثاني). إنه بعد ثلاثة أسابيع ونصف الأسبوع، ولتحسين الوضع قليلاً، وافقت ليز على إرسال إنذار لــه في غضون ذلك.

"لن يجدي ذلك نفعاً"، قالت المرأة وهي تنظر إلى ليز بكآبة. "إذا لم تضربيه على الرأس بمطرقة، لن يستوعب".

"إذا فعلنا ذلك، قد تتأذين أنت أو ابنك"، كررت ليز. "وأنا أعرف أنك لا تريدين هذا". إنه تهديد حقيقي، وغادرت المرأة مكتب ليز وهي تشعر بالعجز. لكن ليز شعرت على الأقل أنها لم تعرضها هي أو ابنها للخطر حين عادت إلى المنزل تلك الليلة، وبدا الأولاد أخيراً في حال أفضل.

كان هذا آخر يوم لهم في المدرسة، ووعدت كارول باصطحاب الأربعة الصغار للتزلج على الجليد. أما بيتر وصديقته الجديدة فيريدان تناول العشاء ومشاهدة السينما. وكانت ليز تتطلع إلى قضاء أمسية هادئة وحدها حين رن الهاتف في التاسعة والنصف. كان الصوت في الطرف الآخر هستيرياً، واحتاجت إلى دقيقة للتعرف إليه. إنها الزبونة التي شاهدتها بعد الظهر، والتي عينت لها موعداً للوساطة. ولإعطائها إحساساً بالأمان، قررت إعطاءها رقم هاتف المنزل. كانت المرأة تدعى هيلين، وبدت غير متماسكة البتة.

"هيلين، إهدأي، وحاولي إخباري ما حدث". احتاجت إلى خمس دقائق لفهم القصة بوضوح. لقد اصطحب زوجها، سكوت، ابنهما جوستين، للركوب

على الدراجة النارية في الهضاب في سان فرانسيسكو. لم تكن واثقة ما إذا كان مضطرباً أم لا، لكن هذا احتمال، ولم يكن الصبي يضع خوذة حين صدمتهما شاحنة. انكسرت ساقا جوستين، وتعرض لإصابة في الرأس، علماً أنه طار في الهواء وحط على عشب منزل أحد الأشخاص، كما لو بفعل أعجوبة. إنه في قسم الرعاية الفائقة الخاصة بالأطفال في مستشفى الأولاد في سان فرانسيسكو، فيما والده كان في حال الخطر وما زال في غيبوبة. كانت قد جاءت الشرطة إلى المنزل لإخبارها. والشيء الوحيد المريح في هذه القصة بالنسبة إلى ليز كان أنه حتى لو وافقت على أخذ ذلك السافل إلى المحكمة، لما كانا وصلا إلى هناك، ولما كان غيّر ذلك أي شيء مما حصل. ليست هذه غلطتها، لكن سواء كانت كذلك ام لا، فإن ابن هيلين الصغير كان في خطر كبير.

"أين أنت الآن؟" سألت ليز فيما وقفت وتمددت للإمساك بحقيبتها الموجودة على حافة سريرها.

"أنا في غرفة العناية الفائقة في مستشفى الأولاد".

"هل من أحد معك؟".

"لا، أنا وحيدة"، بكت على الهاتف. إنها من نيويورك وأرادت العودة إلى هناك ما إن يوافق زوجها على طلاقها.

"سأكون عندك خلال عشرين دقيقة"، قالت ليز وأقفلت السماعة من دون انتظار الجواب. امسكت بمعطفها وهي في طريقها إلى الباب الأمامي، وشكرت الله لأنها قررت عدم الذهاب للتزلج على الجليد مع الأولاد. شعرت بالذنب حيال ذلك، لكنها كانت متعبة ومكتئبة جداً بحيث قررت عدم الذهاب.

ركنت السيارة خارج المستشفى بعد ثماني عشرة دقيقة، وحين وصلت إلى غرفة العناية الفائقة، وجدت هيلين وهي تبكي بين ذراعيّ ممرضة. لقد أخذوا جوستين إلى الطابق الأعلى لوضع قضبان في ساقيه، لكن الممرضة قالت إنه واعٍ وأن الإصابة في رأسه ليست سوى ارتجاج مخي. كان الولد

وأمه محظوظين جداً. لكن الجلوس في المستشفى معها، فيما كانتا تنتظران، ذكّرها ببيل مجدداً. تساءلت كيف هو وماذا يفعل. عرفت أنه لا جدوى من التفكير فيه بعد الآن. فقد مضت أكثر من ثلاثة أسابيع الآن، وعرفت أنه لن يتصل بها. لقد اتخذ قراره، والتزم به. بيل هو من هذا النوع من الأشخاص. فالمخاوف التي مثّلتها هي وعائلتها كثيرة بالنسبة إليه.

عاد جوستين من غرفة العمليات بعد منتصف الليل. كان لا يزال مخدراً، فيما جرى لف ساقيه بالأربطة البيضاء حتى الوركين. وبدا مثل دمية بالية فيما استلقى هناك، لكن الطبيب قال إنه سيكون بخير في النهاية، وسوف ينزعون القضبان بعد ستة أشهر أو سنة.

بكت هيلين فيما أصغت إليه، لكنها أصبحت أكثر هدوءاً مما حين وصلت ليز. تحدثتا لساعات عما ستفعلانه. وأقنعت ليز في النهاية. أرادتا الذهاب إلى المحكمة، وفرض كل القيود الممكنة على زوجها، وطلبت منها ليز بعد ذلك العودة إلى نيويورك. كانت هيلين شابة، ولديها عائلة هناك، وحتى صديق قديم يتصل بها ويلمح لها بالزواج. أرادتها ليز أن تخرج من المدينة بأسرع ما يمكن وتبتعد عن زوجها السابق.

"ثم"، نظرت إلى هيلين بابتسامة حزينة، فيما أوصلتها أم الولد إلى المصعد وشكرتها على رفقتها طوال الليل. "ثم، سوف أتقاعد"، قالت ليز مع تنهد ارتياح. هذا كل ما أرادته. لقد تعبت من القانون العائلي، وهي كانت تفكر في الأمر منذ أشهر. هذا كل ما احتاجت إليه لإقناع نفسها. فكرت في الأمر مجدداً وهي في طريقها إلى المستشفى وأصبحت أكيدة الآن.

"ماذا ستفعلين بدل ذلك؟".

"أزرع الورود"، ضحكت، "وأقلّم الأغصان. لا، في الواقع، سوف أفعل شيئاً أرغب فيه فعلاً وأتمناه منذ وقت طويل. سوف أدافع عن الأولاد. سوف أعمل في منزلي وأغلق المكتب الذي تشاركته مع زوجي. لقد عملت وحدي

في العام الماضي، وليس هذا ما أريده". بدت أفضل مما كانت طوال أسابيع حين قالت ذلك، وشكرت هيلين ليز مجدداً قبل رحيلها.

"سوف أتصل بك حين أحصل على موعد من المحكمة". ابتسمت لزبونتها فيما أُغلق باب المصعد، وعرفت حين توجهت إلى سيارتها بخطى خفيفة أنها اتخذت القرار الصحيح. تساءلت ما إذا كان بيل شعر بالشيء نفسه حين اتصل بها ليقول لها إن العلاقة انتهت. كان هذا شعوره ربما، قالت لنفسها. لقد شكلت ربما عبئاً كبيراً عليه، وعلاقة خاطئة، تماماً مثلما أصبحت المهنة التي تشاركتها مع جاك بعد رحيله. إذا كان الأمر هكذا، عليها احترام قرار بيل. لكنها اتخذت قرارها أخيراً تلك الليلة، فيما جلست تمسك بيد هيلين، وتريد أن تقتل زوجها السابق لما فعله لجوستين، بسبب الإهمال وقلة المسؤولية. كان زوج هيلين السابق لا يزال في الغيبوبة حين غادرت ليز المستشفى، وثمة احتمال لوجود ضرر في الدماغ. لكن جوستين سيكون بخير على الأقل، وهذا هو المهم.

وصلت إلى شارع الأمل بعد الواحدة فجراً بقليل، وكان الجميع في السرير، باستثناء بيتر الذي عاد للتو إلى المنزل وتفاجأ لرؤية أمه. لم تعد تخرج إلى أي مكان، باستثناء المحكمة والعمل. لم يشاهدها تخرج ليلاً منذ انفصالها عن بيل.

"أين كنت أمي؟".

"في المستشفى مع زبونة. إنها قصة طويلة". ثرثرا لدقيقة ثم توجهت إلى السرير. كانت مرهقة تماماً، وإنما مسرورة للقرار الذي اتخذته تلك الليلة. عرفت من دون شك أنه القرار الصحيح.

وفي صباح اليوم التالي، حين وصلت إلى المكتب، اتصلت بالمحكمة لتحديد موعد للمرافعة. اتصلت بهيلين في المستشفى لإخبارها. قالت هيلين إن جوستين بخير، وسوف يعود إلى المنزل بعد أيام قليلة، لكن حين أخبرتها ليز عن موعد المحكمة، قالت بهدوء إنها لم تعد بحاجة إليه.

"أنت لا تشعرين بالذنب لأنك تذهبين إلى المحكمة للوقوف ضده، أليس كذلك، هيلين؟ ما من قاضٍ في العالم سيكون متعاطفاً مع رجل اخذ ابنه البالغ من العمر ست سنوات للركوب معه على الدراجة النارية من دون خوذة. سوف تنتصرين عليه الآن".

"لا أحتاج إلى ذلك".

"لمَ لا؟" بدت ليز حائرة فيما انتظرت. أصبح عقلها مليئاً بالأمور التي تريد قولها في المرافعة. تم تحديدها بعد العيد.

"توفي سكوت نتيجة نزف قوي في الدماغ الليلة الماضية"، قالت بهدوء وبدت حزينة. فهو في النهاية زوجها ووالد ابنها.

"أوه..." قالت ليز وبدت مذهولة لبرهة. "أنا آسفة".

"وانا أيضاً. لقد كرهته خلال العامين الماضيين، لكنه لا يزال والد جوستين. لم أخبره بعد". عند سماع ذلك، أغمضت ليز عينيها وتذكرت ما كان قد حصل.

"أنا آسفة فعلاً". سوف ينفطر قلب الولد، إذا لم يكن قلب هيلين. "دعيني أعرف إذا كان باستطاعتي فعل أي شيء".

"أظن أنك تعرفين معنى ذلك. أقصد بالنسبة إلى أولادك".

"نعم، أعرف. سيكون الأمر قاسياً لوقت طويل. لم نتجاوز المحنة بعد".

"سوف أعود إلى نيويورك لأعيش مع أهلي ما إن يصبح جوستين قادراً على السفر".

"تبدو هذه فكرة جيدة".

أقفلتا السماعة بعد برهة، وكانت ليز لا تزال تفكر حين دخلت جان إلى مكتبها. "ما الأمر؟". سمعت ليز تقول لهيلين إنها آسفة، وعرفت أنها كانت معها في المستشفى طوال الليل تقريباً. بدت مصدومة حين أخبرتها ليز.

"لا يمكن تصديق الأشياء التي يفعلها الأهل بأولادهم"، قالت جان مع

نظرة خائبة.

"وهذا ما يدفعني إلى إخبارك أمراً سيئاً آخر"، قالت ليز، وهي تشعر بالذنب، لكنها أرادت أن تخبرها منذ الصباح. إنه خبر جيد بالنسبة إليها، ولكن ليس بالنسبة إلى جان. وسوف تأسف ليز لخسارتها. "لا أعرف كيف أقول لك ذلك، سوى بطريقة مباشرة"، علماً أن هذه طريقة ليز في كل شيء، وهذا أحد الأمور التي أحبتها فيها جان. "سوف أغلق المكتب".

"هل تتقاعدين؟" بدت جان مذهولة، رغم أنها عرفت أنه لا يجدر بها ذلك. فقد كانت ليز تحمل عبئاً كبيراً منذ وفاة زوجها، وتصورت جان أنها مسألة وقت فقط قبل أن تقرر ليز أنها لم تعد تستطيع الاستمرار. والحقيقة أنها تستطيع الاستمرار، لكنها لا تريد ذلك. ليس من دون جاك. ولا تريد شريكاً آخر.

"سوف أعمل بدوام جزئي، من المنزل، للدفاع عن الأولاد. هذا ما أحببته فعلاً في مهنتنا؟ كرهت كل الشجارات والمحاكم والسخافات. لطالما كان هذا أسلوب جاك أكثر مما هو أسلوبي. أنا أهتم بالأولاد، وهذا ما أريد فعله الآن".

ابتسمت جان لها، ودارت حول المكتب لمعانقتها. "لقد فعلت الشيء الصحيح، حبيبتي. سوف يقتلك هذا المكان. سوف تكون مدافعة عظيمة عن الأولاد".

"أتمنى ذلك". بدت ليز قلقة حينها. "لكن ماذا ستفعلين؟ كنت أفكر في ذلك طوال الصباح".

"لقد حان الوقت لي للتطور أيضاً. قد يبدو هذا جنوناً في عمري" – إنها في الثالثة والأربعين من العمر – "لكني أريد الذهاب إلى كلية الحقوق". ابتسمت لها ليز ثم ضحكت. إنه الحل المثالي.

"حسناً، لا تدرسي القانون العائلي. سوف تكرهين ذلك".

"أريد قانون الجرائم والعمل في مكتب مدعي عام".

"جيد". رأت ليز أنها تحتاج إلى ثلاثة أشهر لإنهاء كل ملفاتها، وأرادت من ثم أخذ إجازة لبضعة أشهر وإخبار الجميع بما تريد فعله. إنها تستحق إجازة، وأرادت قضاء الوقت مع أولادها. كانوا صبورين خلال العام الماضي، فيما عملت بكد ولساعات طويلة ولأيام لامتناهية. شعرت وكأنها تدين لهم بأخذ إجازة الآن.

"إذا تقدمت لمدرسة الحقوق قبل نهاية السنة"، قالت جان وهي تبدو مسرورة، "يفترض أن أتمكن من البدء في يونيو (حزيران) أو في سيتمبر (أيلول) على أبعد تقدير. هكذا، أحصل على إجازة لشهرين أيضاً. سيكون هذا جيداً لنا نحن الاثنين". شعرتا كلاهما أنهما كبرتا كثيراً في العام الماضي، رغم أن هذا لم يكن واضحاً على مظهرهما.

كانت لا تزال ليز تجلس أمام مكتبها وتثرثر مع جان حين اتصلت كارول. لاحظت جان وجود نبرة ذعر في صوتها، لكن جان لم تقل أي شيء لليز حين قالت لها إن كارول على الهاتف. تصورت أن الأمر من مخيلتها، وكانت كارول منهمكة بالعيد مع الأولاد في المنزل.

"مرحبا"، كانت تشعر ليز بالراحة والاسترخاء، بعدما اتخذت قرارها. "ما الأمر؟".

"جايمي". جاء صدى الكلمة مثل الصيف الفائت. كانت تتحدث باختصار.

"ماذا حدث؟". شعرت ليز فجأة بموجة ذعر فيما انتظرت الجواب.

"كان يحاول تعليق زينة على الشجرة. أخذ السلم إلى الخارج فيما كنت أعدّ شيئاً مع ميغ، ووقع. أظن أن ذراعه مكسورة".

"اللعنة". هناك خمسة أيام قبل العيد. وفيما أصغت ليز بعناية، استطاعت سماعه وهو يبكي بعيداً عن الأنظار.

"كم الأمر سيء؟".

"الكسر في مكان مزعج جداً".

"سوف ألاقيك في المستشفى بأسرع ما يمكن". لا يوجد على الأقل شيء خطير مثلما حدث لبيتر، أو الصغير جوستين في الليلة الفائتة. لكنها المرة الأولى التي يكسر فيها جايمي شيئاً، وعرفت أنه مصاب بالذعر. أمسكت بمعطفها وحقيبتها وركضت خارج الباب فيما سألتها جان عما حصل. "كسر ذراعه"، صرخت ليز فيما ركضت على السلم. بدا أنه لا توجد دقيقة واحدة للراحة والاستمتاع بالحياة. لكن هل من شيء للاستمتاع به هذه الأيام في أية حال؟ فالعيد كان يخيم مثل جلمود صخر عليهم. لقد رحل جاك، وكذلك بيل. عيد سعيد.

الفصل الثاني عشر

هرعت ليز إلى غرفة طوارئ المستشفى مثلما فعلت في الليلة الفائتة في مستشفى الأولاد لملاقاة هيلين، وكانت هذه المرة هي الأم القلقة وليست المعزية المحترفة. كان الأمر مختلفاً قليلاً. كان جايمي يتألم بوضوح حين وصلت، وكان يصرخ كلما حاولت إحدى الممرضات لمسه، وشعرت ليز بالغثيان حين شاهدت الطريقة التي كُسرت فيها ذراعه. لا شك في أنها مكسورة بقوة. لكن السؤال هو مدى وخامة الكسر.

كانوا يحاولون التحدث معه بمنطق حين وصلت، لكنهم استنتجوا أخيراً أنه عليهم تخديره، وسوف يجرون لــه جراحة في الذراع. تم استدعاء جراح متخصص في تقويم العظام، وبدت كارول مذنبة ومضطربة بشدة.

"أنا آسفة، ليز... أبعدت عينيّ عنه لخمس دقائق...".

"لا بأس، كان يمكن أن يحدث ذلك لو كنت في المنزل أيضاً". جايمي يفعل مثل هذه الأشياء أحياناً. جميع الأولاد يفعلون. وكان جايمي أقل إدراكاً واستقراراً من بقية الأولاد في عمره، ولأسباب واضحة حتماً. حاولت ليز تهدئته من دون جدوى، لكنه كان يصرخ عالياً جداً بحيث لم يتمكن حتى من سماعها. كان يتألم كثيراً فيما جلس على الحمالة وهو يبتعد عنهم جميعاً ومن دون أن يسمح لأمه بإمساكه. كان هذا مزعجاً جداً. وكانت تبدو مرهقة جداً فيما حاولت التحدث إليه مجدداً، وسمعت صوتاً مألوفاً مباشرة خلفها. "ما الذي يجري هنا؟".

التفتت ليز فوراً ووجدت نفسها تنظر في عيني بيل وبستر. كان في غرفة الطوارئ يأخذ مريضاً إلى قسم الصدمات حين سمع الجلبة وشاهد الشعر

الأحمر المألوف، ولم يستطع منع نفسه من المجيء. "ماذا حدث؟"، سألها من دون سلام أو تحية.

"وقع عن السلم وكسر ذراعه"، قالت ببساطة، فيما توجه صوب جايمي ووضع نفسه أمام الحقل البصري للولد للتأكد من أنه يراه. ولبرهة، هدأت موجة الصراخ. تحولت إلى بكاء صامت، وفيما نظر جايمي إلى بيل، كانت كتفاه الصغيرتان مثقلتين.

"ماذا حدث أيها البطل؟ هل كنت تتدرب للألعاب الأولمبية مجدداً. لم يحن الوقت بعد. ألا تعرف ذلك؟" تمدد برفق نحو الذراع، ورغم أن جايمي ابتعد عنه، لم يصرخ أو يقفز عن الحمالة وسمح لبيل بلمسه.

"وققققققعت... عننننننن.... السلللللللللم".

"هل كنت تضع شيئاً على الشجرة؟". أومأ جايمي برأسه "أنت تعرف ما سنفعله. سوف نضع لك جبيرة لهذه الذراع، وعليك أن تعدني بأمر. هل تفعل؟".

"مممممممما هو الوععععد؟" كان جايمي يرتعد من رأسه وحتى أخمص قدميه نتيجة البكاء، لكن فيما تحدث إليه بيل راح يتحسس ذراعه برفق ويصرف انتباه جايمي. ولم يعترض الصغير، فيما راقبته أمه.

"أريد أن أكون أول شخص يوقع على الجبيرة. هل هذا وعد؟ ليس الثاني أو الثالث... أريد أن أكون الأول. حسناً؟".

"حسناً"، أومأ جايمي برأسه، فيما وصل الجراح، وتشاور الطبيبان، وحين أنهيا ألقى بيل نظرة سريعة على ليز. كانت تبدو نحيلة جداً، وهي في الوقت الحاضر خائفة جداً على ذراع جايمي المكسورة، ولهذا السبب قدم اقتراحه للجراح.

"هل تعرف ما سنفعل الآن؟" سأل بيل الصغير جايمي كما لو أنه يخبئ لـــه مفاجأة مذهلة. "سوف نصعد إلى الطابق الأعلى ونضع لك الجبيرة الآن.

وسوف آتي معك للتأكد من أن أحداً قبلي لن يوقع عليها. كيف يبدو لك ذلك؟ سوف تنام لبضع دقائق، وحين تستيقظ، سوف تكون الجبيرة هنا بفعل السحر، وسوف أوقع عليها".

"هل أستطيع جعل السرير يتحرك صعوداً ونزولاً؟" ما زال يذكر ذلك من إقامة بيتر هنا.

"سوف نعثر لك على سرير يتحرك بالطريقة التي تريدها، لكن دعنا نضع الجبيرة أولاً". ألقى نظرة سريعة على ليز لطمأنتها، وأومأت هي برأسها. عرفت ما كان قد فعله. لقد سأل الجراح إذا كان يستطيع الدخول إلى غرفة العمليات مع جايمي، وأثر فيها هذا الموقف. أرادت أن تشكره، لكنه كان يدفع جايمي في اتجاه المصعد على الحمالة، فيما الطبيب الجراح خلفهما. لم تشأ مناداة الطفل خشية أن يتذكر أنها لا تستطيع القدوم معه. بدل ذلك، جلست في الكرسي بطريقة يائسة، وهي قلقة عليه ومُفكِّرة ببيل. كانت رؤيته بمثابة صدمة، لكن الكثير من الأمور حصلت بحيث لم يتحدثا حتى إلى بعضهما البعض، وهذا أفضل ربما. ما من شيء آخر بقي للقول على كل حال. لقد مضى شهر كامل منذ أن رأته، وبدا ذلك مثل دهور. ما زالت تبكي لغيابه كل ليلة قبل النوم، لكن ما من طريقة لجعله يعرف ذلك.

مضت ساعة تقريباً قبل عودتهما، وحين فعلا، كان جايمي لا يزال مخدراً، وما زال بيل معه. ذهب الجراح لمعاينة حالة أخرى، وأخبرها بيل بطريقة محترفة جداً أن الأمور سارت على ما يرام. كان كسراً واضحاً، ويستطيعون نزع الجبيرة عنه بعد ستة أسابيع. سوف يعطونه أيضاً غطاء لها لاستعماله أثناء الاستحمام.

"يفترض أن يستيقظ بعد دقائق قليلة. كان على ما يرام في الطابق الأعلى. لقد خدرناه بسرعة بحيث لم يعرف ما الذي أصابه". لم تستطع منع نفسها من التذكر كيف كان فظاً معها حين التقيا للمرة الأولى، ولاحظت كم كان لطيفاً مع جايمي الآن. إنه رجل لـــه ملايين الوجوه. والواقع أن تسمية

ميغان لـــه بـــ "الفظ" جعلها ترتعد أكثر من قبل. هذا لا يغتفر، وهي عرفت ذلك. "هل تريدين فنجان قهوة قبل أن يستيقظ؟ قد يستغرق الأمر قليلاً، عشرين دقيقة ربما".

"هل لديك الوقت؟" لم تشأ أن تفرض نفسها عليه. عرفت كم هو مشغول، وكان قد أمضى الآن ساعتين مع جايمي.

"لديّ الوقت"، قال وهو يقودها عبر الممر إلى غرفة حيث يرتاح أطباء الطوارئ بين الحالات. لكن لم يكن أحد في الغرفة حين دخلا. أعطاها فنجاناً من القهوة الساخنة. "سيكون بخير، ليز، لا تقلقي عليه".

"شكراً لأنك كنت لطيفاً معه. أقدّر هذا كثيراً. كان خائفاً جداً حين وصلت إلى هنا".

ابتسم بيل وأومأ برأسه فيما صب لنفسه فنجاناً من القهوة. "كان صراخه عالياً جداً. تساءلت ما الذي كان يحدث ولذلك جئت. يملك صوتاً قوياً جداً السيد جايمي". ابتسمت، والتقت عيناهما. لكن أياً منهما لم يفكر أبعد من ذراع جايمي. وكان واضحاً أنهما يشعران بالغرابة مع بعضهما بعضاً. بدا وكأنه خسر بعض الوزن أيضاً، وبدا شاحباً ومتعباً، لكن العيد هو فترة مشغولة بالنسبة إليه. كان هناك الكثير من السائقين المضطربين والأوراك المسكورة والصدمات التي لا تستطيعَ تخيلها، مثلما حدث لجوستين، والآن لجايمي. إلا أن بيل تولى أمر الكوارث الكبيرة عادة، مثل حادث بيتر. "تبدين بخير"، قال أخيراً، وأومأت هي برأسها، غير واثقة مما تجيبه. لم تستطع أن تقول لـــه إنها تفكر فيه ليلاً ونهاراً وتحبه كثيراً. لقد فات الأوان على ذلك.

"لا بد أنك مشغول في الأعياد"، قالت لجعل المحادثة ذات معنى قليلاً. فأي شيء آخر يمكن أن تقوله سوف يثير الجدل أو النقاش. ولا جدوى من محاولة إخباره شيئاً لا يريده. لو أراد ذلك، أو بدل رأيه، لكان اتصل. صمته هو الرسالة الأخيرة. وقد سمعتها بصوت عالٍ وواضح.

"أنا مشغول فعلاً. كيف حال بيتر؟" أبقى المحادثة ضمن مواضيع حيادية، مثل مريضه.

"جيد جداً"، ابتسمت، "ومغروم كثيراً".

"هذا جيد. بلغيه تحياتي". ثم نظر إلى ساعته واقترح أن يعودا إلى جايمي. "يفترض أن يكون استيقظ الآن". لقد استيقظ فعلاً، وكان يسأل عن بيل وأمه وابتسم حين رآهما. "لم تنسَ وعدك، أليس كذلك، أيها البطل؟" هزّ جايمي رأسه مع ابتسامة عريضة، وأخرج بيل القلم من جيبه. كتب لـــه قصيدة صغيرة ورسم كلباً صغيراً ثم وقع، وكان جايمي متحمساً جداً.

"كنت الأول، بيل، لقد وعدتك!".

"طبعاً فعلت". ابتسم لـــه بيل، ثم عانقه، فيما راقبتهما ليز، وهي تشعر بألم في قلبها. هذا ما كانت قد خسرته حين خرج من حياتها يوم عيد الأضحى. لكنها عرفت قبلاً تماماً ما الذي كانت قد خسرته، ولم تستطع فعل أي شيء حيال ذلك. لقد حسم أمره.

"لم تحلق أبداً طائرتك معي"، قال جايمي، فيما نظر إليه، وبدا بيل مذهولاً قليلاً ثم مرتعباً.

"أنت محق. لم أفعل. سوف اتصل بأمك في يوم ما وسوف نقوم بالجولة. ربما بعد أن تنزع الجبيرة. ما رأيك؟".

"جيد". أومأ برأسه، وهو راضٍ، ورفعه بيل عن الحمالة ووضعه برفق على قدميه.

"والآن، هل تبقى بعيداً عن السلم من فضلك؟". أومأ جايمي برأسه، فيما امتلأت عيناه بالإعجاب. كان بيل بطله. "ولا تتسلق الشجرة أيضاً".

"لن تسمح لي أمي".

"أنا مسرور لسماع ذلك. والآن، بلغ تحياتي إلى بيتر وإلى شقيقاتك. أراك قريباً، جايمي. عيد سعيد".

"مات والدي يوم العيد"، أبلغه جايمي، وشعرت ليز بقلبها يتمزق. كانت هذه ذكرى لا يحتاجون إلى من يذكرهم بها.

"اعرف"، قال بيل باحترام. "أنا آسف جايمي".

"وأنا أيضاً. كان عيداً سيئاً جداً".

"لا شك في أنه كان كذلك، لكل عائلتك. أتمنى أن يكون هذا العيد أفضل".

"طلبت من عمّي أن يحضر لي طائرة ورقية مثل طائرتك، لكن أمي قالت إنه لن يحضر واحدة. تقول إنه علينا شراء واحدة".

"أو صنع واحدة"، صحح بيل. "ماذا طلبت أيضاً من عمّك؟".

"كلب صغير"، لكن أمي تقول إننا لن نحصل عليه أيضاً لأن كارول لديها حساسية. تعاني من داء الربو. طلبت ألعاب الفيديو أيضاً ومسدساً زائفاً".

"أراهن أنك ستحصل على هذه". أومأ جايمي برأسه وشكره لأنه وقع على الجبيرة، ثم حول بيل نظره إلى والدة الصغير. شعر أنها كانت تراقبهما وأن هناك شيئاً حزيناً في عينيها اخترقه بقوة. "أتمنى أن يكون هذا العيد جميلاً لكم جميعاً. أعرف أن أول سنة لن تكون سهلة".

"يجب أن يكون أفضل من العام الماضي"، ابتسمت، بفمها، وليس بعينيها، وأراد أن يرجع إلى الخلف خصلة شعر سقطت على عينيها، لكنه رأى أنه لا يجدر به ذلك. فعلت ذلك بنفسها بعد دقيقة، غير مدركة بأنه لاحظ ذلك. "شكراً لأنك كنت لطيفاً جداً مع جايمي. أنا أقدر هذا".

"هذا ما أفعله. أنا الفظ"، ابتسم لها وبدت هي محرجة. "لقد تخطيت الأمر"، قال لإراحتها مجدداً، "رغم أني أعترف بمرارتها. كانت الفتيات قاسيات"، قال وضحك فيما رافقهما إلى باب غرفة الطوارئ.

"ليس كل الفتيات"، قالت بنعومة. "إعتنِ بنفسك، بيل. عيد سعيد". لوّحت لــه فيما غادرت هي وجايمي. لقد عادت كارول إلى المنزل لملاقاة الآخرين

فيما كان جايمي في الجراحة. ووقف بيل يراقبهما فيما دخلا إلى السيارة، ثم عاد إلى غرفة الطوارئ وهو يضع يديه في جيبيه ورأسه إلى الأسفل.

الفصل الثالث عشر

حين عاد جايمي من المستشفى إلى المنزل، أخبر الجميع أنه رأى بيل وقال لبيتر إنه يبلغه تحياته، ثم أظهر لــه الجبيرة حيث وقّع بيل. طلب من الجميع التوقيع عليها حينها، بمن فيهم كارول وأمه. راقبته ليز، وهي تشعر انها علقت في دوامة طوال بعد الظهر، إذ تدور بها عواطفها بقوة. كانت رؤية بيل قاسية، وإنما لطيفة أيضاً ومعذّبة كثيراً، وأرادت التمدد ولمسه، أو الأسوأ من ذلك، القول لــه إنها ما زالت تحبه. لكنها عرفت أن هذا جنون. لقد خرج من حياتها تماماً مثل جاك.

ذهبت إلى المقبرة لوضع الأزهار لزوجها في اليوم التالي. وقفت هناك لوقت طويل، تفكر في السنوات التي تشاركاها، والأوقات الحلوة التي قضياها. لقد ضاع كل ذلك الآن بسبب لحظة مريعة. بدا ذلك غير عادل. وقفت أمام قبره لوقت طويل، وبكت على ما خسروه وعلى ما يفوته. لن يشاهد أولاده أبداً وهم يكبرون، او يرى أحفاده، ولن يشيخ معها. لقد توقف كل شيء، وعليهم الآن المضي قدماً من دونه.

لكن العذاب الأكبر كان ليلة العيد ويوم العيد. فرغم انها توقعت أن يكون الأمر صعباً، لم تكن مستعدة أبداً لمدى قسوة ذلك. كان ذلك مثل كرة كبيرة تضرب بصدرها من كل النواحي. افتقدت الفرح الذي تشاركوه، والأعياد حين كان الأولاد صغاراً، والضحك والوعود والتقاليد. وفيما استفاقت من ذكرياتها القديمة، تذكرت فجأة رعب صباح العيد الفائت، تراقبه وهو يموت على أرض المكتب من دون وجود وسيلة لوقف الكابوس الذي ضربهم. بقيت تجول بلا هدف طوال اليوم، تبكي طوال الوقت، غير عاجزة عن التوقف، ولم يكن الأولاد

أفضل حالاً. كان هذا أحد أسوأ الأيام في حياتها منذ ان مات. وكانت أمها قلقة عليها حين اتصلت. وشعرت بقلق أكبر حين أخبرتها أنها ستغلق المكتب.

"أعرف أنه عليك فعل ذلك"، قالت أمها لحظة أخبرتها. "هل خسرت كل زبائنك؟" لم يتغير أي شيء في العام الماضي منذ أن أصدرت توقعاتها المشؤومة بعد الدفن.

"لا، أمي. لدي الكثير. لم أعد أستطيع التحمل، وقد سئمت من ذلك. لا اريد ممارسة القانون العائلي. سوف أدافع عن الأولاد".

"ومن سيدفع لك؟".

ابتسمت ليز على السؤال. "المحكمة، أو الأهل، أو الوكالات التي تستخدمني. لا تقلقي. أنا أعرف ما أفعل". تحدثت أمها مع كل الأولاد وأخبرت ليز أنهم بدوا مكتئبين، ولا عجب في ذلك. إنه عيد قاسٍ عليهم جميعاً.

اتصلت بها صديقتها فيكتوريا من أسبن. فاجأت ليز حين قالت لها إنها قررت العودة لممارسة المحاماة في دوام جزئي، وجعلت ليز تعد أنه على الرغم من ذلك، سوف تلتقيان أكثر ووعدتها ليز بذلك. كانت فيكتوريا قلقة عليها وعلى الأولاد. عرفت أنه عيد قاسٍ عليهم، وأسفت لأنها ليست موجودة هنا حتى تأتي للزيارة.

وفي بقية اليوم، كان الهاتف صامتاً. وفي نهاية اليوم، أخذتهم ليز جميعاً لمشاهدة السينما. كانوا حزينين مثلها تماماً، ويحتاجون إلى بعض التسلية. ذهبوا لمشاهدة فيلم كوميدي، وضحك الأولاد لكن ليز لم تضحك. شعرت وكأنه لم يبقَ أي شيء مثيراً للضحك في حياتها. كانت هناك المآسي والخسارة، والأشخاص الذين ماتوا أو ابتعدوا. جلست في مغطس المياه الساخنة بعدما عادوا إلى المنزل، واستلقت هناك لوقت طويل، تفكر كيف مضت أول سنة بسرعة، وكم حدثت أمور خلالها، ورغماً عنها، لم تكف عن التساؤل أين هو بيل. إنه كان يعمل ربما. لطالما قال إنه يكره العطلات لأنها

للأشخاص الذين لديهم عائلات، وقرر هو ألا تكون لديه واحدة، بعد ما حصل يوم العيد، رغم أنها لم تكن واثقة تماماً من انها تستطيع لومه. لكنها رأت أنه كان يستطيع على الأقل منحها فرصة ثانية. لو كان شجاعاً كفاية، لكنه ليس كذلك. عرفت أنه عليها الآن مواجهة حقيقة مفادها أنه لا يريد هذه العلاقة. إنه أحب الحياة التي لديه، وهو جيد فيها. استلقت في المغطس وهي تفكر كم كان لطيفاً مع جايمي. إنه طبيب مذهل، ورجل محترم.

عادت إلى السرير وحدها تلك الليلة، مباشرة بعد منتصف الليل. كان جايمي ينام في غرفته. نام في غرفتها مرة واحدة فقط منذ أن وضع الجبيرة، وتقلب في منتصف الليل وعَرَضاً ارتطمت الجبيرة بها، وما زالت تعاني من رضة في كتفها. بعد ذلك، اتفقا على انه من الأفضل أن ينام في سريره الخاص إلى أن ينزع الجبيرة.

"هل أنت بخير، أمي؟" أدخل بيتر رأسه في غرفتها حين صعد إلى الطابق الأعلى مباشرة بعد خلودها إلى السرير، وأخبرته أنها كذلك وشكرته على تحققه منها. لقد بقيا قريبين من بعضهما بعضاً طوال اليوم، مثل ناجيين في المياه يتشبثان بطوق نجاة واحد. إنه عيد سيذكرانه على الدوام. صحيح أنه ليس سيئاً بقدر العيد الماضي، وإنما مؤلم جداً. كل ما ارادته الآن هو النوم والاستيقاظ حين انتهاء العطلة. لكن كالعادة، هرب منها النوم لساعات، واستلقت في السرير مستيقظة تفكر في جاك، وبيل وأولادها. وأخيراً، نامت بعد الرابعة فجراً وظنت أنها تحلم حين رن الهاتف. كانت في نوم عميق جداً حين تمددت للإمساك به، واحتاجت إلى برهة للعثور عليه، لكن أحداً في المنزل لم يجب عليه أيضاً.

"آلو؟" كان صوتها خافتاً بين الشراشف، وبدت مترنحة، فتردد الشخص الذي اتصل بها لبرهة طويلة. كانت على وشك أن تقفل السماعة حين تحدث أخيراً. لم تتعرف إلى الصوت في البداية، ثم عرفت. إنه بيل وليس لديها فكرة لماذا اتصل. إنه كان يعمل ربما. ما زال الظلام مخيماً في الخارج وألقت

نظرة على الساعة. إنها السادسة والنصف صباحاً.

"مرحبا"، قال بصوت مرح وإنما متألم، وشعرت كأنها في عربة خيل تعود بها إلى كانتاكي بعد آلام اليوم السابق. كانت مرهقة. "فكرت في أن أتصل وأتمنى لك عيداً سعيداً".

"عيد سعيد. ألم يكن البارحة؟" أو هل هي في حالة ضياع لا تنتهي أبداً. دهر من الأعياد كل يوم وإلى الأبد. سيكون ذلك أسوأ كابوس بالنسبة إليها.

"نعم، لا بدّ أني فوّته. كنت مشغولاً جداً. كيف حال جايمي؟".

"بخير. أظن. نائم". تمددت وبذلت جهداً للاستيقاظ، متسائلة عن سبب اتصاله بها. بدا ثرثاراً جداً في السادسة والنصف صباحاً. "كنت لطيفاً جداً معه حين كسر ذراعه. شكراً".

"إنه ولد لطيف، وأنا أحبه". كان هناك صمت طويل حينها، وبدأ النعاس يغلبها ثم استيقظت مجدداً متسائلة ما إذا كانت قد قالت شيئاً أحمق. لكنها لم تفوت الكثير. فقد كان بيل يفكر على ما يبدو. ثم سألها "كيف كان العيد؟"، علماً أنه استطاع تخيل ذلك. لقد فكر فيها طوال اليوم، وقلق بشأنها وبشأن الأولاد، ولهذا السبب اتصل بها في النهاية. هذا، فضلاً عن العديد من الأسباب الأخرى، التي يعتبر بعضها أكثر وضوحاً من الأخرى.

"أسوأ مما توقعت"، قالت بصراحة. "مثل الخضوع لعملية قلب مفتوح من دون تخدير".

"أنا آسف، ليز. فكرت أنه سيكون كذلك. لقد انتهى على الأقل".

"إلى السنة المقبلة"، قالت وهي تبدو حزينة. أصبحت مستيقظة الآن، ولا تزال ذكرى البارحة تجعلها ترتعد.

"قد يكون أفضل في السنة المقبلة".

"لست مستعجلة لأعرف ذلك. أنا بحاجة إلى كل السنة لتخطي هذا العيد. ماذا عنك؟ كيف كان العيد؟".

"كنت أعمل".

"ظننت ذلك. لا بد أنك مشغول".

"جداً. لكني فكرت فيك كثيراً".

ترددت، ثم أومأت برأسها، وهي مستلقية في الظلام، تفكر فيه. "أيضاً أنا فكرت فيك. أنا آسفة لأن الأمور أصبحت مُلَخْبطة هكذا. لا أعرف. أظن أني لم أكن مستعدة، وكان الأولاد مريعين".

"وكنت مذعوراً"، اعترف. "لم أعالج الأمر بطريقة ناضجة".

"لست واثقة من أني فعلت ذلك أيضاً"، قالت بلباقة، لكنها كانت مستعدة للمحاولة وإصلاح الأمر، وهو لم يفعل. لكنها لم تقل هذا له.

"اشتقت إليك". بدا حزيناً. تأثر بشدة حين شاهدها عندما كسر جايمي ذراعه، وقد لازمته منذ ذلك الحين، إلى أن اتصل.

"وأنا أيضاً. لقد مضى شهر طويل"، قالت بنعومة.

"طويل جداً"، اعترف. "يجدر بنا تناول الغداء في وقت ما".

"أودّ ذلك". تساءلت ما إذا كان سيفعل ذلك حقاً. قد يكون متعباً ووحيداً، أو مات مريض عنده، أو أثر العيد فيه. لم يراودها الشعور بأنه يريد العودة، لمجرد لمسها، والابتعاد مجدداً. في النهاية، كانت قد قررت أنه يحب الوحدة ويكون أسعد بهذه الطريقة.

"ما رأيك في الغداء اليوم؟" أصيبت بالذهول حين سألها.

"اليوم؟ طبعاً. أنا..." ثم تذكرت. "وعدت الأولاد بأخذهم للتزلج على الجليد. ما رأيك في تناول القهوة بعد ذلك؟".

"كنت أفكر فعلاً في الغداء". بدا خائب الأمل.

"ماذا عن الغد؟".

"لدي عمل"، قال بحزم. ابتسمت حين أدركت أنهما يتفقان على المواعيد

في السابعة إلا ربع صباحاً. "ماذا عن الآن؟" بدا صادقاً حين سأل.

"الآن؟ تـقصد الآن في هذه الدقيقة؟".

"طبعاً. صادف أني أحمل كيس طعام كبير في سيارتي. يمكننا تقاسمه".

"أين أنت؟" بدأت تتساءل إذا كان مضطرباً. بدا مجنوناً قليلاً بالنسبة إليها.

"في الواقع"، أجاب بلا مبالاة، "أنا أمام المنزل". نهضت من السرير، حين قال ذلك، فيما الهاتف في يدها، ورفعت النافذة. كانت سيارة المرسيدس القديمة واقفة هناك وأضواؤها مطفأة.

"ماذا تفعل هناك؟" كانت تراقبه، حين قالت ذلك، وألقى هو نظرة عليها ولوّح لها، وابتسمت هي. "هذا جنون".

"فكرت في أن أمرّ وأرى ما إذا كنت تريدين تناول الغداء أو شيئاً كهذا. لم أعرف ما إذا كنت مشغولة، أو... حسناً، أنت تعرفين، بما أني كنت أحمق خلال الشهر الأخير، لم أكن واثقاً ما إذا كان يجدر بي المجيء لإقناعك، ليز". بدا صوته عاطفياً، فيما وقفت هي أمام النافذة ونظرت إليه في السيارة، فنظر هو إليها ورفع لها هاتف السيارة. "أحبك". استطاعت رؤيته وهو يقول ذلك.

"أنا أحبك أيضاً"، قالت بنعومة. "لماذا لا تدخل؟".

"سوف أحضر الطعام".

"احضر نفسك فقط. أراك خلال دقيقة. لا ترن جرس الباب". أقفلت السماعة، وهرعت إلى الطابق الأسفل لفتح الباب له، وشاهدته يخرج من سيارته ويسحب شيئاً كبيراً وضخماً من المقعد الخلفي، فاحتاج إلى دقيقة تقريباً. ثم توجه نحوها، وهو يحمل ذلك الشيء، فعرفت على التو ما هو. إنه الطائرة الورقية التي كان قد صنعها، وأدخلها إلى المنزل معه. "ماذا تفعل بهذا؟" كان كل شيء غير منطقي. اتصاله، دعوته إلى الغداء، زيارته، طائرته الورقية. لكنها أحبته، وهي عرفت ذلك، فيما نظرت إليه. عرفت ذلك منذ أشهر، لكنها لم تكن مستعدة قبلاً.

"إنها لجايمي"، قال ببساطة، وهو يضع الطائرة الورقية في الرواق، ثم وقف ينظر إليها، وعبّر بعينيه عن كل ما شعر به حيالها. "أحبك، ليز. وميغان محقة. كنت مغفلاً وغبياً. كان يجدر بيَ العودة في اليوم التالي، لكني كنت خائفاً جداً".

"وأنا أيضاً. لكني فهمت الأمر أسرع منك. كان الأمر جحيماً طوال شهر من دونك".

"عليّ أن أتصور كم اشتقت إليك، لكني عدت الآن. إذا أردت استقبالي".

"سأفعل"، همست ثم بدت قلقة. "ماذا عن الأولاد؟ هل يمكنك تحملهم؟".

"البعض أكثر من الآخر. سوف أعتاد على الباقين، وإذا كانت ميغان صعبة معي، سوف أضع جبيرة على فمها. يفترض أن يجدي ذلك نفعاً". ضحكت ليز فيما سحبها بين ذراعيه وقبلها. وقفزا كلاهما حين سمعا صوتاً عالياً وراءهما؟

"ما هذا؟" كان جايمي، وكان يشير إلى الطائرة الورقية التي أحضرها بيل معه.

"إنها طائرتك الورقية. تصورت أن لديك وقت لاستعمالها أكثر مني أنا. سوف أريك كيف تستعملها".

"أوه، يا إلهي". قفز بين ذراعيّ بيل، وكاد أن يلكم أمه. "واو! هل أستطيع فعلاً الحصول عليها؟".

"طبعاً".

ثم نظر إليه جايمي بارتياب. "ماذا تفعل هنا؟ ظننت أنك غاضب من أمي وميغان؟".

"كنت، لكني أفضل الآن".

"هل كنت غاضباً مني أيضاً؟" سأل جايمي باهتمام، وهو يمسك الطائرة الورقية بإطارها. بدا مثل لوحة للفنان نورمان روكويل.

"أبداً. لم أغضب منك أبداً. ولست غاضباً من أحد الآن".

"جيد. هل يمكننا تناول الفطور؟" سأل جايمي أمه.

"خلال دقيقة". وفيما قالت ذلك، صدرت أصوات من الطابق الأعلى وكانت ميغان تصرخ.

"من يوجد في الأسفل؟".

"أنا"، أجابت ليز. "وبيل وجايمي".

"بيل الطبيب؟" بدت متفاجئة، واستطاعت ليز سماع أصوات الآخرين، أي بيتر وراشيل وآني. لقد أيقظوا كل المنزل.

"بيل الفظ والمغفل" صحح، ونزلت ميغان إلى أسفل السلّم ببطء مع ابتسامة خجولة.

"أنا آسفة". نظرت مباشرة إلى بيل فيما قالت ذلك.

"وأنا أيضاً". ابتسم لها.

"دعونا نتناول الفطور"، قال جايمي ثانية.

"سوف أعد الوَفل"، قالت ليز وتوقفت للنظر إلى بيل، فيما تبادلا ابتسامة، وقبلها مجدداً.

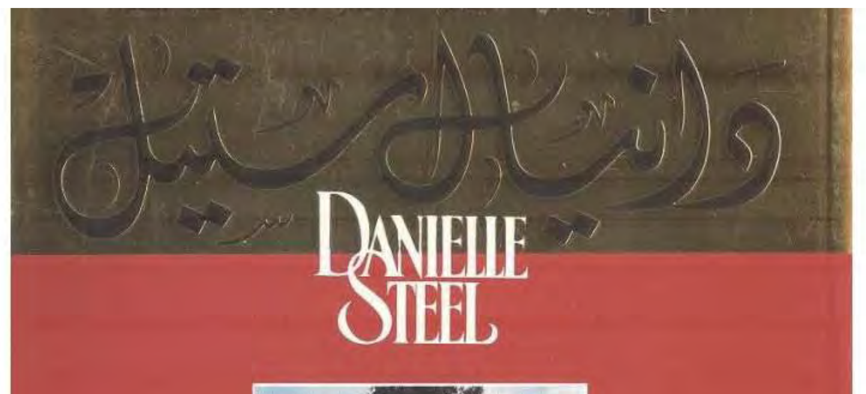
"أنت تديرين منزلاً مشغولاً"، علّق فيما لحق بها إلى المطبخ.

"أحياناً فقط. تعال لتناول الغداء في أي وقت". قالت وهي تخرج قالب الوَفل.

"كنت أفكر في البقاء"، همس لها بيل.

"أحب هذه الفكرة"، قالت بنعومة وهي تلتفت صوبه.

"وأنا أيضاً"، قال فيما رفع جايمي إلى الأعلى ووضعه على كتفيه. "في الواقع، أحب ذلك كثيراً". ثم التفت ببطء نحو الباب الأساسي وشاهد ميغان تبتسم له.



DANIELLE STEEL



منزل في شارع الأمل

THE HOUSE ON HOPE STREET

الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers